



الثقافة والتنمية

دورية - علمية - محكمة تعالج قضايا الثقافة والتنمية البشرية



السنة الرابعة عشرة العدد الرابع والسبعين (٧٤) • نوفمبر ٢٠١٣ م

دور العناصر غير الإسنادية في بناء النص لدى الشاعر يوسف أبو سعد

دكتور

فائز صبحي عبد السلام تركي

أستاذ النحو والصرف والعروض المشارك

بكلية الآداب، جامعة الملك فيصل

مجلة الثقافة والتنمية العدد الرابع والسبعين (٧٤) • نوفمبر ٢٠١٣ م

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع





عضو أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة

دور العناصر غير الإسنادية في بناء النص لدى الشاعر يوسف أبو سعد

دكتور

فائز صبحي عبد السلام تركي

أستاذ التّحوّل والصّرْف والعروض المشارك

بكلية الأداب، جامعة الملك فيصل

نوفمبر ٢٠١٣ م

العدد الرابع والسبعون (٧٤)

مجلة الثقافة والتنمية



الثقافة والتنمية



مورية علمية محكمة تعالج قضايا الثقافة والتنمية البشرية

نوفمبر ٢٠١٣ م

العدد الرابع والسبعون (٧٤)

السنة الرابعة عشرة

- درجة تطبيق معايير الجودة الشاملة في مكتبات الجامعات الأردنية الخاصة من وجهة نظر العاملين فيها ، وفي ضوء معايير هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية .

دكتور / عوني عبد القادر منصور

أستاذ مساعد، مدير وحدة المكتبة

بكلية التربية - جامعة الزرقاء

- دور الجامعة في تنمية قيم المواطنة لدى طلابها في ضوء بعض التغيرات المعاصرة

(جامعة الطائف كنموذج)

دكتور

دكتور

محمد محمود عبد صالح

خلف سليم سليم القرشي

أستاذ أصول التربية المشارك

أستاذ أصول التربية المشارك

كلية التربية جامعة الطائف

كلية التربية جامعة الطائف

- مفهوم المسائلة وتطبيقاته لدى مديري المدارس الحكومية في محافظة جرش من

جهة نظر المديرين أنفسهم

دكتور / معن محمود عياصره

جامعة الطائف - كلية التربية

قسم العلوم التربوية

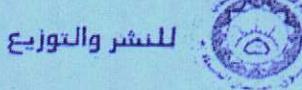
دور العناصر غير الإسنادية في بناء النص لدى الشاعر يوسف أبو سعد

دكتور / فايز صبحي عبد السلام تركي

أستاذ النحو والصرف والعرض المشارك - بكلية الآداب، جامعة الملك فيصل

www.mcd1999.com

موقع المجلة على شبكة المعلومات الدولية



دار العلم والإيمان

هيئة التحرير

رئيس مجلس الإدارة والتحرير
الأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

مدير التحرير

الأستاذ الدكتور / خلف محمد البحيري



الثقافة والتنمية

دورية علمية محكمة
(تأسست عام ٢٠٠٠ م)

العدد الرابع والسبعون
نوفمبر ٢٠١٣ م

السكرتارية

دكتور / محمد جاد أحمد - أمين الصندوق
أ / حمدي محمد شحاته - إداري

E-mail:cda_1999@yahoo.com

تصدر عن:

جمعية الثقافة من أجل التنمية

عضو أكاديمية البحث العلمي بالقاهرة
جمهورية مصر العربية
سوهاج - كلية التربية
٠٩٣/٢٣٤٥٩٦٩

التوزيع

العلم والإيمان للنشر والتوزيع
كفر الشيخ - دسوق
٠٠٢٤٧٢٥٥٠٣٤١
٣٦٥٥٤٨٧ تليفاكس:

رقم الإيداع بدار الكتب القومية
١٩٧٩ / ٢٠٠٠ م

مستشارو التحرير

<p>أستاذ اللغويات وعميد كلية دار العلوم السابق - جامعة القاهرة</p> <p>أستاذ علم النفس الرياضي ونائب رئيس جامعة سيناء</p> <p>أستاذ الإدارة التعليمية وعميد كلية رياض الأطفال - جامعة بورسعيد</p> <p>أستاذ المناهج وطرق تدريس التربية الأسرية-كلية البنات -جامعة عين شمس</p> <p>أستاذ علم النفس التربوي بمعهد البحوث التربوية جامعة القاهرة ونائب رئيس جامعة قطر سابقاً</p> <p>أستاذ أصول التربية غير المترغب بكلية التربية جامعة عين شمس</p> <p>أستاذ علم النفس التربوي بجامعة حلوان ونائب رئيس جامعة جنوب الوادي سابقاً</p> <p>عميد كلية التربية الأساسية بالكويت</p> <p>أستاذ تدريس الرياضيات - كلية التربية - جامعة دمياط</p> <p>أستاذ أصول التربية بكلية التربية جامعة عين شمس</p> <p>أستاذ الاقتصاد -جامعة الزقازيق وزیر الاقتصاد الأسبق</p> <p>أستاذ التربية المقارنة بكلية التربية جامعة عين شمس</p> <p>أستاذ جامعة العلوم الإسلامية العالمية - الأردن</p> <p>أستاذ أصول التربية بكلية التربية جامعة عين شمس</p> <p>أستاذ علم النفس وعميد كلية التربية - جامعة دمنهور</p> <p>أستاذ التاريخ الحديث والعميد السابق لكلية الآداب جامعة حلوان</p> <p>أستاذ أصول التربية - والعميد الأسبق لكلية التربية جامعة أسيوط</p> <p>أستاذ الفلسفة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة</p> <p>أستاذ الأدب العربي والعميد الأسبق لكلية الآداب بالإسماعيلية بجامعة قناة السويس</p> <p>أستاذ الصحة النفسية غير المترغب بكلية التربية جامعة عين شمس ورئيس جامعة عين شمس سابقاً وزیر التربية والتعليم سابقاً</p> <p>عميد كلية التربية الأساسية بالكويت سابقاً</p> <p>أستاذ طرق تدريس اللغة العربية - والعميد الأسبق لمعهد البحوث التربوية - جامعة القاهرة</p> <p>أستاذ أصول التربية وعميد كلية التربية النوعية الأسبق - جامعة دمياط</p> <p>أستاذ النحو والصرف في كلية الآداب بالمنيا</p> <p>أستاذ الحديث وزیر أوقاف مصر الأسبق</p> <p>أستاذ تعليم الرياضيات والعميد السابق لكلية التربية جامعة عين شمس</p> <p>أستاذ اللغويات ووكيل كلية دار العلوم جامعة القاهرة</p> <p>أستاذ تعليم اللغة العربية والوكيل السابق لكلية التربية جامعة عين شمس</p> <p>أستاذ ورئيس قسم أصول التربية - كلية البنات - جامعة عين شمس</p> <p>أستاذ تعليم الرياضيات والعميد السابق لكلية التربية بالوادي الجديد</p>	<p>أ/د/ أحمد كشك</p> <p>أ/د/ أسامة كامل راتب</p> <p>أ/د/ أمال العرباوي</p> <p>أ/د/ تغريد عمران</p> <p>أ/د/ جابر عبد الحميد جابر</p> <p>أ/د/ حامد عمار</p> <p>أ/د/ حسانين الكامل</p> <p>أ/د/ دلال الدهود</p> <p>أ/د/ رضا مسعد السعيد</p> <p>أ/د/ سعيد إسماعيل على</p> <p>أ/د/ سلطان أبو على</p> <p>أ/د/ شاكر فتحى</p> <p>أ/د/ صالح حسن الداهري</p> <p>أ/د/ ضياء الدين زاهر</p> <p>أ/د/ عادل البنا</p> <p>أ/د/ عاصم الدسوقي</p> <p>أ/د/ عبد التواب عبد اللâه عبد التواب</p> <p>أ/د/ عبد الحميد مذكر</p> <p>أ/د/ عبد الرحيم الكردي</p> <p>أ/د/ عبد السلام عبد الغفار</p> <p>أ/د/ عبد الله الكندرى</p> <p>أ/د/ على احمد مذكر</p> <p>أ/د/ على صالح جوهر</p> <p>أ/د/ فاروق مهنى</p> <p>أ/د/ محمد الأحمدي أبو النور</p> <p>أ/د/ محمد أمين المفتى</p> <p>أ/د/ محمد حماسة عبد الطيف</p> <p>أ/د/ محمود كامل الناقة</p> <p>أ/د/ نادية يوسف كمال</p> <p>أ/د/ وديع مكسيموس داود</p>
--	--

أسماء السادة المستشارين مرتبة أبجدياً

بـ

يـ

نـ

قواعد النشر في المجلة

- تهتم المجلة بنشر البحوث والدراسات الأصلية النظرية والتطبيقية بشرط لا يكون قد سبق نشرها من قبل.
- تخضع البحوث المقدمة للمجلة للتحكيم العلمي بمعرفة أساتذة متخصصين في مجالات هذه البحوث وعلى نحو سري.
- ترحب المجلة بالنشر في مختلف فروع الثقافة والتنمية وبخاصة في مجال العلوم التربوية والنفسية مثل: المناهج وطرق التدريس - أصول التربية - فلسفة التربية - اقتصاديات التعليم - تخطيط التعليم - اجتماعيات التربية - التربية المقارنة - الإدارة التربوية - علم النفس التربوي - الصحة النفسية. وفي مجال العلوم الاجتماعية مثل: تنظيم المجتمع - خدمة المجتمع - خدمة الفرد - العلاقات العامة. وكذلك الدراسات اللغوية والإعلامية والتاريخية.
- ترحب المجلة بنشر تقارير الندوات والمؤتمرات في شتى ميادين الثقافة والتنمية داخل المنطقة العربية وخارجها. العلمية

شروط الكتابة:

- يقدم البحث من نسختين باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية.
- لا يزيد عدد صفحات البحث عن (٢٠) صفحة في حجم الكتاب، ويتم الاتفاق مع إدارة التحرير في نشر البحث التي تزيد عن هذا الحجم.
- يتبع في كتابة البحث القواعد العلمية المتعارف عليها في التوثيق.
- يراعي في كتابة البحث أن يكون بخط Simplified Arabic حجم ١٤ و تكون الهوامش ٣ سم في جميع الجهات و حجم الورق (B5)(JIS).
- يتعهد الباحث بمراجعة البحث لغويًا بعد تحكيمه علمياً.
- يراعى تقديم أصل البحث على ديسك كمبيوتر مع النسخ المقدمة للمجلة.
- يدفع الباحث مبلغًا قدره خمسة عشرة جنيهًا عن الصفحة الواحدة حتى عشرين صفحة بحد أدنى ٣٠٠ (ثلاثمائة جنيه)، وتدفع ذات القيمة بالدولار لنشر البحوث الواردة من خارج جمهورية مصر العربية.
- يتحمل الباحث رسوم تحكيم البحث.

الصفحة	محتويات العدد الرابع والسبعين - نوفمبر - ٢٠١٣ م		
	افتتاحية العدد : بقلم الأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب		
٥٤-١	<p>درجة تطبيق معايير الجودة الشاملة في مكتبات الجامعات الأردنية الخاصة من وجهة نظر العاملين فيها ، وفي ضوء معايير هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية .</p> <p>دكتور / عوني عبد القادر منصور أستاذ مساعد، مدير وحدة المكتبة بكلية التربية - جامعة الزرقاء</p>		
١٦٨-٥٥	<p>دور الجامعة في تنمية قيم المواطنة لدى طلابها في ضوء بعض التغيرات المعاصرة (جامعة الطائف كنموذج)</p> <table style="width: 100%; border-collapse: collapse;"> <tr> <td style="width: 50%; text-align: center; padding-bottom: 10px;">دكتور محمد محمود عبد صالح أستاذأصول التربية المشارك كلية التربية جامعة الطائف</td> <td style="width: 50%; text-align: center; padding-bottom: 10px;">دكتور خلف سليم سليم القرشي أستاذأصول التربية المشارك كلية التربية جامعة الطائف</td> </tr> </table>	دكتور محمد محمود عبد صالح أستاذأصول التربية المشارك كلية التربية جامعة الطائف	دكتور خلف سليم سليم القرشي أستاذأصول التربية المشارك كلية التربية جامعة الطائف
دكتور محمد محمود عبد صالح أستاذأصول التربية المشارك كلية التربية جامعة الطائف	دكتور خلف سليم سليم القرشي أستاذأصول التربية المشارك كلية التربية جامعة الطائف		
٢١٠-١٦٩	<p>مفهوم المسائلة وتطبيقاته لدى مديري المدارس الحكومية في محافظة جرش من وجهة نظر المديرين أنفسهم</p> <p>دكتور / معن محمود عياصره جامعة الطائف - كلية التربية قسم العلوم التربوية</p>		
٣٢٠-٢١١	<p>دور العناصر غير الإسنادية في بناء النص لدى الشاعر يوسف أبو سعد</p> <p>دكتور / فايز صبحي عبد السلام تركي أستاذ التحوّل والصرف والعروض المشارك - بكلية الآداب، جامعة الملك فيصل</p>		

* يمنح الباحث نسخة من عدد المجلة بجانب خمس مستلزمات من بحثه

* الآراء الواردة في البحث تعبر عن رأي كاتبها، ولا تعبر عن رأي المجلة أو الجهة الصادرة عنها.

* ترتيب البحوث والدراسات وفق اعتبارات تنظيمية خاصة بالمجلة ولا علاقة لها بمكانة البحث أو الباحث

افتتاحية العدد

هذا هو العدد الرابع والسبعون من مجلة **الثقافة والتنمية** المحكمة والتي استطاعت أن تجذب إليها أعداداً كبيرة من الباحثين الشبان، وأن يتسع انتشارها في كثير من الدول العربية الشقيقة. وأن تحظى بمصداقية عالية لدى لجان الترقيات العلمية الدائمة في مصر والبلاد العربية. وما تزال الدورية تحتفظ بما اختطته لنفسها من تقاليد في انتقاء أجود الأبحاث المقدمة إليها، وللجوء إلى كبار العلماء من الأساتذة المحكمين. مما دعانا إلى إصدارها شهرية منذ بداية السنة الحادية عشرة من عمرها المدید إن شاء الله ، وذلك لمواجهة الإقبال المتزايد علينا من الزملاء الباحثين. ويقدم هذا العدد الجديد أبحاثاً في مجالات الدراسات العلمية المتنوعة الاهتمامات هي :

١ - درجة تطبيق معايير الجودة الشاملة في مكتبات الجامعات الأردنية الخاصة من وجهة نظر العاملين فيها ، وفي ضوء معايير هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية .

دكتور / عوني عبد القادر منصور

أستاذ مساعد، مدير وحدة المكتبة
 بكلية التربية - جامعة الزرقاء

٢ - دور الجامعة في تنمية قيم المواطنة لدى طلابها في ضوء بعض التغيرات المعاصرة

(جامعة الطائف كنموذج)

دكتور

محمد محمود عبد صالح

أستاذ أصول التربية المشارك
كلية التربية جامعة الطائف

دكتور

خلف سليم سليم القرشي

أستاذ أصول التربية المشارك
كلية التربية جامعة الطائف

٣ - مفهوم المسائلة وتطبيقه لدى مديري المدارس الحكومية في محافظة جرش من وجهة نظر المديرين أنفسهم

دكتور / معن محمود عياصره

جامعة الطائف - كلية التربية

قسم العلوم التربوية

٤ - دور العناصر غير الإسنادية في بناء النص لدى الشاعر يوسف أبو سعد

دكتور / فايز صبحي عبد السلام تركي

أستاذ التَّحْوِيْلِ وَالصَّرْفِ وَالعُرُوضِ المُشَارِكِ - بكلية الآداب، جامعة الملك فيصل

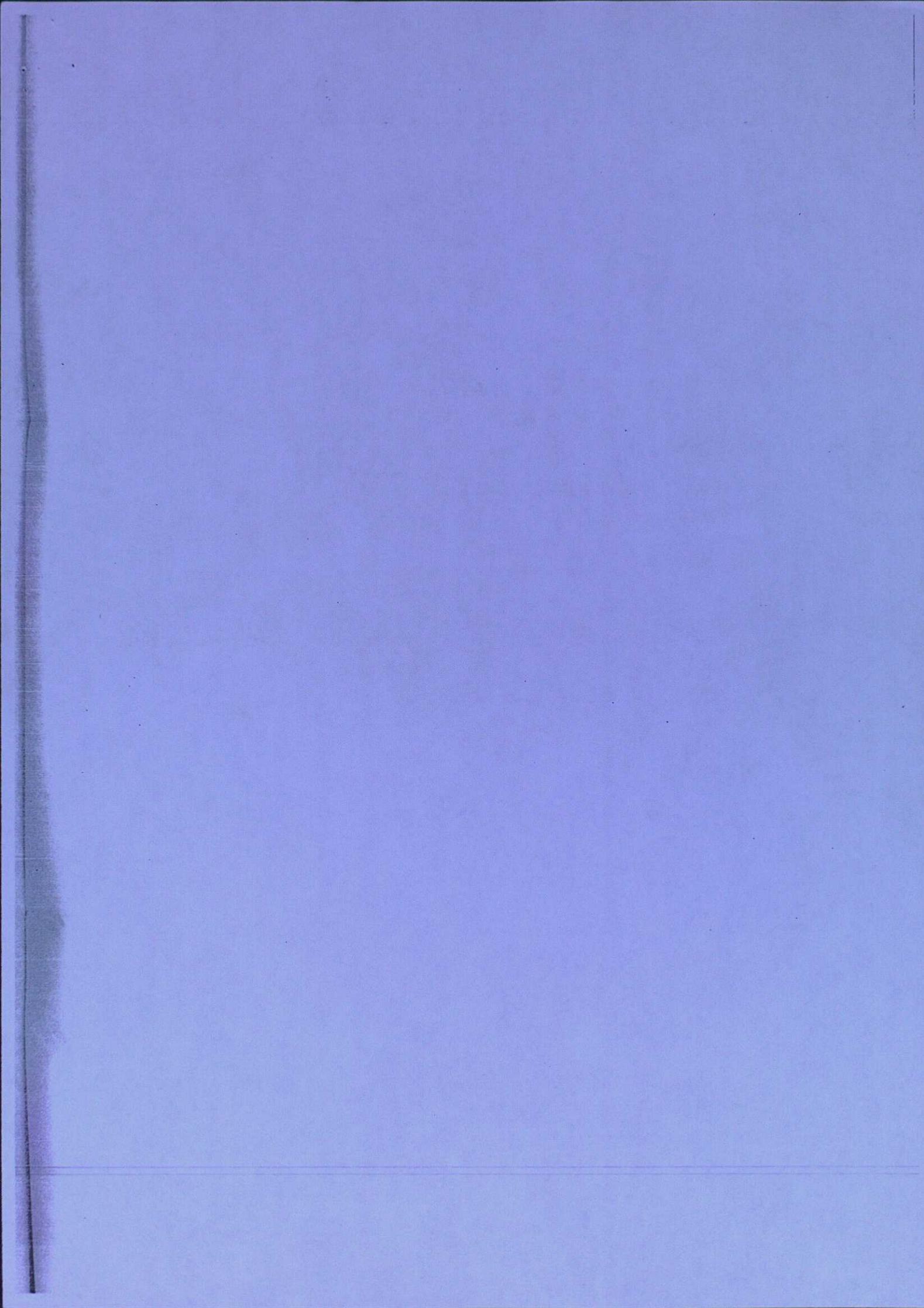
وباسم أسرة التحرير أتقدم بخاص الشكر والتقدير للزملاء والأساتذة الأفاضل الذين تفضلوا بتحكيم هذه الأبحاث من السادة مستشاري التحرير وغيرهم

فجزاهم الله خيرا ، ، ،

وتتمنى هيئة التحرير أن يفيد من هذا العدد رجال التربية والإدارة والباحثون .

والله من وراء القصد ...

الأستاذ الدكتور / مصطفى رجب





عضو أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة

دور العناصر غير الإسنادية في بناء النص لدى الشاعر يوسف أبو سعد

دكتور

فائز صبحي عبد السلام تركي

أستاذ النحو والصرف والعروض المشارك

بكلية الآداب، جامعة الملك فيصل

بسم الله الرحمن الرحيم

مُدخل

الحمد لله على جزيل نعماته، والصلوة والسلام على أشرف رسله وأنبيائه، وعلى آله وأصحابه الذين حفظوا القرآن، وحافظوا عليه من التبديل والتحريف، فكانوا أعلاماً، يهتدى بهديهم، أما بعد،

فإنَّه مِمَّا لا شَكَّ فِيهِ أَنَّ النَّصَّ يَتَكَوَّنُ مِنَ الْمُرْكَبَاتِ الْأَسْمَيَّةِ وَالْفِعْلَيَّةِ، فِيمَا يُصْنَلَحُ عَلَيْهِ بِالْإِسْنَادِ فِي الْجُمْلَةِ الْأَسْمَيَّةِ، وَالْإِسْنَادِ فِي الْجُمْلَةِ الْفِعْلَيَّةِ، وَنَجَدُ تَفاوتاً لَدِيْ كُلَّ مُبْدِعٍ فِي نِسْبَةِ هَذَا الْإِسْنَادِ أَوْ ذَاكَ طِبْقًا لِمَقْصِدِهِ هَذَا المُبْدِعُ أَوْ ذَاكُ، مِنْ وَرَاءِ اسْتِعْمَالِهِ نَمَطًا مَمَّا مِنَ الْجُمْلَةِ، يَحْكُمُهُ فِي ذَلِكَ مُقْتَضَيَاتُ السِّيَاقِ مَوْضِعُ الْحَدِيثِ. وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ طَرَفَيِ الْإِسْنَادِ قَدْ شَنَهُمُ مَعْهُمَا مُكَمَّلَاتٍ فِي بَنَاءِ النَّصِّ، سَوَاءً أَكَانَ ذَلِكَ الْإِسْهَامُ فِي الْبَنَاءِ عَلَى مَسْتَوِيِ التَّرْكِيبِ النَّحْوِيِّ، فِي إِطَارِ مَا أَرَادَهُ الْمُبْدِعُ مِنْ مَعْنَى مَمَّا، أَمْ عَلَى مَسْتَوِيِ النَّسِيجِ الشَّعْرِيِّ، فِي النَّصِّ الشَّعْرِيِّ، حِيثُ مَطَالِبُ كُلِّ مِنَ الْحَشْوِ وَالْعَروضِ وَالضَّرِبِ، تِلْكَ الْمَطَالِبُ الْمُرْتَبَطَةُ بِمَا يَسْعَى إِلَيْهِ الشَّاعِرُ مِنْ قَرْكِيْزٍ عَلَى مَعْنَى مَمَّا، بِاسْتِخْدَامِ وَظِيفَةِ نَحْوِيَّةِ مُعِينَةٍ، وَمُفْرَدَةِ مَعْجمَيَّةٍ مُحدَّدةٍ، تَنْتَاصِبَانِ مَعَ الْمَعْنَى النَّصِّيِّ.

هُنَا أُشَيَّرُ إِلَى أَنَّ الْمُكَمَّلَاتِ هِيَ مَا اصْنَلَحَ عَلَيْهِ بِالْفَضْلَةِ فِي مُقَابِلَةِ (الْعُمَدةِ)، مِنْ مُنْطَلِقٍ أَنَّهَا الْلَّوَازِمُ لِلْجُمْلَةِ، وَالْعُمَدةُ فِيهَا، وَالَّتِي لَا تَخْلُو مِنْهَا، وَمَا عَدَاهَا فَضْلَةً، يَسْتَقْلُ الْكَلَامُ بِدُونِهَا⁽¹⁾. لَكِنَّ هَذِهِ الْفَضْلَةَ قَدْ يَتَوَقَّفُ الْمَعْنَى عَلَيْهَا، قَالَ الْأَشْمُونِيُّ: "الْمَرَادُ بِالْفَضْلَةِ مَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ، مِنْ حِيثُ هُوَ هُوَ. وَقَدْ يَجِدُ ذِكْرُهُ لِعَارِضٍ كَوْنُهُ سَادًّا مَسْدَدًّا عُمَدةً، كَضَرِبِيِّ الْعَدْ مُسِيًّا، أَوْ لِتَوْقُفِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، كَوْلَهُ:

(1) شَرْحُ الْمُفَصَّلِ، أَبْنَ يَعْيَشَ، إِدَارَةِ الطَّبَاعَةِ الْمُنِيرِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ، دَبَّتْ، ١ / ٧٤.

إنما الميّت من يعيش كثيّباً
كاسِفاً بالله قليل الرّجاء"(١).

وهو ما جعل أستاذِي الدكتور محمد حماسة يقول بخصوص مُصطلح الفضلة، مُتناولاً نصَّ الأشموني السابق ذِكره: وقد يُشعر هذا المصطلح - بحسب مدلولِه اللغوي - بالزيادة، وقد يفهم من ذلك أنَّه ما دام فضلة، فذكرة وحذفة سواء، ولكنَّ هذه مُصطلحات للتفريق بين العنصر الذي تتكونُ به الجملة وغيره، فلا يمكن مثلاً أن تتكون جملة من (مبتدأ + تميز) أو من (فاعل + حال) فقط، إلى غير هذه الوظائف المُختلفة التي ليست من العناصر المكوّنة لداعمَيِّ الجملة الأساسيَّين.

وقد كان النهاء القدامي على واعي بهذه المسألة، يقول الأشموني مثلاً... في المثال الذي قدَّمه الأشموني "ضربي العبد مسيئاً لا يمكن حذف الحال" مسيئاً؛ لأنَّ الباقي "ضربي العبد" لا يؤدي معنى، يحسن السكوت عليه ، والحال هنا تقوم مقام الخبر، من حيثُ هو الجُزء المُنتمم للفائدة، ولا يمكن - كذلك - أن تُحذف الحال في البيت (كثيّباً)؛ لأنَّ الباقي من الجملة بعد حذفه "إنما الميّت من يعيش يُعد ضرباً من التناقض. لكن مع ذكر هذه الحال يستقيم المعنى، إذ العيش في حالة الكآبة وكُسُوف البالِ وقلة الرّجاء خيرٌ من الموت. إذن هناك فرقٌ بين النّظام الفحوي، والحدث اللغوي، النّظام النّحوي يقول: إنَّ أقلَّ قدِّرٍ من الكلام المفيد يتم بعنصرٍ بالإسناد، وما سواهما زيادة، قد تكون ضروريَّة، وقد يُستغنَى عنها، ولكنَّها لا تبني جملة في الأساس، من حيثُ هي. فإذا كان الكلام مفيداً فإنَّ العنصرين الأساسيين لا بدَّ أن يكونا موجودين لفظاً أو تقديرًا. وأما الحدث اللغوي - وهو المجال الذي ينطلق منه النّظام النّحوي - فإنه قد يهتم ببعضِ الفضلات، بحيث تكون في

(١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، مطبعة الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية، دبٌ١، ٥ / ٣، والبيت المذكور من الخيف. وقد فسر الدكتور محمد حماسة (هو هو) - وهو ما أوقفه عليه - بقوله: أي من حيث كون لفظ الفضلة مفعولاً أو حالاً أو تميزاً، إلى آخر الفضلات، لا من حيث توقف المعنى عليه". بناء الجملة العريضة، دار عريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣ م، هامش ١ ص ٣٥.

بعض الأحيان هي الغاية والقصد" (١)؛ ومن ثم يكون المُتلقّى مهتماً بها، في إطار تؤثّي معاني النحو فيما بين معاني الكلم، بحسب الأغراض والمعاني التي يكون لها الكلام (٢).

ولما كان ذلك كذلك، فإنّه آن الآوان أن أشير إلى أنّ هذه الفضلات أو المكمّلات أو العناصر غير الإسنادية قد تؤثّر في جملتها، فتطول تبعاً للمعنى المراد مضافاً إليه مقتضيات النسج الشعري في الشعر، فيما يُصلّح عليه بطول التقييد، وطول النبعية، وطول النعاقب، وطول التعدد، وطول الترتيب، وطول الاعتراض (٣). هذا، وقد تؤثّر هذه الفضلات أيضاً من جهة كونها وسيلةً مساعدةً في ترابط أجزاء الجملة، بجانب الترابط الحاصل بين عنصري الإسناد، ذلك الترابط الذي يلاحظ عليه أن يكون بين كلّ منها والأخر. وأما العناصر غير الإسنادية، فإنّها غالباً ما تدور في فلّك أحد عنصري الإسناد، ولا بدّ - لذلك - أن تترابط مع ما تدور في فلّكه، وتكون علاقتها بأجزاء الجملة الأخرى من خلال علاقاتها النحوية بما ترتبط به، إذ إنّ العنصر غير الإسنادي قيد لما يرتبط به. وليس من اللازم أن تترابط العناصر غير الإسنادية بعضها مع البعض الآخر. وليس من اللازم أيضاً في كثير من الأحيان - في غير الحال وتميز النسبة - أن ترتبط ارتباطاً مباشراً بعنصري الإسناد معاً، بل ترتبط بما هي متممة له أو تابعة أو مقيّدة، وفي كثير من الموضع قد يكون ما تتممه أو تتبعه أو تقيّده من غير عنصري الإسناد (٤).

(١) ببناء الجملة العربية، د. محمد حماسة، ص ٣٤ - ٣٥.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ص ٨١ - ٨٣.

(٣) ينظر: ببناء الجملة العربية ص ٥٧ - ٨٤.

(٤) السابق ص ١٣٥، ويُنظر به أيضاً ص ٨٧ - ١٣٤، ١٣٤ - ٢٣٥، وكذلك ص ١٣٩ حيث إشارته إلى أنه يمكن حصر أنواع الترابط بين العناصر غير الإسنادية في عدد من الأنواع هي: ترابط مقيّدات الفعل، وترتبط التابع بمتبوعه، وترتبط متممات الاسم (أو عناصر المركب الاسمي)، وهو الذي يتمّ بعناصر آخر.

هذا، ولما كانت هذه الفضلات تكون في سياق الجملة الفعلية والجملة الاسمية، وفي إطار المركب الاسمي (١)، فإن هذا البحث قد اقتصر على العناصر غير الإسنادية في إطار الجملة الفعلية، من حيث تقييدها الفعل من جهة ما، وتعذرها، وتبعيتها، مبينا دورها في النص، أو الحكم من استخدامها لدى الشاعر السعودي الأحسائي الرحال يوسف عبد اللطيف أبو سعد، من حيث طول الجملة وترتبطها، وعلاقة ذلك بالنسج الشعري لدّيه، في إطار ما سبق من فهم، متبوعاً المنهج الوصفي التحليلي، معتمداً في ذلك على مجموعته الشعرية الكاملة، في طبعتها الأولى، الصادرة عن مطبع الكفاح الحديثة، ١٤١٨ هـ - ١٤١٩ هـ، وديوانه "تقاسيم على زوارق الأيام"، في طبعته الأولى، الصادرة عن نادي المنطقة الشرقية الأدبي، بالدمام، بالسعودية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م؛ ومن ثم كان عنوانه "دور العناصر غير الإسنادية في بناء النص لدى الشاعر يوسف أبو سعد".

وما كان اتخاذ شعر هذا الشاعر موضعًا للتطبيق إلا من باب ما يُعد تأصيلاً لأعمال يوسف أبي سعيد، فضلاً عن كونه اعزازاً برصيده، ضمن الاعتزاز برصيد أمتنا العربية؛ ومن ثم كان التكثير في الولوج إلى شعره، مضافاً إلى ذلك كونه ابن محافظه الأحساء، فقد كان مولد شاعرنا بمدينة "الهقوف" بالأحساء عام ١٣٥٦ هـ، في كنف والدّين جادين متدينين، فأنطبعت شخصيته بصفاتهما، وجاء شعره مِرآة حقيقة حياته. وأكمل تعليمه الجامعي في قسم اللغة العربية، بجامعة الملك سعود

(١) تجدر الإشارة إلى أن المركب الاسمي قد يكون اسمًا دالاً على الحدث، يحتاج إلى ما يحتاج إليه الفعل، نحو قوله تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) من سورة الحج، الآية ٤٠، وقد يكون اسمًا من الأسماء المشتقة التي تعمّل فعلها، أو مصدرًا موزولاً من الحرف المصدري وصلته، أو اسمًا موصولاً، أو اسمًا مميزًا تميّز إفراد؛ أي أن ذلك المركب يمكن تعريفه بأنه "كل مجموعة وظائف تحويه ترتبط ببعضها عن غير طريق التبعية؛ لتنتمي معنى واحداً، يصلح أن يشغل وظيفة واحدة أو عنصراً واحداً في الجملة، بحيث إذا كانت وحدتها لا تكون جملة مستقلة". بناء الجملة العربية، د. محمد حمامة ص ٥٩، وينظر به أيضاً ص ٥٧ - ٦٠.

بالرّياضي سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م... وأكملَ مشواره العمليَّ مدِيرًا أو مُعلّمًا في مدارس القطيف والبحرين والأحساء حتّى تقاعدَ مبكرًا سنة ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م... ويُعدُّ أبو سعدٍ أكثرُ شعراء بلده نتاجًا شعريًّا، وأطولهم نفسًا. أصدرَ عدَّة دواوين... طرقَ أبو سعدٍ شتَّى الأغراضِ الشعريَّة، ولكنَّ الشّعر الوجданِيُّ هو الذي يُميِّزه" (١).

وما كان التَّطبيقُ على الشّعر إلَّا مِنْ مُنطلقِ أَنَّهُ قَيْدُ الكلمِ، وعَقْلُ الآدَابِ، وسُورُ البِلَاغَةِ، ومَعْدِنُ البراعةِ، ومَحَالُ الجِنَانِ، ومسارُ البِيَانِ وذِرْيَةُ المُتَوَسِّلِ، ووسيلةُ المُتَوَصلِ وذِمَّامُ الغَرِيبِ، وحرْمةُ الأديبِ، وعصمةُ الْهَارِبِ، وعدَّةُ الرَّاهِبِ، ورِحْلَةُ الدَّانِيِّ، ودُوْحَةُ المُتَمَثِّلِ، ورَوْحَةُ المُتَحَمِّلِ، وحاكمُ الإعرابِ، وشَاهِدُ الصَّوابِ" (٢).

وبناءً على ما سبقَ كانَ الْبَحْثُ في مدخلٍ - هو ما نحنُ بصدِّيه - وبَحْثَيْنِ آثَرَيْنِ، هُمَا:

- المَبْحَثُ الأوَّل: تقييدُ الفِعلِ بالعناصرِ غَيْرِ الإسْنادِيَّةِ، ويُشَمَّلُ بِسِنْعَةِ

مَطَالِبِ، هي:

- المَطَلَبُ الأوَّلُ: تقييدُ الفِعلِ بالمفعولِ به.
- المَطَلَبُ الثَّانِي: تقييدُ الفِعلِ بالمفعولِ فيه.
- المَطَلَبُ الثَّالِثُ: تقييدُ الفِعلِ بالمفعولِ لِأجلِه.
- المَطَلَبُ الرَّابِعُ: تقييدُ الفِعلِ بالمفعولِ معه.
- المَطَلَبُ الْخَامِسُ: تقييدُ الفِعلِ بالمفعولِ المُطلَقِ.
- المَطَلَبُ السَّادِسُ: تقييدُ الفِعلِ بالحالِ.

(١) قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، إعداد دارة الملك عبد العزيز، الرياض، السعودية، ١٤٣٥ هـ، ٢ / ٧٥٧ - ٧٥٨ بتصريف يسir.

(٢) زَهْرُ الأَدَابِ وَثَمَرُ الْأَلْبَابِ، الحصري القيرياني "أبو إسحاق إبراهيم بن علي ت ٤٥٣ هـ"، شرح زكي مبارك، وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، دب، ٣ / ٦٨٥.

- المطلب السابع: تقييد الفعل بالمستثنى.
- المطلب الثامن: تقييد الفعل بتمييز النسبة.
- المطلب التاسع: تقييد الفعل بالجار والمجرور.

المبحث الثاني: تبعية العناصر غير الإسنادية وتجددها، ويشمل

ستة مطالب، هي:

- المطلب الأول: تجدد المفعول به، ودوره في النص.
- المطلب الثاني: تعدد الحال، ودوره في النص.
- المطلب الثالث: تبعية النعت وتعدده، ودوره في النص.
- المطلب الرابع: تبعية التوكيد، ودوره في النص.
- المطلب الخامس: تبعية العطف وتعدده، ودوره في النص.
- المطلب السادس: تبعية البديل، ودوره في النص.

هذا، وقد تلا المبحثين خاتمة، تضمنت أهم نتائج البحث، ثم قائمتا بمصادرها ومراجعه، القديمة منها والحديثة.

المَبْحَثُ الْأَوَّلُ: تَقْيِيدُ الْفِعْلِ بِالْعَنَادِيرِ غَيْرِ الإِسْنَادِيَّةِ

المَطَلَبُ الْأَوَّلُ: تَقْيِيدُ الْفِعْلِ بِالْمَفْعُولِ بِهِ

لُوْحَظَ - مِنْ خَلَلِ اسْتِقْرَاءِ شَعْرِ يُوسُفِ عَبْدِ اللَّطِيفِ أَبْيِ سَعْدٍ - أَنَّ التَّقْيِيدَ بِالْمَفْعُولِ يَلِي تَقْيِيدَ الْفِعْلِ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ جَارٍ وَمَجْرُورٍ، وَقَدْ جَاءَ الْمَفْعُولُ بِهِ الْمُقْيَدُ ضَمِيرًا مُتَّصِلًا بِالْفِعْلِ، وَاسْمًا ظَاهِرًا، فِي مَكَانِهِ الْأَسَاسِيِّ أَوْ مُقْدَمًا عَلَى الْفَاعِلِ، كَمَا أَنَّ هَذَا الْمَفْعُولَ حَالَةً كَوْنِهِ اسْمًا ظَاهِرًا قَدْ يَكُونُ مُضَافًا، مَفْصُولًا مِنْ فِعْلِهِ وَفَاعِلِهِ، أَوْ غَيْرَ مَفْصُولٍ، وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ (۱): (مِنَ الطَّوْيلِ)

فَلَوْ نَظَرْتَ عَيْنَاكِ نَحْوِي رَأَيْتِنِي
تَعَاوِدْنِي الذَّكْرَى فَأَسْفَخَ فِي التَّرَى
فَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةِ أَبْيِ سَعْدٍ بِعِنْوانِ "خِيَالُكِ يَبْدُو لِي"، وَمِنْ خَلَلِ
الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ الْمُتَبَثَّةِ، فِي الْبَيْتِ الثَّانِي (تَعَاوِدْنِي الذَّكْرَى) الْمُتَتَدِّدَةِ نَمَطُ
(الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ + الْمَفْعُولُ بِهِ + الْفَاعِلُ) ثُلِّاحَظُ أَنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَقُلْ: (تَعَاوِدُ الذَّكْرَى)
بَلْ لَجَ إِلَى إِطَالَةِ بَنَاءِ الْجُمْلَةِ مُسْتَخْدِمًا مُقْيَدًا مِنْ مُقْيَدَاتِ الْفِعْلِ؛ وَخَصَّ ضَمِيرَ
الْمُتَكَلِّمِ الْمُتَّصِلِ بِالْفِعْلِ؛ لِلَّدَلَالَةِ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ أَهُمْ لَهُ، وَهُوَ بِبِيَانِهِ أَعْنَى، فَأَسْعَفَهُ

(۱) المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني "الأغاريد والتقاسيم"، يُوسُفُ أبو سَعْدٍ، مطبع الكفاح، الأحساء، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م: ٢/٧٣، ويُنْتَظَرُ بِهِ أَيْضًا ٨٣/١١، ٩٦/١، ٩٩/١، ٩٩/٩، ٥/٥، ١٥٣/٨، ١٥٤/٨، ١٦٨/٦، ١٧١/٧، ١٧٧/١١، ٢٣٢/٨، ٢٠٧/١٩٤، ١٤/١١، رقم الْبَيْتِ بِالصَّفَّةِ، وَالرَّقْمُ عَلَى يَسَارِهِ يُشَيرُ إِلَى رَقْمِ الصَّفَّةِ بِالْمَجْلِدِ الْمُذَكُورِ. وَالسَّقْفُ: الصَّبُّ، وَجَذَا: جَذَا الشَّيْءُ يَجْدُوا وَجْدًا وَجَدُوا وَاجْدَى، لِغَانِ كَلَاهِمَا: ثَبَّتْ قَانِمًا، وَقَيْلَ: الْجَاذِي كَالْجَاثِي. وَالْجَاذِي الْمُقْعِي مُنْتَصِبُ الْقَدْمَيْنِ وَهُوَ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ: يُنْظَرُ: لِسانِ الْعَرَبِ، ابْنِ مَنْظُورٍ، طَبْعَةً جَدِيدَةً مَحْقَقَةً وَمُفْنَحَةً، دَارُ الْمَعْرِفَةِ، الْقَاهِرَةُ، دَتْ، وَالْفِيروزُ آبَادِيُّ: الْقَامُوسُ الْمُحيَطُ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، الْقَاهِرَةُ، مَصْرُ، ١٣٠٣ هـ، مَادَةُ (جَذَا)، وَالصَّحَاحُ "تَاجُ الْلِّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ"، لِلْجَوَهْرِيِّ إِسْمَاعِيلِ بْنِ حَمَادٍ، ت ٣٩٣ هـ، تَحْقِيقُ أَحْمَدِ عَبْدِ الْغَفُورِ عَطَّارٍ، دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَائِينِ، بَيْرُوتُ، لَبَنَانُ، الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، مَادَةُ (جَذَا).

النظام النحوي، بوجوب تقديم المفعول به عندما يكون ضميراً متصلاً (١)؛ للدلالة على أن معاودة ذكرى الحزمان خاصة به دون غيره، وهو ما أسمى أيضاً في استقامة وزن الطويل، فمن المعلوم أن وزن البيت وقطعه هكذا:

تَعَاوُ / دُنْدُ ذِكْرِي / فَاسْفَ / حُفْثُ تَرِي	بَقَائِيَا / فُؤَادِنْ مِنْ / جُذْلَمَ / مِيَنْهُلُو
فَعُولُ / مَفَاعِيلُنْ / فَعُولُ / مَفَاعِيلُنْ / مَفَاعِيلُنْ	

فلو قال مثلاً: تَعَاوُدُ الذَّكْرَيْ أو غَيْر ذلك، لَمَّا اسْتَقَامَ الْوَزْنُ، وَلَمَّا رَكِّزَتْ كَلْمَةُ الْقَافِيَّةِ الَّتِي أَرْدَاهَا الشَّاعِرُ فِي مَكَانِهَا بِرَوْيَهَا الْمُرَادِ، فَكَانَ النَّصُّ عَلَى أَنْ ذِكْرَى حُبِّهِ الرَّمْزِيِّ السَّابِقِ تَعَاوُدُهُ دُونَ غَيْرِهِ، مُتَجَدِّدَةً مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، فَيَسْفُحُ مَا تَبَقَّى مِنْ فَوَادِهِ الْمُفْعَمِ بِالْهَمِّ الْمُنْتَصِبِ دَائِمًا، فِي التُّرَابِ النَّدِيِّ ضَيَاعًا. وَمِمَّا سَبَقَ يَتَضَخُّ لَنَا أَنَّ التَّقْيِيدَ قَدْ أَسْهَمَ فِي اسْتِطَالَةِ بَنَاءِ الْجُمْلَةِ فِي اتِّجَاهِ الْوَفَاءِ بِالْمَعْنَى الْمُرَادِ وَبِنَاءِ التَّرْكِيبِ بِصُورَةِ معيَّنةٍ فِي اتِّجَاهِ اسْتِقَامَةِ الْوَزْنِ وَصِحَّةِ الْقَافِيَّةِ، وَلَا غَرَابةً فِي ذَلِكَ، فَكُلَّهُمَا جُزْءٌ مِنْ إِنْتَاجِ الْمَعْنَى (٢).

وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ طُولَ التَّقْيِيدِ يَكُونُ "فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْحَتَّى الْفِعْلِيَّ، فَتَحْتَاجُ إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْفِعْلُ". وَلَكِنَّ عِنَاصِيرَ التَّقْيِيدِ مَعَ الْفِعْلِ تُمَثِّلُ عِنَاصِيرَ جَدِيدَةً فِي بَنَاءِ الْجُمْلَةِ، وَهِيَ مَعَ الْأَسْمَاءِ عِنَاصِيرٌ مُتَمَمَّةٌ لِلْأَسْمَاءِ الْمُشَتَّقَةِ، بِحِيثُ تَكُونُ مَعَهُ مُرَكَّبًا اسْمِيًّا" (٣). وَبِالإِضَافَةِ إِلَى إِسْهَامِ الْمَفْعُولِ بِهِ فِي إِطَالَةِ بَنَاءِ الْجُمْلَةِ، فَقَدْ أَسْهَمَ فِي التَّرَابِطِ وَالتَّمَاسُكِ مَعَ فِعْلِهِ وَفَاعِلِهِ، مِنْ خَلَلِ جَانِبِ لَفْظِيِّ، يَتَمَثَّلُ فِي الْعَلَامَةِ الْإِعْرَابِيَّةِ، وَجَانِبِ مَعْنَوِيِّ فِي الْمَفْعُولِ، يَتَمَثَّلُ فِي صَلَاحِيَّتِ الْمَفْعُولِيَّةِ، أَيْ قَبْوُلِ وَقُوِّيِّ

(١) يُنْظَرُ: الْكِتَابُ، سِيَّبُوِيَّهُ، تَحْقِيقُ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ، الْقَاهِرَةُ، مِصْرُ، ١٩٦٨ م، ٣٤ / ١، وَحَوْلَ الْمَفْعُولِ يُنْظَرُ: الْكِتَابُ ١ / ٣٤ - ٣٧، وَالْمُفْتَضَبُ، لِلْمُبَرِّدِ، تَحْقِيقُ الشِّيْخِ مُحَمَّدِ عَبْدِ الْخَالِقِ عَضِيَّة، الْمَجْلِسُ الْأَعْلَى لِلشُّعُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ، مِصْرُ، ١٩٩٤ م، ٣ / ٩١، وَالْمُقْرَبُ، أَبْنُ عَصْفُورٍ عَلَيْ بْنِ مُؤْمِنٍ ت ٦٦٩ هـ، تَحْقِيقُ أَحْمَدِ عَبْدِ السَّتَّارِ الْجَوَارِيِّ، وَعَبْدِ اللَّهِ الْجَبُورِيِّ، مَطْبَعَةِ الْعَانِيِّ، بَغْدَادُ، الْعَرَاقُ، الطِّبْعَةُ الْأُولَى، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م، ص ١١٣ - ١٢٤.

(٢) يُنْظَرُ: الْجُمْلَةُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ، دُ. مُحَمَّدُ حَمَاسَةُ عَبْدُ الْلَّطِيفِ، مَكْتَبَةُ الْخَانِجِيِّ، الْقَاهِرَةُ، مِصْرُ، الطِّبْعَةُ الْأُولَى، ١٩٩٠ م، ص ٣٦ وَمَا بَعْدُهَا.

(٣) بَنَاءُ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، دُ. مُحَمَّدُ حَمَاسَةُ، ص ٦١ وَمَا بَعْدُهَا إِلَى ص ٦٤.

الحدث الفعلي عليه، واختلافه عن غيره من المنصوبات، وكونه مُقدماً وجواباً، لكونه ضميراً مُتصلاً، مما ألزم الجملة بناء الفعل ثم المفعول به ثم الفاعل (١).

هذا، ولما كان المفعول به مُقدماً وجواباً في المثال السابق، فقد استثمر الشاعر تقاديمه جوازاً مقيداً به الفعل مسهماً في استطالة التركيب وترابطه، ففي قصيده (أمل) نلاحظ قوله (٢): (من السريع)

تُبَعِّدُ الْمَعْمُودِ عَهْدَ الصَّفَاءِ؟
إِنَّا إِلَى تِلْكَ الْأَمَاسِيِّ ظِمَاءِ
نَقْضِي بَقَايَا الْعُمْرِ دُونَ ارْتِوَاءِ
وَتُبَعِّدُ الْمَرْغُوبَ كُفُّ الْقَضَاءِ

أَمَّا لَنَا يَا عُشُّ مِنْ عَوَدَةِ
عَهْدَ أَمَاسِينَا التِّي أَقْفَرَتْ
نَحْنُ هُنَا بَيْنَ نِيُوبِ الْأَسَى
نَدُوبُ وَالْأَخْلَامُ نَجْتَرُهَا

وهي أبيات - كسابقتها، على مدار القصيدة - يُخاطب فيها العش آملاً أن يعود إلى مسقط رأسه وأسرته الكبيرة، مذكراً أماسيه؛ وهو ما جعله يشير إلى أنه في مكانه يقضي بقية عمره بغير رافد ارتواء، وهو ما ترتب عليه التصریح بأن الشاعر يدُوب من كثرة استدعائه الأحلام، وجذبه إليها متفكراً فيها، راغباً فيها. وفي سبيل النص على أن هذه الرغبة سرعان ما تبدو بعيدة، تبعدها كفُ القضاء، بسبب أنها أحلام غير ممكنة الحدوث لمانع ما، كان لابد من استخدامه الجملة الفعلية الخبرية المثبتة (تبعد المرغوب كفُ القضاء) المتأخدة نمطاً: الفعل المضارع + المفعول + الفاعل + المضاف إليه.

ومن خلالها يتضح أن العنصر غير الإنساني (المفعول به المتمثل في كلمة المرغوب) قد قيد الفعل المضارع (تبعد)، آتياً المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، مختاراً له اللفظ الذي هو أخص به (المرغوب)، وأكشف عنه، وأنم

(١) يُنظر: السابق ص ١٤٣

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني ١٤ / ٢٠٧، وينظر به أيضاً ٣ / ٨٣، ١ / ٩٩، ٩٩ .٩٩

له، وأخرى بأن يُكسيه ثيلاً، ويُظهر فيه مزيّة (١)، فَعَدَت الدلالة أن إبعاد كفِّ القضاء لم يكن مطلقاً، يطال أي شيء، بل إنه خاص بما يحمل به الشاعر، ذلك (المَرْغُوبُ) الذي اضحت أهميته بالنسبة للشاعر من خلال تقديمِه على الفاعلِ المُضَافِ (كفِّ القضاء)؛ ومن ثم كان هذا التقييد مسهماً في استطالة التركيب وترابطِه أيضاً، ذا أثرٍ في استقامة وزن السريع. فمن المعلوم أن الوزن والتقطيع هكذا:

وَتَبَعَّدُنْ / مَرْغُوبَ كَفْ / فَلِقَضَاءِ	نَذُوبُ وَلْ / أَحَلَامُ نَجْ / تَرَرُّهَا
مُتَفَعِّلُنْ / مُسْتَفَعِلُنْ / فَاعِلنْ	مُتَفَعِّلُنْ / مُسْتَفَعِلُنْ / فَاعِلنْ

وهو ما يُعربُ عن كونِ القصيدة والبيتِ من بحر السريع، دخل حشوَه الخبن، بحذفِ الثاني الساكنِ، وعَروضُه معلومٌ ما مررت به إلى أن أصبحت في الاستعمالِ (فاعلن)، أمّا الضربُ فقد دخلَة زحافُ الطيِّ، وعللة نقصٍ، وهي الوقفُ، بحذفِ الرابِعِ الساكنِ وتسكينِ السابِعِ المتحرّكِ من (مفولات)، فتصييرُ (مفولات) ثم تثقلُ إلى (فاعلن) (٢).

وإن دلَّ ذلك على شيء، فإنما يدلُّ على تمكُّن الشاعرِ من مواهِمِه بين المعنى والنظام النحوي والنُسج الشعريِّ، فقد قال أبو عبيدة: "الزحافُ في الشعر كالرخصة في الدين، لا يُقدم عليها إلا فقيه" (٣).

وهنا أشير إلى أنَّ كلمة القافية تشغلُ وظيفةِ المُضَافِ إليه، فهي مجرورة، لكنَّ الشاعر قد سكتها متوافقاً مع روىِ القصيدة، بموازرةِ من النظم النحويِّ

(١) يُنظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ٤٣، ومستويات بناء صورة المعنى في العقل البلاغي "مراجعات منهجية"، محمود توفيق محمد سعد، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، شوال ١٤٣٣ هـ - سبتمبر ٢٠١٢ م، ص ١٢٥ - ١٢٨ حيث الحديث عن الجانب الوظيفي المرتبط بالجانب المقصادي والمقامي للخطاب.

(٢) يُنظر: كتاب العروض، ابن السراج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مجلة كلية الآداب، بغداد، العراق، العدد الخامس عشر، ١٩٧٢ م، ص ٤٣٢ - ٤٣٣، وكتاب العروض، ابن جنّي، تحقيق د.أحمد فوزي الهيب، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ص ١١٩ - ١٢٥.

(٣) زهر الأدب وثمر الألباب، الحصري القิرواني، ٣ / ٦٩٤.

المُستجِيب لذلِك التَّقْيِيد أو التَّسْكِين. وهذه الْخَاصِيَّة لدِي أبِي سَعْدٍ فِي قصيدةِه هذِه وَمَا أَشْبَهُهَا إِنْ دَلَّتْ عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا تَدَلُّ عَلَى أَنَّهَا ناتِجَةٌ عَنْ طَبَيْعَةِ التَّجْرِيَّةِ الشَّعْرِيَّةِ ذاتِهَا، تَلِكَ التَّجْرِيَّة الرَّمْزِيَّةُ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى وَسَائِلَ حِسَيَّةً لِتَجْسِيدِهَا وَتَوْصِيلِهَا^(١)، فِي إِشَارَةٍ مِنَ الشَّاعِرِ إِلَى أَنَّهُ يَوَانِمُ بَيْنَ الْجَانِبِ الْعَروضِيِّ وَالْتَّجْرِيَّةِ الشَّعْرِيَّةِ، وَهُوَ مَا انْعَكَسَ عَلَى اخْتِيَارِ مَفَرَّدَاتِه الْمُعْجَمِيَّةِ مَحَلَّ كَلْمَةِ الْقَافِيَّةِ ذاتِ الرَّوْيِّ المُقَيَّدِ، أَيْ أَنَّ كَلْمَةَ (الْقَضَاءِ) ذاتِ الرَّوْيِّ المُقَيَّدِ كَائِنَهَا تُشَيرُ إِلَى مَا يَعْنِيهِ الشَّاعِرُ مِنْ تَقْيِيدٍ اقْتِرَابِه مِنَ الْمَرْغُوبِ الْمُتَمَثِّلِ فِي أَحْلَامِه الَّتِي يَجْتَرُهَا.

وَلَعَلَّهُ مِنَ الْمُفِيدِ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ تَنَاؤلَ قَوْلِه: (وَتَبْعُدُ الْمَرْغُوبَ كُفُّ الْقَضَاءِ)، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ سَبِّهِ بِتَرَاكِيبِ أُخَرَ، تَصْلُحُ لِلتَّمَثِيلِ ذاتِهِ، كَانَ مِنْ قَبْلِ عَدَمِ الفَصْلِ بَيْنَ الْفِعْلِ وَفَاعِلِهِ مِنْ نَاحِيَّةِ الْعَنْصُرِ غَيْرِ الإِسْنادِيِّ مِنْ نَاحِيَّةِ أُخْرَى بِأَيِّ فَاصِلٍ أَوْ بَيْنَ الْفِعْلِ وَمَفْعُولِهِ الْمُقَدَّمِ مِنْ نَاحِيَّةِ الْفَاعِلِ مِنْ نَاحِيَّةِ أُخْرَى.

وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ تَجَدُّرُ الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ اسْتِخْدَامَ أبِي سَعْدٍ الْمَفْعُولَ بِهِ فِي شِعْرِه لَمْ يَخُلُّ مِنْ فَصْلٍ بَيْنِهِ وَبَيْنِ عَنَاصِرِ الإِسْنادِ، حَسَبَ مُقَضَّيَاتِ الْمَعْنَى النَّصِّيِّ وَالنَّسْجِ الشَّعْرِيِّ. وَلِتَوضِيحِ ذَلِكَ لَنْ نَذْهَبَ بَعِيدًا، فَفِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ ثُلَاحِظُ مِنْ خِلَالِ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ الْمُثَبَّتَةِ (ثَعِيدُ لِلْمَعْمُودِ عَهْدَ الصَّفَاءِ) (٢) الْمُتَخَذَّةِ نَمَطًا (الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ + الْفَاعِلُ الْمُسْتَترُ + الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ + الْمَفْعُولُ بِهِ + الْمُضَافُ إِلَيْهِ) أَنَّهُ قد فَصَلَ بَيْنَ الْفِعْلِ وَفَاعِلِهِ مِنْ نَاحِيَّةِ وَبَيْنَ الْمَفْعُولِ بِهِ مِنْ نَاحِيَّةِ أُخْرَى بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ (لِلْمَعْمُودِ) لِغَرَضٍ دَلَالِيٍّ مَّا، يَكُنُّ فِي قَصْدِهِ إِرَادَةً تَرْكِيزِهِ عَلَى هَذَا الْمَعْمُودِ الْمَشْغُوفِ - الَّذِي هَدَهُ الْعِشْقُ، وَكَسَرَهُ، وَصَارَ كَالشَّيءِ عُمَدًا بِشَيْءٍ - وَأَنْ يَنْهَضَ الْمُتَلَقِّي مُشارِكًا الشَّاعِرَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الْوَجْدَانِيَّةِ الَّتِي يَعِيشُهَا. لِيُسَذَّلَ ذَلِكَ فَحَسْبُ، بَلْ إِنَّ هَذَا الْفَصْلَ جَبَّ الشَّاعِرَ الْوَقْعَ فِي شَرَكِ انْكَسَارِ الْوَزْنِ، فَلَوْ

(١) العروض وأيقاع الشعر العربي "محاولة لإنتاج معرفة علمية"، د. سيد البحراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٩٣ م، ص ١٠٩.

(٢) حول بعض الموضع الآخر لهذا الضرب من الفصل يُنْتَظر: المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني ٦ / ٣٠٩.

قال: (تُعيَّد عَهْد الصَّفَاء لِلْمَعْمُود) لن تستقيم إلا التفعيلة الأولى، والباقي سيكون منكسرًا، وهو ما يترتب عليه عدم صحة القافية أيضًا برأيها المراد، وعدم تحقق ما أراده الشاعر من استطالة للتركيب وترتبط، يترتب عليهما ما أراده من معنى.

هذا، وقد يكون استثمار الغنوص غير الإسنادي المتمثل في المفعول به في مكانه الطبيعي، في حشو البيت أو عروضه أو ضربه، ومثال ذلك قول أبي سعد^(١):

إِذَا حَلَّ الْيَهُودُ بِأَرْضِ قَوْمٍ
بُغَاثٌ إِنْ رَأُوا وَجْهًا عَبُوسًا
أَحَالُوا رَوْضَاهَا قَقْرًا يَتَابَا
وَأَشْرَارٌ إِذَا أَمْتَوْا العِقَابَا

فهذا البيتان من قصيدة (نداء القدس) يرى في الأول منهما أن اليهود إذا نزلوا بأرض مَا خرّبوا محوّلين الرياض الغناء إلى أرض خلاء، لا نبات بها ولا ماء، كأنّها خربةً تماماً. وفي الآخر يشير إلى أنّهم أذلاء ضعفاء – كالضعيف من الطير الذي يستلثم حتى يستشر – إذا قوبلوا بوجه كالح متجهم، يجمع ما بين عينيه، وفي المقابل كان قوله: "وَأَشْرَارٌ إِذَا أَمْتَوْا العِقَابَا"، أي أن ظهور شرّهم مشروط بالأمن، لكن هذا الحديث المستفاد من الفعل (أمتوا) ليس مطلقاً؛ ومن ثم لم يكن الشاعر بقوله: "وَأَشْرَارٌ إِذَا أَمْتَوْا، بل قيد الفعل (أمن) بكونه واقعاً على العقاب؛ ومن ثم كان قول القزويني: "وَمَا تقييد الفعل بمفعول وتحوه فلتزيينة الفائدة"^(٢)؛ لأن الحكم كلّما زاد خصوصاً زاد غرابةً، وكلّما زاد غرابةً زاد إفادته^(٣).

وبناءً على هذا أسلّم التقييد بالمفعول به في الترابط بينه وبين الفعل والفاعل من جهة التزام رتبته هذه، بسبب كون الفاعل ضميرًا متصلاً، وكون المفعول

(١) السابق ٤ / ١٣٧، ويُنظر به أيضاً ٦ / ١٦٨، ١١ / ١٧٧، ٨ / ٢٣٢.

(٢) التلخيص في علوم البلاغة، للقزويني "جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني" ت ٥٧٣٩هـ، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٣٢م، ص ١٠٨.

(٣) مختصر المعاني، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني "ت ٧٩٢هـ"، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، ٢٠٠٤م، ص ٨٨.

صالحاً لوقع الحدث الفعلي عليه، بالإضافة إلى عالمته الإعرابية المبنية على موقعه الإعرابي وحالته الإعرابية. وليس ذلك فحسب، بل إنَّه أسمه في استطالة التركيب باتجاه القافية المطلقة المحتاجة إلى وظيفة المفعول به؛ ومن ثم استقام وزنُ الكامل، وصحتِ القافية، برويها المراد، في إطار ما أراده الشاعر من معنى تصعيدي، مفاده أنَّ هؤلاء اليهود سرعان ما يظهرُ شرُّهم إذا شعروا بأنَّهم في أمنٍ من عقابٍ ما على ما يقرفونه من شرٍ.

وهكذا كانت الغاية تقييد الفعل، وليس إثباته على جهة الإطلاق، على نحو ما جاء به قوله تعالى: «قُلْ هُلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (١)، فالغاية من عدم تقييد الفعل (يعلمون) في الموضوعين إثباته على وجہ الإطلاق دون تقييد أو تحديد، ومنه قوله تعالى: «رَأَى الَّذِي يُحِبِّي وَيُمِيتُ» (٢)، وقوله تعالى: «وَأَنَّهُ أَمَاتَ وَأَحْيَا» (٣). وهنا يحضرني قول القائل بأنَّ التقييد: «مجالٌ من مجالات حُسْنِ التخيير النحويِّ، التي تستقطب اهتمام الباحث، في علم المعاني، فإطلاق الفعل دون تقييده، أو تقييده دون إطلاقه، أو تقييده بقيد آخر (يناظره في أداء وظيفته) كلُّ أولئك ضروبٌ من التخيير التي يكون لكلٍّ منها في سياقه مغزاه الخاص» (٤).

ولما كان العنصر غير الإسنادي المتمثل في المفعول به اسمًا صريحةً فيما سبق من عرضٍ، فإنَّه آن الأوان أن أشير إلى أنَّ الشاعر لم يقتصر في استثماره لهذا العنصر غير الإسنادي على كونه اسمًا صريحةً، بل استثمره مصدراً مؤولاً بالصريح، نحو قوله (٥): (من الخفيف)

(١) سورة الزمر، الآية ٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٨.

(٣) سورة التجم، الآية ٤٤.

(٤) علم المعاني تأصيل وتقدير: د. حسن طبل، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٥) السابق ١٥٣ / ٥، ويُنظر به أيضاً ١٥٣ / ٨، ١٥٤ / ٨.

أَشْتَهِي أَنْ أَرَاكَ بَيْنَ عَيْوَنِي
أَنْتِ مَشْغُوفَةٌ بِهَجْرِي وَإِنِّي
وَذَلِكَ فِي قَصِيدَتِهِ (مَعَ التَّيَارِ) (١)، مُصْرَحًا بِأَنَّ مَنْ يَوْجِدُهُ حَدِيثَهُ إِلَيْهَا
مَجْنونَةٌ بِهَجْرِهِ، قَدْ وَصَلَ حُبُّ الْهَجْرِ إِلَى شِعَافِ قَلْبِهَا، لَكِنَّهُ عَلَى خِلَافِهَا، نَعْرِفُ
ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ الْمُثْبَتَةِ (أَشْتَهِي أَنْ أَرَاكَ بَيْنَ عَيْوَنِي) الْوَاقِعَةِ
خَبَرًا لِلنَّاسِخِ الْحَرْفِيِّ، مُتَّخِذًا نَمَطَ (الْفِعْلُ + الْفَاعِلُ + الْمَفْعُولُ "مَصْدَرٌ مُؤَوَّلٌ أَنْ +"
الْفِعْلُ + الْمَفْعُولُ + ظَرْفُ الْمَكَانُ + الْمَضَافُ إِلَيْهِ الْمُتَكَرِّرُ"). وَمِنْ خِلَالِ هَذَا النَّمَطِ
يَتَضَيَّحُ لَنَا أَنَّ الشَّاعِرَ لَحَّاً إِلَى الْعَنَاصِيرِ غَيْرِ الإِسْنادِيَّةِ؛ لِلْوَفَاءِ بِمَا يَرِيدُهُ، فَكَانَ
تَقْيِيَّدُهُ الْفِعْلُ (أَشْتَهِي) بِالْمَفْعُولِ بِهِ فِي صُورَةِ الْمَصْدَرِ الْمُؤَوَّلِ (أَنْ أَرَاكَ بَيْنَ عَيْوَنِي)؛
لِلَّدَلَّةِ عَلَى أَنَّ هَذَا الْاشْتَهَاءَ لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ، بَلْ إِنَّهُ يَقْنُعُ بِرَوْيَتِهَا بَيْنَ عَيْوَنِهِ،
فَهُوَ لَيْسَ اشْتَهَاءً مِنَ التَّوْعِي الْمَوْجِبِ عَقَابَ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَهُنَا يَحْضُرُنِي قَوْلُ الْقَائِلَةِ صَدَدَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَرْأَةِ عِنْدَهُ: "كَمَا تَلَوَّثَتْ صُورَةُ
الْمَرْأَةِ، فَهِيَ صُورَةُ الْحَبَبِيَّةِ الْمُتَمَنَّأَةِ، وَصُورَةُ الْعَتَابِ لَهَا، وَصُورَةُ الْغَضَبِ مِنْهَا،
وَصُورَةُ لِهَجْرِهَا وَخِيَانَتِهَا، وَصُورَةُ لِلْحُبِّ الْضَّائِعِ الَّذِي لَا يَجِدُهُ، وَلَا يَتَمَثَّلُ أَمَامَهُ.
فَهُوَ دَائِمًا يُحَمِّلُ الْمَحْبُوبَيَّةَ وَزَرَ الْهَجْرِ وَالْعَذَابِ وَوَصَبَ الْقَلْبِ وَيُعْدِ الْمُلْتَقَى وَجَفَافِ
الْمَشَاعِرِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَرِى نَفْسَهُ مَسْئُولاً عَنِ اغْتِرَابِهِ أَوْ عَنْ فَشَلِ الْحُبِّ فِي قَلْبِهِ. فَعِتَابُهُ
لَهَا دَائِمًا؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَصُنْ مَعْنَى الْعَاطِفَةِ بَيْنَهُمَا، هَذِهِ الْعَاطِفَةُ الْمُنْضَبِطَةُ الَّتِي تَمْنَعُهُ
حَدُودُ الدِّينِ وَالْتَّقَالِيدِ مِنْ أَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَهَا، مِثْلَ بَعْضِ الشُّعُراءِ الرُّومَانِسِيِّينَ
غَيْرِهِ" (٢).

(١) أشار الشاعر في ("الأغاريد والتقاسيم" / ٥ / ١٥٣) إلى أنَّ هذه القصيدة للشاعر الرقيق عبد المحسن حلبيت مسلم، صاحب القصيدة التي تدفقت عنديهُ وإيداعها، تلك القصيدة التي نشرها في العدد ١٦٨ من ملحق الأربعاء، بعنوان "ضد التيار".

(٢) الاتجاه الرومانسي في شعر يوسف عبد اللطيف أبي سعيد، د. فوزية عبد الله الرويشد، دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الملك فيصل، الأحساء، السعودية، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م، ص ٥٦.

لكن لم آثر شاعرنا كون المفعول به مصدراً مؤولاً؟ أرى أن ذلك يرتبط بعلة في (أن) الخفيفة، الناصبة للمضارع، المسنوبة بالفعل أشتهي، مما يدل على الطمع والإشراق، لا العلم واليقين ونحوهما. قبل بيان ذلك أشير إلى أن العربية قد رصدت للتعبير عن الباب الواحد صيغة متعددة، "إذا لاحظ الباحث أن اللغة قد اصطنعت للتعبير عن الباب الواحد صيغة متعددة، فإن عليه أن يقتصر بأن لكل صيغة من تلك الصيغ معنى، يراد منها، وهدف دلالياً مقصوداً فيها، وسراً وراءها، ومطلباً تسعى إليه. هذا المعنى، وذلك السر مرتبط بشكل الصيغة نفسها دون سواها، مع الإقرار سلفاً بوجود نوع من الفرق بين الصيغ المشتركة في أداء المعنى الواحد".⁽¹⁾

وبناءً على ذلك أشير إلى أن الفعل (أشتهي) من أفعال الطمع والإشراق، نحو (أردت)

وأخاف)، وهذه الأفعال يجوز فيها أن يوجد ما بعدها وأن لا يوجد. ولما كان ذلك كذلك، فقد كان الإتيان بالمصدر المسؤول المبدوع بأن الخفيفة الناصبة للمضارع (أرى)؛ لأنَّه لا تأكيد فيها، ولا مضارعة لـما فيه تأكيد، وهو ما يتاسب مع شاعرنا يوسف أبي سعد وفطرته الإسلامية التي تتنافى مع الرؤية المحرمة المقصودة لذاتها أو المتركرة تلذذاً وإمعاناً في المزئي؛ ومن ثم كان الفعل (أشتهي) المضارع المتصرف السابق عليها (٢) ليس من أفعال العلم واليقين ونحوهما، مما معناه الثبوت والاستقرار، تلك الأفعال التي يتاسب أن يكون ما بعدها (أن) الثقلة أو الخفيفة، نحو قوله تعالى: «علم أن سيكون منكم مرضى»^(٣) وقوله

(١) المصدر المسؤول "بحث في التركيب والدلالة"، د. طه محمد الجندي، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م، ص ٢.

(٢) يُنظر في ذلك: شرح الكافية، الرضي، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٩٩٦ م، ٢ / ٢٣٣، والمصدر المسؤول "بحث في التركيب والدلالة" ص ١٤-٩، حيث الإشارة إلى ذلك، وأنَّه لا مصدر لغير المتصرف.

(٣) سورة المزمل، من الآية ٢٠.

تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(١)، وقولنا: علِمْتُ أَنَّكَ تَقُومُ، وهو مَا يدلُّ على أَنَّ ثَمَّةَ معنًى، قَصَدَهُ الشَّاعِرُ، على تَحْوِي مَا سَبَقَ^(٢)، مُضَافًا إلى ذلك أَنَّ التَّعْبِيرَ بِالْمَصْدِرِ الْمُؤَوَّلِ دُونَ الصَّرِيحِ قَدْ أَسْهَمَ فِي اسْتِقَامَةِ وَزْنِ الْخَفِيفِ فِي اتِّجَاهِ صِحَّةِ الْقَافِيَّةِ، بِرَوْيِهَا الْمُرَادُ، وَأَسْهَمَ فِي اسْتِطَالَةِ التَّرْكِيبِ، وَفِي التَّرَابِطِ، مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْمَفْعُولَ مُرْكَبٌ اسْنَمِيٌّ مِنْ الْمَصْدِرِ الْمُؤَوَّلِ، فَيُمْتَنَعُ تَقْدِيمُهُ، وَيَنْبَغِي الالتِّزَامُ بِهَذَا الْوَضْعِ، وَهَذَا الالتِّزَامُ يُؤَدِّي مَعْنَى مِنْ التَّرَابِطِ وَالْتَّمَاسِكِ، لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِهِ^(٣).

وَهَذَا أَسْهَمَ الْمَفْعُولَ بِهِ فِي تَقْيِيدِهِ الْفِعْلَ لَدِيِّ يُوسُفُ أَبِي سَعْدٍ؛ وَمِنْ ثَمَّ فِي إِطَالَةِ الْبَنَاءِ وَتَرَابِطِ التَّرْكِيبِ، سَوَاءً أَكَانَ ضَمِيرًا أَمْ غَيْرَ ضَمِيرٍ، وَسَوَاءً أَكَانَ مُقَدَّمًا وَجُوبًا أَمْ جَوَازًا، أَمْ كَانَ فِي مَكَانِهِ الطَّبِيعِيِّ مِنَ الْجُمْلَةِ، فِي حِشْوِ الْبَيْتِ أَوْ فِي عَرْوَضِهِ أَوْ فِي ضَرِبِهِ . وَبِالإِضَافَةِ إِلَى كَوْنِ الْمَفْعُولِ اسْمًا ظَاهِرًا صَرِيحًا، فَقَدْ وَرَدَ مُؤَوِّلًا بِالصَّرِيحِ، مِنْ بَابِ كَوْنِ (أَنْ) الْخَفِيفَةِ النَّاصِبَةِ لِلْمَضَارِعِ مَسْبُوقَةً بِأَفْعَالٍ تَدْلِي عَلَى الطَّمَعِ وَالْإِشْفَاقِ، لَا الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ وَنَحْوَهُمَا، وَهُوَ مَا يَدْلِي عَلَى أَنَّ لَكُلَّ صِيغَةٍ أَوْ ضَرْبٍ مِنْ ضَرُوبِ التَّعْبِيرِ مَعْنَى يُرَادُ مِنْهَا، وَهَدِفًا دَلَالِيًّا مَقْصُودًا فِيهَا، عَلَى نَحْوِ مَا سَبَقَ مِنْ تَحْلِيلٍ؛ وَمِنْ ثَمَّ حُقُّ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ أَنَّ يَقُولُ: "الشَّعْرَاءُ أُمْرَاءُ الْكَلَامِ، يَصْرُفُونَهُ أَتْيَ شَاعِرًا؛ وَجَائِزُ لَهُمْ مَا لَا يَجُوزُ لِغَيْرِهِمْ، مِنْ إِطْلَاقِ الْمَعْنَى وَتَقْيِيدِهِ، وَمِنْ تَصْرِيفِ الْلَّفْظِ وَتَعْقِيدهِ، وَمَدْ مَقْصُورَهُ، وَقَصْرُ مَمْدُودَهُ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ لُغَاتِهِ، وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ صِفَاتِهِ"^(٤)؛ وَمِنْ ثَمَّ تَبَيَّنَ أَنَّ الْمَفْعُولَ بِهِ هُوَ الْغَايَةُ وَالْفَصْنُ - لَا يَمْكُثُ الْاِسْتِغْنَاءُ عَنْهُ فِيمَا جَاءَ فِيهِ مَذْكُورًا - غَيْرَ مَحْنُوفٍ إِيجَارًا أَوْ اخْتَصَارًا - فَلَيْسَ ذِكْرُهُ وَحْدَهُ سَوَاءً، وَلَكِنَّ قَوْلَ النَّحَاةِ إِنَّهُ فَضْلَةٌ مِنْ بَابِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْعَنْصُرِ

(١) سورة النور، من الآية ٢٥.

(٢) يُنْظَرُ في ذلك: شَرْحُ الْمُفْصَلِ، ابن يعيش / ٨ / ٧٧، والمقصود في شَرْحِ الإِيْضَاحِ، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق د. كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة العراقية، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، ١٩٨٢ م، ١ / ٤٨٢ - ٤٨٣، والمصدر المُؤَوَّل "بحث في التركيب والدلالة" ص ١٥ - ١٩.

(٣) يُنْظَرُ: بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة، ص ١٤٣.

(٤) زهر الأدب وثمر الألباب، الحصري القيرولي، ٦٩٧ / ٣.

الذي تتكون به الجملة وغيره، على نحو ما أشير بمدخل البحث؛ من منطلق أنَّ ثمة فرقاً بين النَّظام النَّحويِّ، والحدثِ اللُّغويِّ.

المطلب الثاني: تقييد الفعل بالمفعول فيه

قد يُقيِّدُ الفعل بالمفعول فيه؛ أي بظرفِ الزَّمانِ أو المَكَانِ، من منطلق أنَّها "ظُرُوفٌ" تقعُ فيها الأشياءُ، وتكونُ فيها، فانتصَبَ؛ لأنَّه موقعُ فيها، ومكوَّنُ فيها، وعملَ فيها مَا قبلها" (١)، وهو مَا لَجَأَ إِلَيْهِ يُوسُفُ أبو سَعْدٍ، على نَحوِ مَا جاءَ في قوله (٢) : (من البسيط)

نَضَاحَةً بِعَضِيضِ الْكَرْمِ وَالْكَرْمِ
هِيَ الْحَسَاءُ وَمَا أَذَى حَمَائِلَهَا!
أَنْ يَرْفَعُوهَا إِلَى عَالٍ عَلَى الْأَطْمِ
أَنَاشِدُ الْيَوْمِ إِخْوَانِي الشَّبَابَ بِهَا
فَهَذَا الْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ (هِيَ الْحَسَاءُ)، وَفِي الثَّانِي مِنْهُمَا ثُلِحَظَ أَنَّ
قولَهُ: (أَنَاشِدُ الْيَوْمِ إِخْوَانِي) جَمْلَةٌ فِعلِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ مُثبَّتَةٌ، صُورَةٌ نَمَطُهَا: (فِعلٌ + فَاعِلٌ +

(١) الكتاب، سيبويه ٤٠٣ / ٤٠٤ ، ويُنظر: المقتضب ١٠٢/٣ ، وأمالى ابن الشجري، ابن الشجري، تحقيق د. محمود الطناхи، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ، ٥٧٦ / ٥٧٧ ، وشرح المفصل، لابن يعيش ٤٥ / ٤٦ ، وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الصبان"محمد بن عليٍّ ت ١٢٠٦ هـ" ، تحقيق طه عبد الرؤف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د. ت، ١٨٤/٢ ، وبناء الجملة العربية، للدكتور محمد حماسة ص ٦٦ ، مع ملاحظة أنَّ ثمة ظروفاً تخرجُ عن الظرفية مُشبَّهةً بالمفعول به، فلا يُقدِّرُ فيها معنى (في)، لكنَّها لا تخلُصُ مِنْ معنى (في) على الإطلاق، بدليل أنَّه يُبقَى على معنى (في) دون تقديرها، واستمرار تقديرها متى أردنا ذلك؛ أي أنَّها إذا قدرَتْ فهو ظرفٌ، وإن لم تقدر فهو مُشبَّهٌ بالمفعول به، بسببِ بقاء معنى (في): يُنظر المصادر السَّابِقة، وكذلك: الظرف المُشبَّه بالمفعول به"حقيقة وأحكامه وفوائده"، د. مؤمن بن صبرى غنام، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، مكة، السعودية، ج ١٨، ع ٣٧، ١٤٢٧ هـ، ص ٣٥٧ - ٣٦٤.

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني ١٥ / ٢٣٢ ، ويُنظر به أيضاً، ١٠ ، ٩٧/١١ ، ٩٩ / ٩ ، ١٢٠ / ٩ ، ١٥٣ / ٨ ، ٣٠٩ / ٨ ، ويُنظر: المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثالث"الرمل والماء والحمأ المسنون" ، مطبع الكفاح الحديثة، الأحساء، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ٢٣٧ / ٧ ، والأطْمِ: حصنٌ مبنِيٌّ بحجارة، وقيل: هو كُلُّ بيت مُربَع مُسَطَّح، وقيل: الأطْمِ مثل الأجمَم، يخفف ويتنَقَّل، والجمع القليلُ أطامٌ وأجامٌ؛ قال الأعشى:
فَإِنَّمَا أَنْتَ أَطامٌ جَوْ وَأَهْلَهُ، أَنْيَخْتَ فَالْقُلْتَ رَخْلَهَا بِفَنَانِكَا
والكثيرُ أطُومٌ، وهي حُصونٌ لأَهْلِ المدينه: لسان العرب (أطِم).

ظرف زمان + مفعول به + مضاد إليه)، وهو ما يتضح من خلاله أنَّ ظرف المكان (اليوم) قد جاء مقيداً زمان حدوث الفعل (المُناشدة) مطيلاً بناء الجملة تبعاً للمعنى المراد التعبير عنه، فتصنَّ على أنَّ زمن مُناشدة الشاعر إخوانه الشباب لأنَّ يزفُّونا ذكرها عالياً كالأعلام المرفوعة على الحصون المبنية من الحجارة، ليس موجلاً أو على السُّعة، بل إنَّها مُناشدة في يوم التكليم، فكان ثمة تحديد زمانيًّا لهذه المُناشدة ودلالة على أهميَّة الزمان لدى الشاعر مُسْتَهِماً من جانب في استقامته وزن البسيط واستقرار القافية بهذا الاختيار المُعجمي ذي الحرف المحدد رؤياً، ومن جانب آخر أُسْتَهِمَ في استطالة التركيب، وترتبط الظرف مع الفعل، من خلال كونه منصوياً - وهو حالة مشتركة بين المفعول فيه وغيره، ولكنها مهمَّة في تقسيمه على أنَّه ظرف أو مفعول فيه؛ لأنَّ الاسم لو دلَّ على الظرفية، ولم يكن منصوياً لم يُفسِّر في التحو على أنه ظرف" (١) - وكونه ظرفاً مُختصاً صالحًا للظرفية، مُتضمناً معنى (في) (٢).

أما عن الاستطالة والترتبط من خلال المقييد المكاني لل فعل، فمثالها قوله (٣): (من الخيف)

رحْلَةُ الْعُمْرِ خَلْفَ وَمَضِ السَّرَابِ هَلْ سَتَّصْنُو وَتَثْتَثِي لِلإِيَابِ؟	أَيُّهَا السَّادِرُ الَّذِي أَتَعَبَّثُ قَدْ أَضَعَّتِ الشَّبَابَ يَا لَهْفَ نَفْسِي!
---	--

فهذا النبيان من قصيدة (في سبيل العلا)، وفي الأول منها يتضح أنَّ جملة (أَتَعَبَّثُ رحْلَةُ الْعُمْرِ خَلْفَ وَمَضِ السَّرَابِ) جملة فعلية خبرية مثبتة ذات فعل متعدَّ، صورة تَمَطِّها: فعل + مفعول به + فاعل + مضاد إليه + ظرف مكان + مضاد إليه متكرر، ومن خلالها يتضح أنَّ الفعل المتعدد (أَتَعَبَّ) قد قيد بالمفعول به (الهاء في أَتَعَبَّ)، وقيد مكان حدوثه أيضاً بظرف المكان (خلف)، فكان ظرفاً، وقع فيه

(١) ينظر: بناء الجملة الغريبة ص ١٥٠ - ١٥٣.

(٢) السابق ص ١٥٠.

(٣) المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني / ٢، ٢٦١، ويتذكر به أيضاً ٣، ٧، ٧٨ / ١٣، ٨، ١٣، ٩٩ / ١١، ٨٣ / ١٢٩.

تعَبُ الرِّحْلَةِ شاعرنا أبا سعِد، مُقِيداً مكان حدوث الفِعل، مُسْهِمًا في استطاله بناء الجملة طبقاً لِما أُريدَ مِنْ معنى، مفاده أَنَّهُ يُنادي هذا الذي لا يبالي مَا صَنَعَ، ولا يهتمُ بشَيْءٍ، مُنبهاً إِيَاهُ إِلَى أَنَّ رِحْلَةَ عُمْرِهِ خَلْفَ السَّرَابِ الذي يغريه بِلِمَعَانِهِ، قد أَتَعَبَتْهُ وَأَنْهَكَتْهُ، فَأَضَاعَ شَبَابَهُ، فَهَلْ سَتَفِيقُ أَيْهَا السَّادِرِ مِنْ ثُباتِكَ، وَتَنَصَّاعُ لِلرجوعِ عن اللَّهِتِ خَلْفَ لِمَعَانِ السَّرَابِ؟

هذا، وبجانب كون الظرفِ مُسْهِمًا في استطاله التركيب في اتجاه المعنى، وكونه مترابطاً مع فعله - مِنْ خالِلِ كَوْنِهِ مَنْصُوبًا، وكونه ظرفاً مُخْتَصاً صالحًا للظرفية، مُتضمناً معنى (في) - نجده مُسْهِمًا أيضًا في استقامة وزن الخفيف. وإن أَنَّسَ لا أَنسَى الإشارة إلى أن التقييد بالظرف قد تعاون معه مُقِيد آخر للفعل، وهو التقييد بالمحض به (الضمير في أَتَعَبَتْهُ) مُسْهِمًا أيضًا في استقامة الوزن وصححة القافية بِرَوْيِهَا المُراد، وهو مَا يُبَرِّهنُ على أَنَّهُ قد يجتمع أكثر مِنْ مُقِيد للفعل الواحد.

ولئن كان ظرف المكان المُقِيد الفعل قد جاء في البيت السابق بعد الفعل، فإن الشاعر قد استثمر مرونة النظام التحوي في جواز تقديمِه، في إطار خدمة المعنى التصني والتسمية الشعري معاً، فها هو يقول في قصيدة (رياض العلم) (١): (من الوفر)
 وَخَلْفَ وَمِنْضِهِ يَغْفُو الدَّمَارُ
 وَلَا يَغْرِزَكَ فِي الدُّنْيَا بَرِيقَ

وهو ما يتضح من خلاله أَنَّ ظرف المكان، في قوله: (خلف ومضيه يغفو الدمار) متعلق بالفعل (يغفو) مُقيداً إِيَاهُ، مُتقدماً عليه، مترابطاً معه، مُسْهِمًا في ترابط التركيب واستطالته، واستقامة الوزن وصححة القافية، بِرَوْيِهَا المُراد، في إطار ما أراده الشاعر من معنى، مفاده توجيه حديثه للمخاطب بِأَنَّ لَا يَخْدُعَهُ مَا يَبْرُقُ، ويقعُ خلف لمعانِهِ دمار يطفو كالشَّيء فوق الماء، مِنْ مُنْطلق أَنَّ البنية الأساسية لهذا التركيب: يغفو الدمار خلف ومضيه؛ ومن ثمَّ كان ترتيب الكلم في بيت الشاعر على طريقة معلومة، مُرتبة على المعاني المترتبة في النفس، وهو ما

(١) المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني ١٢٩ / ٥.

عليه "وَضَعَتْ الْمَرَاتِبُ وَالْمَنَازِلُ فِي الْجُمْلِ الْمُرْكَبَةِ وَأَقْسَامِ الْكَلَامِ الْمُدَوَّنَةِ، فَقِيلَ: مِنْ حَقٍّ هَذَا أَنْ يَسْبِقَ ذَلِكَ، وَمِنْ حَقٍّ مَا هَهَا أَنْ يَقْعُدَ هَنَاكَ، كَمَا قِيلَ فِي الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ وَالْمَفْعُولِ وَالْفَاعِلِ، حَتَّى حُظِرَ فِي جِنْسٍ مِنَ الْكَلِمِ بَعْيِنَهُ أَنْ يَقْعُدَ إِلَّا سَابِقًا، وَفِي آخَرَ أَنْ يَوْجَدَ إِلَّا مَبْنِيًّا عَلَى غَيْرِهِ وَبِهِ لَا حِقًا" (١).

المَطْلَبُ التَّالِثُ: تَقييدُ الفِعْلِ بِالْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ

قد يُقَيِّدُ الفِعْلُ بِالْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ؛ لِبَيَانِ عِلْمِهِ حُدُوثِهِ، وَهُوَ مَا تَناولَهُ سَيِّبوُهُ فِي قَوْلِهِ: "هَذَا بَابُ مَا يَنْتَصِبُ مِنَ الْمَصَادِرِ؛ لِأَنَّهُ عُذْرٌ لَوْقُوعِ الْأَمْرِ، فَإِنْتَصَبَ لِأَنَّهُ مَوْقِعٌ لَهُ؛ وَلِأَنَّهُ تَقْسِيرٌ لِمَا قَبْلَهُ لَمْ كَانَ؟ وَلَيْسَ بِصِفَةٍ لِمَا قَبْلَهُ وَلَا مِنْهُ، فَإِنْتَصَبَ كَمَا انتَصَبَ الدَّرْهَمُ فِي قَوْلِكَ عِشْرُونَ دِرْهَمًا. وَذَلِكَ قَوْلُكَ: فَعَلْتُ ذَاكَ حِذَارَ الشَّرِّ، وَفَعَلْتُ ذَلِكَ مَخَافَةً فَلَانِ وَادْخَارَ فَلَانِ" (٢)، وَهُوَ مَا لَجَأَ إِلَيْهِ (عبدُ اللَّطِيفُ أَبُو سَعْدٍ)، عَلَى تَحْوِي مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ (٣) (مِنَ الْوَافِرِ)

كَذَاكَ اللَّيْلُ يَتَلَوُهُ النَّهَارُ
وَهِمْنَا بِإِرْتِشَافِ الْعِلْمِ حُبًّا

تَجَلَّ الْعِلْمُ بَعْدَ الْجَهَلِ فِينَا

فَهَذَا الْبَيَانُ مِنْ قَصِيَّدَةِ (فِي رِيَاضِ الْعِلْمِ)، وَفِي التَّانِي مِنْهُمَا نُلَاحِظُ أَنَّهُ قد لَجَأَ إِلَى اسْتِخْدَامِ عَثْصِرٍ غَيْرِ إِسْنَادِيٍّ، يَتَمَثَّلُ فِي الْمَفْعُولِ لَهُ أَوْ الْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ. وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ الْمُبْتَدَأِةِ (هِمْنَا بِإِرْتِشَافِ الْعِلْمِ حُبًّا) الْمُتَّخَذَةِ ثَمَّةً: (الفِعْلُ + الْفَاعِلُ + الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ + الْمُضَافُ إِلَيْهِ + الْمَفْعُولُ لِأَجْلِهِ)، وَهُوَ مَا

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق محمود شاكر، مطبعة المدنى، جدة، السعودية، ١٤١٢ هـ، ص ٥، وينظر: مستويات بناء صورة المعنى في العقل البلاغي، محمود سعد، ص ١٣٥ - ١٣٧.

(٢) الكتاب، سَيِّبوُهُ، ١ / ٣٦٧، وينظر: المقتضى في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني "ت ٤٧١ هـ" ، ١ / ٦٦٥، وشرح المفصل، ابن يعيش ١ / ٤٤٩، وشرح التصریح على التوضیح، خالد الأزهري، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ١ / ٥٠٩.

(٣) المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني ٤ / ٤، ١٣١، وينظر به أيضًا ١٤، ١٢، ٧٣ / ١٤، ١٠١ / ٨، ١١٠ / ٨، ١٥٢ / ٣، ٢، ١١٠، ١٥٣ / ١٠، ١٥٨ / ١٠، ١٥٨ / ٤، ١٦١ / ٤، ١٧٩ / ٨، ١٨٢ / ١٥، ١٧٩ / ٨، ٢٣١ / ٦، ٢١٣ / ١١، ٢٠٩ /

يُضِّحِّ منْ خِلَالِهِ أَنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَجْعَلَ الْفِعْلَ (هَامَ) مُطْلَقًا بِغَيْرِ تَقيِّيدٍ، يُوضَّحُ عِلْمًا حُدُوثَهُ، فَأَتَى بِالْمَصْدَرِ الْقَلْبِيِّ (حُبًّا) الْمُخَالِفِ مَادَةَ فِعْلِهِ (هَامَ)، الْمُنْتَصِّبِ؛ لَاَنَّهُ مَوْقِعُهُ لَهُ؛ وَلَاَنَّهُ تَفْسِيرٌ لِمَا قَبْلَهُ لَمْ كَانْ؟ مَعَ مُلْاحَظَةِ أَنَّهُ لَيْسَ صِفَةً لِمَا قَبْلَهُ وَلَا مِنْهُ؛ وَمِنْ ثُمَّ كَانْ مُتَحِدًا مَعَ عَالِمِهِ فِي الْوَقْتِ وَالْفَاعِلِ؛ أَيْ أَنَّ الْحُبَّ مُتَحِدٌ مَعَ عَالِمِهِ (هَامَ) فِي الْوَقْتِ وَالْفَاعِلِ الْمُتَمَثِّلِ فِي (نَا) الدَّالَّةِ عَلَى الْفَاعِلِينَ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعُلُوا هَذَا الْفِعْلَ إِلَّا لِعِلْمِ الْحُبِّ غَيْرَ سَاهِينَ أَوْ نَاسِينَ (١).

فَكَانَ مُقَيَّدًا لِلْفِعْلِ - بِجَانِبِ تَقيِّيدِهِ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ - تَلْبِيةً لَطَلْبِ الْمَعْنَى وَالنَّسْجِ الشَّعْرِيِّ فِي آنِ وَاحِدٍ؛ وَمِنْ ثُمَّ كَانَ أَثْرُ هَذَا التَّقْيِيدِ فِي اسْتِطَالَةِ الْبَنَاءِ وَاضْحَى، فِي اتِّجَاهِ الْوَفَاءِ بِالْمَعْنَى الْمُرَادِ، وَفِي اتِّجَاهِ اسْتِوَاءِ النَّسْجِ الشَّعْرِيِّ أَيْضًا، وَاضْعَيْنَ فِي الْحُسْبَانِ أَيْضًا أَنَّ الْوَفَاءَ بِهَذَا الْمَعْنَى الْمُرَادِ - مِنْ خِلَالِ الْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ - يَحْدُو الْإِحْتِيَاطَ لِلْمَعْنَى النَّصِّيِّ؛ كَيْ لَا يَفْهَمُ الْمُتَلَقِّي أَنَّهُمْ هَامُوا حِيَارِي، فَلَمَّا كَانَ الْهَيَامُ هُوَ الْذَّهَابُ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَغَيْرِهِ (٢)، كَالثَّحِيرِ مَثَلًا، فَإِنَّ الْمَفْعُولَ لِأَجْلِهِ قدْ نَصَّ عَلَى الْمُرَادِ لِدِي الشَّاعِرِ، وَهُوَ أَنَّ الْعِلْمَ قدْ وَضَعَ، وَانْتَشَرَ فِيهِمْ بَعْدَ الْجَهَلِ، فَكَانَ بِمَثَابَةِ نُورِ النَّهَارِ بَعْدَ ظُلْمَةِ اللَّيلِ؛ وَمِنْ ثُمَّ هَامُوا فِي الْأَرْضِ، يَتَقَصُّونَ مَظَانَ الْعِلْمِ، مَهْمَا بَعْدَتْ عَنْهُمْ، لَا عَنْ حَيْزِهِ، بَلْ بِسَبِّبِ عِشْقِهِمْ. وَفِي الْوَفَاءِ بِهَذَا الْمَعْنَى مَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ الْمَفْعُولَ لِأَجْلِهِ قدْ تَرَابَطَ مَعَ عَالِمِهِ (هَامَ) مِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ مِنْ حَدِيثٍ عَنْ كَوْنِهِ مَصْدَرًا قَلْبِيًّا، مُخَالِفًا مَادَةَ فِعْلِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا جَعَلَهُ النُّحَا شَرْوَطًا لِلْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ (٣).

(١) يُنْظَرُ: شَرْحُ الْمَفْصِّلِ، ابنُ يَعْيَشِ ٤٥١ / ١، وَشَرْحُ التَّصْرِيفِ عَلَى التَّوْضِيحِ، خَالِدُ الْأَزْهَرِيِّ ٥١٠ / ١.

(٢) يُنْظَرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ، ابنُ مَنْظُورٍ، (هَامَ).

(٣) يُنْظَرُ: بِنَاءُ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، دَمْهُدُ حَمَاسَةُ، صَ ١٤٧ - ١٤٩.

المطلب الرابع: تقييد الفعل بالمفعول معه

من المعلوم أن المفعول معه يختص بالاسم المنصوب الواقع بعد (الواو) التي بمعنى (مع)، وناصبها الفعل قبل الواو (١)، وقد تناوله سيبويه مسمياً إياها أيضاً بالمفعول به، بجانب المفعول معه قائلاً: "هذا باب ما يظهر فيه الفعل، ويتنصب الاسم؛ لأنَّه مفعولٌ معاً، ومفعول به... ومثل ذلك: ما زلت وزيداً حتى فعل، أي: ما زلت بزيدٍ حتى فعل، فهو مفعولٌ به. وما زلت والنيل، أي مع النيل، واستوى الماء والشَّبَّةُ، أي بالشَّبَّةِ" (٢). وهو ما عَلَّه ابن مالك بقوله: "وهذا من أجل أن الباء تساوي (مع) في الدلالة على المصاحبة، كقولك: بعث الفرس سرجه ولجامه، والدار بأثاثها، أي: مع سرجه ولجامه، ومع أثاثها" (٣)، وهو ما يتضح من خلاطه أن قول سيبويه بأن المفعول معه مفعولٌ به كان بالنظر إلى أن الباء تساوي (مع) ، في الدلالة على المصاحبة.

ولما كان ذلك كذلك، فإنه يُعدُّ من مُقيّدات الفعل؛ من جهة بيانه ما يصاحب حدوث الفعل؛ ومن ثمَّ كان المبدع محتاجاً إليه، على نحو ما ورد لدى يوسف أبي سعيد، في قوله (٤): (من البسيط)

جاءت إليك وتبصري في قرارتها
يختال في ثوابها المنسوج من شفقي

(١) يُنظر: الأصول في النحو، لابن السراج "ت ٣٦٥ هـ"، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٦ م، ١ / ٢٠٩ - ٢١٢، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام "جمال الدين بن هشام الأنباري"، ت ٧٦١، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥ م، ٢ / ٢٣٩ - ٢٤٢. ٢٤٣.

(٢) الكتاب ٢٩٧/١ - ٢٩٨، ويُنظر: شرح المفصل ٢ / ٤٨، وشرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، والدكتور محمد بدوي المختارون، دار هجر، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ٢ / ٢٤٧، والواو بين المشاركة والمصاحبة، د. محمد مصباح أَحمد نصر جودة، مجلة كلية اللغة العربية، القاهرة، مصر، العدد السادس والعشرون، ٢٠٠٩ م، ص ١٥١٧.

وما بعدها.

(٣) شرح التسهيل ٢٤٧/٢.

(٤) تقاسيم على زوارق الأيام، يوسف عبد اللطيف أبو سعد، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م، ٢ / ٨.

فَاقْبِلْ هَدِيَّهَا وَالعُذْرَ إِنْ قَصْرَتْ
فَهَذَا الْبَيْتَانِ مِنْ إِهْدَاءِ الشَّاعِرِ الْمُصَدِّرِ بِهِ دِيْوَانَ (تَقَاسِمُ عَلَى زَوَارِقِ الْأَيَّامِ)
وَالَّذِي عَنْوَانُهُ (سَطُورٌ عَلَى جَبَنِ الْوَطَنِ) مُشِيرًا فِيهِمَا إِلَى أَنَّ مَا جَادَتْ بِهِ قَرِيبَتُهُ
مِنْ نَبَضَاتِ شِعْرِيَّةٍ، قَدْ جَاءَتْ إِلَى قَارِئِهِ وَتَبَضَّعَ الشَّاعِرُ فِي قَرَارِتَهَا، يَخْتَالُ فِي
ثَوْبِهَا الْمَنْسُوجِ مِنْ رِقَّةِ الشَّاعِرِ وَحْبَهُ؛ وَمِنْ ثُمَّ يُطَالِبُ الْقَارِئَ بِقَبُولِ هَذِهِ الْهَدِيَّةِ، وَأَنْ
يَقْبِلَ الْعُذْرَ أَيْضًا، إِنْ كَانَتْ لَا تَنْتَاصِبُ مَعَ مَا يَطْمَحُ إِلَيْهِ الْقَارِئُ.

وَلِكَيْ يَتَصَّلُ عَلَى هَذَا الْمَقْصُودِ نَجْدُهُ يَسْتَخْدِمُ الْجُمْلَةَ الطَّلَبِيَّةَ الْفِعْلِيَّةَ (فَاقْبِلْ
هَدِيَّهَا وَالعُذْرَ) الْمُتَّخِذَةَ نَمَطَ (فِعْلُ الْأَمْرِ + الْفَاعِلُ الْمُسْتَتَرُ + الْمَفْعُولُ بِهِ + الْمُضَافُ
إِلَيْهِ + وَالْمُصَاحِبَةُ + الْمَفْعُولُ مَعَهُ)؛ وَذَلِكَ لِنَصْرٍ عَلَى أَنَّ طَلَبَ الشَّاعِرِ مِنْ
الْقَارِئِ قَبْلَ الْعُذْرِ مُصَاحِبٌ لِحَدُوثِهِ، مُسْهِمًا فِي إِطَالَةِ الْبَنَاءِ، فِي إِطَارِ مَا أَرِيدَ مِنْ
مَعْنَى (١). وَيُلَاحِظُ أَنَّ الْمَفْعُولَ مَعَهُ يُمْتَنَعُ تَقْدِيمُهُ عَلَى عَالِمِهِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ
يَقُولَ: (وَالعُذْرَ فَاقْبِلْ هَدِيَّهَا)، عَلَى نَحْوِ امْتَنَاعِهِ فِي حَالَةِ الْعَطْفِ، وَإِنَّمَا يَجُوزُ لَهُ
أَنْ يَقُولَ: (فَاقْبِلْ وَالعُذْرَ هَدِيَّهَا) بِتَقْدِيمِهِ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ؛ لَوْرُودَهُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ،
وَهُوَ مَا يَرَاهُ ابْنُ جَنِيٍّ، وَأَوْيَدُهُ (٢).

وَهُنَا أُشَيِّرُ إِلَى أَنَّ النَّصَّ بِهَذَا الشَّكْلِ التَّرْكِيَّيِّ جُزْءٌ مِنْ الْمَعْنَى النَّصِّيِّ
الْمُشَتَّمِ عَلَى الْوَزْنِ وَالْقَافِيَّةِ الَّذِيْنِ أَسْهَمُوا فِي الْحِفَاظِ عَلَيْهِمَا مَجِيَّهُ التَّرْكِيبِ عَلَى
هَذِهِ الصُّورَةِ، فَلَا يَخْفِي عَلَى الْقَارِئِ الْكَرِيمِ أَنَّ وَزْنَ الْبَيْتِ الثَّانِي وَتَقْطِيعَهُ هَكَذَا:
فَاقْبِلْ هَدِيْنِ / يَتَّهَا / وَلْعُذْرَ إِنْ / قَصْرَتْ
فَمَا لَدَنِي / هَا سِوَى / تَبَضِّي عَلَّ / وَرَقِي
مُتَقْعِلْنِ / فَاعِلْنِ / مُسْتَقْعِلْنِ / فَعِلْنِ

(١) يُنْتَظَر: بِنَاءُ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. محمد حماسة ص ٦١.

(٢) يُنْتَظَر: الخصائص، ابن جَنِيٍّ "أبو الفتح عثمان ابن جَنِيٍّ"، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة
المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٨٨ م، ٣٨٣ / ٢، ٣٨٧، والأصول، لابن السَّراج ١

.٢١٢ - ٢٠٩ /

وهو ما يتضح من خلله أنه لو قال: (وَعَذْرَاهَا إِنْ) لَمَّا اسْتَقَامَ الْوَزْنُ، ولما صحت القافية، في مكانها المراد، وبهذا الرؤي المراد، بهذه اللفظة المعجمية التي تمتلأ أهمية لدى الشاعر؛ من مطلق أن هذه الأوراق حاملة لنبطات قلب الشاعر أو ما جاد به فريحته.

المطلب الخامس: تقييد الفعل بالمفعول المطلق

لما كان الحديث هنا عن التقييد بالمفعول المطلق (١) أو التقييد بال مصدر، بضرورته المختلفة؛ الموكد للفعل، والمبين للنوع، باستثناء المبين لعد مرات حدوث الفعل، فإنه يمكن الإشارة إلى أن المبين لعد مرات حدوث الفعل لم يرد في شعر يوسف أبي سعد.

قال سيبويه: "اعلم أن الفعل الذي لا يتعدى الفاعل يتعدى إلى اسم الحديث الذي أخذ منه؛ لأنَّه إنما يذكر ليَدَّ على الحديث. ألا ترى أن قولك: "قد ذهب بِمنزلة قوله: قد كان منه ذهاباً، وإذا قلت: ضرب عبد الله، لم يستثن أن المفعول زيد أو عمرو، ولا يدل على صنفٍ كما أن ذهبَ قد دلَّ على صنفٍ، وهو الذهاب. وذلك قوله: ذهب عبد الله الذهاب الشديد، وقعد قعدة سوء، وقعد قعدتين. لَمَّا عملَ في الحديث عملَ في المرأة منه والمرأتين وما يكون ضرباً منه، فمن ذلك قعدة الفرقان، واشتمل الصماء، ورجع القهقرى؛ لأنَّه ضربَ من فعله الذي أخذ منه" (٢)، وهو ما يتضح من خلله أن الغرض من المفعول المطلق هو تأكيد عامله وتحديده، إذ التحديد والتوكيد، تعزيز المعنى الذي يفيده الحديث في الفعل، وذلك بإيراد

(١) أشار الرضا، في شرح الكافية ١ / ٢٩٦ إلى أنه سمى مطلقاً؛ لأنَّه ليس مقيداً لكونه مفعولاً حقيقياً بحرف جر، كالمفعول به والمفعول فيه، والمفعول معه، وينظر: بداع الفوائد، لابن القيم الجوزية "أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ت ٧٥١ هـ"، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ٢ / ٥١٢ - ٥١٢.

(٢) الكتاب، سيبويه ١ / ٣٥ - ٣٤، وينظر: شرح المفصل، ابن يعيش ١ / ١١٠.

المصدر المشترك مع الفعل في مادته؛ لأن المصدر هو اسم الحدث، ففي إيراده بعد الفعل تعزيز لعنصر الحدث ومعنى الفعل" (١).

ومثال التقيد بالمفعول المطلق المؤكّد لعامله قول يوسف أبي سعد (٢): (من الطويل)
 وَهَبْتُ صِحَابِي مِنْ حَيَاةِ أَرْبَحَهَا
 بَسَطْتُ لَهُمْ كَفَ الْحَنَانِ لِيَنْزِلُوا
 فَالشَّاعِرُ فِي هذِينِ الْبَيْتَيْنِ، مِنْ قَصِيدَةٍ "جُرْحَانٌ"، يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ قد وَهَبَ
 صِحَابَهُ وَهَاجَ طَيْبَ حَيَاةِهِ، وَأَخْلَصَ لَهُمْ مَحْبَبَةَ وَلَوَاءَهُ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنْ حَنَانِهِ بِسَاطًا؛
 كَيْ يَتَبَوَّءُوا مَكَانًا بِأَعْمَاقِ قَلْبِهِ، وَهَذِهِ الْمَنْزَلَةُ تَقْهِمُ مِنْ خَلَالِ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ
 الْمُتَبَثَّةِ التَّعْلِيَّةِ (لِيَنْزِلُوا بِأَعْمَاقِ قَلْبِيِّ فِي السَّوَيْدَاءِ مَنْزِلًا) الْمُتَخَذِّةِ نَمَطًا (الفعل
 المضارع + الفاعل + الجار وال مجرور + المضاف إليه المتكرر + الجار وال مجرور +
 المفعول المطلق). ومن خلاله يتضح أنّه لما كان الشاعر يريد التأكيد على هذا
 النزول والاحتياط له؛ لئلا يفهم المتألق أنّ الشاعر يطلق النزول كلمة وكفى، فقد
 لجأ إلى تقيد الفعل بالمفعول المطلق (منزلًا)؛ تأكيداً لعامله (نزل) وتحديداً له؛
 فكان أثر ذلك في بناء النصّ أن استطال التركيب، بالإضافة إلى استطالته بالجار
 والمجرور المتكرر والمضاف إليه؛ اتساقاً مع ما أراد من معنى، على نحو ما
 سبق.

هذا بالإضافة إلى أنّ الشاعر قد استثمر هذه الإطالة؛ لترتكز كلمة القافية
 الحاملة وظيفة المفعول المطلق في مكانها، منبهاً على أهميتها له، ومحققاً ما أراده

(١) اللغة العربية معناها وبناؤها، د/ تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، ص ١٩٨.

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني ٤ / ١٠١، وينظر به أيضاً ١٦ / ١٢٦، ١٣٧ / ٧، ١٣٨ / ٨، ١٣٨، ١٣٩ / ٤، ١٣٩ / ٨، ٢٤٦، والأرجح والأريح: توهج ريح الطيب، ومحضر
 الرجل وأمحضه: سقاه لبنا محضر لا ماء فيه، وسود القلب وسوديه وأسوده وسوداؤه: حبّه،
 وقيل: دمه. يقال: رميته فأصبّت سواد قلبه؛ وإذا صغّروه ردوه إلى سواداء، ولا يقولون سوداء
 قلبه: لسان العرب (أرج، محض، سود).

رويًّا لقصيده؛ ومن ثُمَّ استقام الوزن، وصحتِ القافية، فمَنْ المعلوم أنَّ وزن البيت،
وتقطيعه هكذا:

بَسَطْتُ / لَهُمْ كَفْلٌ / حَنَانٍ / لَيَنْزِلُونَ
بِأَعْمَاء / قَلْبِيْفِسْ / سُوَيْدَا / عِمَّنْزَلَنَ
فَعُولُنَ / مَفَاعِيْنَ / فَعُولُ / مَفَاعِلُنَ
أَمَا لو قال: لَيَنْزِلُوا مَنْزَلًا بِأَعْمَاقِ قَلْبِي في السَّوَيْدَاءِ، لَمَّا استقام الوزن، ولما
صَحَّتِ القافية، برويًّا المِرَادُ. هذا، ومن الجدير بالذكر أنَّ المفعول المطلق (منزلًا)
قد ترابط مع فعله، من خلال العلامة الإعرابية، وكُونِه مصدرًا للفعل المذكور،
وكُونِه فضلة، متأخرًا عن فعله (١).

وَقَبْلَ أَنْ أَبْرَخَ هَذَا الْمَكَانَ أُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قَوْلَنَا: إِنَّ الْمَصْدَرَ
الْمُقِيدَ (مَنْزَلًا) مُؤَكِّدٌ لِعَامِلِهِ، فَإِنَّ الرَّضِيَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالْتَّاكِيدِ تَأْكِيدُ الْمَصْدَرِ
الَّذِي هُوَ مَضْمُونُ الْفِعْلِ، فَقَالَ: "الْمَرَادُ بِالْتَّاكِيدِ الْمَصْدَرُ الَّذِي هُوَ مَضْمُونُ الْفِعْلِ،
بِلَا زِيادةِ شَيْءٍ عَلَيْهِ، مِنْ وَصْفٍ أَوْ عَدٍّ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ تَأْكِيدٌ لِذَلِكَ الْمَصْدَرِ
الْمَضْمُونِ، لِكُلِّهِمْ سَمَوْهُ تَأْكِيدًا لِلْفِعْلِ تَوْسِعًا". فَقُولُكَ: ضَرِبْتُ بِمَعْنَى: أَحْدَثْتُ ضَرْبًا،
فَلَمَّا ذَكَرْتَ بَعْدَهُ ضَرْبًا، صَارَ بِمَنْزَلَةِ قَوْلِكَ: أَحْدَثْتُ ضَرْبًا ضَرْبًا، فَظَهَرَ أَنَّهُ تَأْكِيدٌ
لِلْمَصْدَرِ الْمَضْمُونِ وَحْدَهُ، لَا لِلْإِخْبَارِ وَالزَّمَانِ الَّذِينِ تَضَمَّنُوهُمَا الْفِعْلُ" (٢).

وهنا أُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ تَأْكِيدًا لِلْمَصْدَرِ الْمَضْمُونِ، كَأَنَّا قَلَنَا: ضَرَبْتُ
بِمَعْنَى: أَحْدَثْتُ ضَرْبًا، فَلَمَّا ذَكَرْتَ بَعْدَهُ ضَرْبًا، صَارَ بِمَنْزَلَةِ قَوْلِكَ: أَحْدَثْتُ ضَرْبًا
ضَرْبًا، فَإِنِّي أَرَى أَنَّ الضَّرْبَ هُوَ حَدَثٌ مِمَّا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْفِعْلُ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى
الْحَدَثِ وَالزَّمَانِ مَعًا؛ وَمَنْ ثُمَّ فَلَا مَانِعَ مِنَ القَوْلِ بِأَنَّهُ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِعَامِلِهِ أَوْ لِفِعْلِهِ.
يُؤازِّنِي فِي ذَلِكَ قَوْلُ أَسْتَاذِي الدَّكتُورِ مُحَمَّدِ حَمَاسَة: "وَمِمَّا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فَإِنَّ
الْمَصْدَرَ الْمُؤَكِّدُ تَقْيِيدٌ لِجِهَةٍ مِنْ جهاتِ الْفِعْلِ عَلَى هَذَا الْفَهْمِ الَّذِي قَدَّمَهُ الرَّضِيُّ،

(١) يُنْظَرُ: بِنَاءُ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، دِبْرُ مُحَمَّدِ حَمَاسَةِ، صِدَرَ ١٤٦ - ١٤٧.

(٢) شَرْحُ الْكَافِيَّةِ، الرَّضِيُّ ١ / ٢٩٨، وَقَدْ تَابَعَهُ الْأَزْهَرِيُّ فِي شَرْحِ التَّصْرِيفِ ١ / ٣٢٣، وَيُنْظَرُ:
أَقْسَامُ الْمَفْعُولِ الْمُطْلُقِ بَيْنَ النَّحَةِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ، دِبْاَضُلُ السَّامِرَائِيُّ، مَجَلَّةُ آدَابِ الْمُسْتَقْرِيَّةِ،
بَغْدَادُ، عَرَاقُ، الْعَدْدُ الْعَاشِرُ، ١٩٨٤ مَ، صِدَرَ ٨١ وَمَا بَعْدَهَا.

ومن قبله سيبويه؛ لأنَّ هذا النوع من التوكيد يرفع التجوُز أو توهُم التجوُز الذي قد يفهم عند عدم ذكره. فإذا قلت: "ضربي زيداً"، فقد يفهم منه أنَّ الفعل مُستعمل على معنى غير معنى الضرب الحقيقى بأن يكون مُستعملاً على جهة المجاز، وعند ذكر المفعول المطلق المؤكَد للفعل يُرفع هذا التجوُز أو توهُمه" (١).

ومثال التقييد بالمفعول المطلق المبين للنوع قولُ يُوسُفُ أَبِي سَعْدٍ (٢): (من الخفي)

تَابِغُ الشَّجَأَ كَثِيفُ الدُّجُونِ

كَيْفَ تَحْيَا وَمَا حَوَالَكَ لَيْلٌ

عَيْشَ ذُلُّ كَأْجَرِ بِمُسْتَكِينِ

مُتْ بِعَيْظِيْ أَوْ عِشْ وَأَنْتَ وَضِيقَ

إِنَّمَا ذَاكَ خِصْنَةُ الْمَأْفُونِ

لَيْسَ حُبُّ الْأَذَى بِطَبَعِ رَزِّيْنِ

فهذه الأبيات من قصيدة إنْ كُنْتَ رِحَا، فقد لاقت إعصاراً، وفي إطار الاهتمام بالبعد المقامي للكلام أشير إلى أنَّ الشاعر نسجها للذين استولى حُبُّ الأذى والضيائِن على قلوبِهم، فجعلوا الناسَ غَرَضاً لأحقادِهم وهدفاً لِبنالِهم، ظانينَ أنَّهم وحْدهم هم الأقوباء، ومن سواهم ضُعفاء (٣).

وفيها يُوجَّه حديثه إلى هذا الذي استولى حُبُّ الأذى والضيائِن على قلبه مستكراً عليه حياته وتتعهَّم متعجباً من ذلك، على الرغم من أنَّ حياة من ظلمهم قد تحولت حولة إلى ليلٍ، قد عَظَم هُمَّه وحزنه، قد اشتَدَّ ظلمُه كظلمة اليوم المطير، قد كثُرَ ظُلُلُ الغيوم فيه، فأليس الأرض، لكنَّ الشاعر يقف قوياً في وجه هذا الظالم وأمثاله قائلاً له: أنت بين خيارين، إما أنْ تموت حيَا بِعَيْظِكَ أو تعيش دَنِيَاً بين الناسِ، غير شريفٍ.

(١) بناء الجملة العربية ص ٦٢، ويُنظر: حاشية الصبان، الصبان، ٢ / ١٦٠.

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني، ١٧١ / ١٠، ويُنظر به أيضاً ١ / ١٢٠، ٢ / ١٣٧، ٢ / ١٢٠، ١٠ / ١٧١.

١٥ / ١٥٦، ١٧٥ / ١١، ٢٠٧ / ٢، ٢٢٦ / ٤، ٢٠٧ / ٢، ١٢ / ١٢، ٢٣١ / ٤، ٢٣٣ / ٤، ٢٤٥ / ١٤، ٢٤٥ / ١٤، ٢٧٠ / ١٤.

المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثالث، ٦ / ٧، ٦ / ٧، ٦ / ١٥٩، ٦ / ١٥٩، ٦ / ١٦٠.

(٣) يُنظر: المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني ص ١٧٠ حيث مقدمة الشاعر لهذه القصيدة،

ومستويات بناء صورة المعنى في العقل البلاغي، محمود توفيق محمد سعد، ص ١٢٤.

هذا، ولِكَيْ يَبْيَّنَ (أَبُو سَعْدٍ) نَوْعَ عِيشِ هَذَا الوضِيع لَجَأَ إِلَى عَنْصُرٍ غَيْرِ إِسْنادِيٍّ يَبْيَّنُ النَّوْعَ، وَهُوَ الْمَفْعُولُ الْمُطْلَقُ الْمُبَيْنُ لِلنَّوْعِ؛ أَيِّ الْمُبَيْنُ لِلنَّوْعِ الْمَصْنَدِرُ أَوْ نَوْعُ الْحَدِيثِ الْمُسْتَقَدِ مِنَ الْمَصْنَدِرِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ الْمُتَبَثَّةِ (عِيشْ وَأَنْتَ وَضِيقْ عِيشَ ذُلْ) الْمُتَخَذِّةِ نَمَطًا (الْفِعْلُ الْلَّازِمُ + الْفَاعِلُ الْمُسْتَنْتَرُ + جَمْلَةُ الْحَالِ "مِبْدَأٌ + خَبَرٌ" + الْمَفْعُولُ الْمُطْلَقُ الْمُبَيْنُ لِلنَّوْعِ + الْمُضَافُ إِلَيْهِ)، وَمِنْ خِلَالِهَا يَتَّسِعُ أَنَّ نَوْعَ عِيشِ هَذَا الوضِيع لَيْسَ فِيهِ عِزَّةٌ، بَلْ فِيهِ كُلُّ الذُّلِّ وَالْانْكِسَارِ، بِسَبَبِ كُرْهِ النَّاسِ لَهُ، كَالْأَجْرِبِ الْمُسْتَكِينِ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ، مِمَّا هُوَ فِيهِ، وَهَذَا مَا يَقْهُمُ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، الَّذِي أَفَادَ التَّشَبِيهَ، قَالَ أَبُو عَلَيِّ الْفَارَسِيُّ "إِذَا قُلْتَ: ضَرَبَهُ ضَرِبَ زِيدٍ عَمْرًا، وَضَرَبَ الْأَمْيَرَ اللَّصَّ، فَالْمَعْنَى: ضَرَبَهُ ضَرِبَاتٍ مِثْلَ ضَرَبَ الْأَمْيَرِ اللَّصَّ، وَلَا يَجُوزُ انتِصَابُهُ عَلَى حَدِّ ضَرَبَتْهُ ضَرِبَاتٍ؛ لِأَنَّهُ لَا أَفْعُلُ فِعْلًا غَيْرِيِّ، وَلَكِنْ قَدْ أَفْعَلُ مِثْلَ فِعْلِهِ" (١)، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَمِّ﴾ (٢)، أَيْ: شُرْبًا مِثْلَ شُرْبِ الْهَمِّ.

هذا، وَلَمَّا كَانَ الْمَفْعُولُ الْمُطْلَقُ الْمُبَيْنُ لِلنَّوْعِ يَأْتِي مُضَافًا - عَلَى نَحْوِ مَا سَبَقَ - وَمُوْصُوفًا، وَمُعْرَفًا بِأَلِ الْعَهْدِيَّةِ، فَمِنَ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ مَا وَرَدَ بِشِعْرِ يُوسُفِ أَبْيَ سَعْدٍ كَانَ مِنَ الْمُضَافِ وَالْمَوْصُوفِ، وَقَدْ تَفَوَّقَ الْمُضَافُ عَلَى الْمَوْصُوفِ؛ وَذَلِكَ - فِيمَا أَرَى - راجِعٌ إِلَى مَا يَحْمِلُهُ الْمُضَافُ مِنْ معْنَى التَّشَبِيهِ، وَهُوَ مَا يُضْنِي عَلَى الْحَدِيثِ تَحْدِيدًا وَتَقْيِيدًا، عَلَى تَحْوِ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ: (عِيشْ وَأَنْتَ وَضِيقْ عِيشَ ذُلْ) أَيْ عِيشًا مُشَبِّهًا بِعِيشِ الْأَذْلَاءِ، وَهُوَ مَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ

(١) الإيضاح العضدي، أَبُو عَلَيِّ الْفَارَسِيُّ، تَحْقِيق د. حَسَن فَرْهُود، عَمَادَةُ شُؤُونِ الْمَكَتَبَاتِ، جَامِعَةُ الرِّيَاضِ، الرِّيَاضُ، السُّعُودِيَّةُ، الطِّبْيَّةُ الْأُولَى، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م، ١ / ١٦٨، وَيُنَظَّرُ: الْمَقْتَضَى فِي شَرْحِ الإِيضَاحِ، عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجَرجَانِيُّ، ١ / ٥٨٨.

(٢) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ، الآيَةُ ٥٥.

تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَرْجِنَ تَرْجُحَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» (١)، أي ترجحاً مثل ترجح النساء في الجاهلية القديمة قبل الإسلام (٢).

هنا أجدني توافقاً إلى القول بأن المفعول المطلق قد أثر في بناء النص، من حيث استطاله التركيب، مما أعطى فرصةً للشاعر، كي يعبر عن مقصده، بالإضافة إلى الإسهام في استقامة وزن الخفيف وصحة القافية، وكونه مترابطاً مع فعله (عش)، من خلال العلامة الإعرابية، وكونه مصدراً للفعل المذكور، وكونه فضلاً، متأخراً عن فعله.

المطلب السادس: تقييد الفعل بالحال

لما كان ما سبق بياناً لتقييد الفعل بالمفعولات؛ مما أدى إلى استطاله البناء وتراصده، فإنه من الجدير بالذكر الإشارة إلى أن المبدع قد يلجأ أحياناً إلى عناصر آخر، غير إسنادية، تقييد الفعل، وهي الحال، والمستثنى، وتمييز النسبة. وفيما يتصل بالحال نجد (يوسف عبد اللطيف أبا سعد) قد استعان به في ديوانه، وذلك في الحشو، والعروض، والضرب، مفرداً، وجملةً بنوعيها، وشببة جملة. ومثال التقييد بالحال المفرد ما جاء في قصيدة (جهاد وربيع) حيث قوله (٣): (من الكامل)

والغَرْبُ قَدْ دَسَ السُّمُومَ لِتُشَتَّتًا
لِيَصُدُّ عَنْ سُبْلِ السَّلَامِ صُدُودًا
فَتَنَ العُقُولَ (بِرَائِفِ) عَنْ دِينِهَا
وَفِيهِما يَرِي أَنَّ (الغَرْبَ) يَضْعُ السُّمُومَ مَدْسُوسَةً فِي كُلِّ شَيْءٍ، يُقْدِمُ لِلنَّشْءِ،
مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَعَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ ابْتِعَادًا لَا رَجْعَةَ بَعْدَهُ. وَفِي سَبِيلِ ذَلِكَ شَغَلَ الْعُقُولَ

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، لأبي السعود بن محمد العمادي الحنفي ت ٩٨٢ هـ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، السعودية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ٤١٦ - ٤١٧.

(٣) السابق ١٧ / ١٢٦، وينظر به أيضاً ٢، ١٦ / ٧٢، ٧٢ / ١٦، ٧٣ / ٢، ٧٣ / ٥، ١، ٧٨ / ٤، ٩، ٤، ٧٨ / ٥، ١، ٧٣ / ٢، ٧٢ / ١٦، ٩٧ / ١١، ٤، ٩٦، ١٠٢ / ١٢، ٣، ٩٧ / ١١، ٦، ١٠٢ / ١٢، ١٢١ / ٤، ١١٠ / ١١، ٦، ١٢٦ / ١٢، ١٢١ / ٤، ١١٠ / ١١، ٦، ١٢٧ / ١١، ١٢٦ / ١٢، ١٢٦ / ١٢، ١٤٢ / ٢، ١٤٣ / ٣، ١٤٣ / ٢، ١٤٢، ١٩٣ / ٥، ٢٤٧ / ١٦، ٢٠٧ / ١٤، ٣٢٧ / ٥، وينظر: المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثالث ٢ / ٢٣٩، ٢٤٨ / ١، ٢٤٩ / ٨، ٢٤٩ / ١٠.

عن الدين الإسلامي، باختلاف الآراء، وبكلّ ما هو رديء، ولم يكتف بذلك، بل اتّهم الشريعة الإسلامية بأنّها جامدة.

ولكي يبيّن الشاعر أنّ رميّه هذا مبعثه حالة التّفسيّة، فقد لجأ إلى طول تقييد الفعل (رمي) بالحال المفرد في ثوب صيغة المبالغة (حُقُوداً) - بعد طول تقييده بالجار والمجرور - في الجملة الفعلية الخبرية المثبتة (رمي الشريعة بالجمود حُقُوداً) المتّخذة نمط (الفعل + الفاعل + المفعول به + الجار والمجرور + الحال)؛ للدلالة على أنّ حالة العداوة الرايبة بقليله تلازم في رميّه الشريعة بالجمود.

وفي سبيل التّركيز على هذه الحال جاء بها في القافية محل التّركيز والاهتمام، فأسهمت في استقامة الوزن وصحة القافية، بتقديمها هذا الروي المفتوح نصباً؛ اسماً مع روبي القصيدة، فالوزن والنقطيع هكذا:

فَنَّ العُوْ / لِرَائِفَن / عَنْ دِينِهَا وَرَمَشْشِرِي / عَتِبْجَمُو / دِحْقُودَا	مُتَقَاعِلُن / مُتَقَاعِلُن / مُتَقَاعِلُن مُتَقَاعِلُن / مُتَقَاعِلُن / مُتَقَاعِلُن
---	--

هذا، بجانب إسهامها في استطاله التّركيب، في إطار المعنى النّصيّ المراد، وهو ينحصر في كون الرّمي فعلًا مع قيد الحقد الذي هو مضمون كلمة (حُقُوداً)، فالحال مفعول مع قيد مضمونه (١). ولا يخفى على كل ذي لب أنّ هذه الحال جاءت في ثوب صيغة المبالغة (مفعول)؛ للدلالة على كثرة حقد الغرب على الإسلام.

ولمّا كان الشاعر قد دلّ من خلال هذه الجملة على أنّ الغرب قد رمى الشريعة، وقيد الفعل بالحال، والمعنى رمى الغرب الشريعة في هذه الحال، أي حالة كونه حُقُوداً، فإنّ الحال بذلك يكون قد ترابط مع الفعل، من خلال ترابطه مع صاحبه، حيث إنّ صاحبته مترابطة مع الفعل من خلال الفاعلية، أضاف إلى ذلك أنّ الحال متصوّبة، ومُخالفة لصحابتها في التعريف والتّكير، ومشتقة، ودلالة على هيئة

(١) ينظر: شرح الكافية الرضي ١ / ٢٩٤ - ٢٩٥، وبناء الجملة الغربيّة، د. محمد حماسة، ص ٦٣.

صاحبها، على نحو ما سبق، وهو ما يُنحصر فيما قدّمه النحاة على أنه أوصاف الحال، وهي أوصافٌ يتراوّطُ بها الحال مع صاحبِه (١).

ومثالُ التقييد بالحال الجملة قوله (٢): (من الطويل)

<p>تضُوعَ أنفاساً مُضمحةً عطراً فَهَبْتُ إِلَى الأَعْمَاقِ تَسْخُرُجُ الدُّرّاً</p>	<p>إِذَا مَا فَتَاهَ الْعَرْبُ أَيْتَعْ فِكْرُهَا دَعَتْهَا لِإِحْرَازِ النَّجَاحِ شَرِيعَةً</p>
---	--

فهذا البيان من قصيدة (على ضفاف النور) التي أشار الشاعر بِصَدِّها إلى أنه نظمها بناءً على دعوة وجهت إليه، باسم عميدة كلية التربية للبنات بالأحساء؛ للمشاركة بقصيدة شعرية في الحفل التخرجـي الذي أقيم احتفاء بتخرج الفوج الأول من طالباتها. وفيهما يرى أن الفتاة العربية، لاسيما ابنة المملكة العربية السعودية إذا تضُوع فكرها، فإن هذا الفكر سرعان ما يتحرك أنفاساً ملطخة بالعطير المتقاطر على من حوله؛ وما ذلك إلا لأن شريعتها الإسلامية قد دعّتها إلى العلم وإحراز النجاح؛ ومن ثم هبـت مُستحبـة.

ولكي يوضح الشاعر غاية نهوضها وحالتها وقتـد لـجاً إلى العناصر غير الإسنادية المتمثلة في الجار والمجرور وجملة الحال؟ في قوله: (هـبت إـلى الأـعمـاق تـسـخـرـجـ الدـرـاـ)، وهو جملة فعلية خبرية مثبتة، متـخذـة نـمـطـ (الفعل + الفاعـل المستـتر + الجـارـ والمـجـرـورـ + الحالـ الجـملـةـ فعلـ + فـاعـلـ + مـفعـولـ بهـ)، ذلك النـمـطـ الذي يتـضـخـ منـ خـلاـهـ أنـ الشـاعـرـ قدـ قـيـدـ الهـبـوبـ بـأنـهـ إـلىـ الأـعـمـاقـ، ولـمـ يـكـفـ بذلكـ، بلـ قـيـدـهـ بـقـيـدـ الحالـ الجـملـةـ (تسـخـرـجـ الدـرـاـ) ذاتـ الفـعلـ المـقـيـدـ أـيـضاـ بـالمـفـعـولـ بهـ؛ وـمـنـ ثـمـ أـمـاطـتـ جـملـةـ الحالـ اللـثـامـ عنـ حـالـةـ الفتـاةـ العـرـبـيـةـ الطـالـبـةـ، مـوـضـعـ الحديثـ، مـجـسـدـهـ هـذـهـ الـحـالـةـ، بـأـنـهـ لمـ تـغـصـ فـيـ مـكـنـونـاتـ الـعـلـمـ سـابـحـةـ وـكـفـيـ، بلـ إـنـهـ تـهـضـتـ تـغـوصـ فـيـ مـكـنـونـاتـ الـعـلـمـ مـوـاـظـبـةـ عـلـىـ اـسـتـخـرـاجـ كـلـ ماـ فـيـهـ مـنـ جـنـسـ.

(١) يـتـنـظـرـ: بـنـاءـ الـجـملـةـ الـعـرـبـيـةـ صـ ١٥٤ـ ١٥٩ـ.

(٢) المـجمـوعـةـ الشـعـرـيـةـ الـكـاملـةـ، الـمـجـلـدـ الثـالـثـ ٦ـ /ـ ١٨١ـ، ٢٣٧ـ /ـ ١٢ـ، ٢٤١ـ /ـ ١ـ، ٢٦٦ـ /ـ ١٠ـ، وـيـتـنـظـرـ بـهـ أـيـضاـ .٢٢٩ـ /ـ ١٠ـ.

الدُّرِّ؛ ولمَّا كان هذا بيانُ حالها، فإنَّ هذا التَّقْيِيدُ بالحالِ قد أنسَهُم في استطالةِ بناءِ التَّرْكِيبِ، في إطارِ المعنى النَّصِّيِّ المُرادِ، كما أَنَّه جعلَ النَّظَامَ النَّحويَّ مُتَازِرًا مع النَّسْجِ الشَّعْرِيِّ، حيثُ إِنَّ وَزْنَ الْبَيْتِ وَتَقْطِيعَه هكذا:

فَهَبْتُ / إِلَأَعْمَاءِ / قِسْنَتْخُ / رِجْدُرْزَا	دَعْتُهَا / لِإِحْرَازِنْ / نَجَاحِ / شَرِيعَتْ
فَعُولَنْ / مَفَاعِيلْنِ / فَعُولُنْ / مَفَاعِيلْنِ	

وهو مَا يَتَضَعُّ مِنْ خِلَالِهِ مَدِى الإِسْهَامِ فِي صِحَّةِ الْوَزْنِ وَاسْتِقَامَةِ الْفَافِيَّةِ.

وليس ذلك فَحَسْبُ، بل إِنَّ التَّقْيِيدَ بالحالِ قد أنسَهُم في إِيجادِ نوعٍ مِّن التَّرَابِطِ في الجُمْلَةِ كُلُّها (فَهَبْتُ إِلَى الأَعْمَاقِ تَسْتَخْرُجُ الدُّرِّ)، إِذْ إِنَّ جُمْلَةَ الحالِ مُشَتمِلَةٌ عَلَى ضِمِيرٍ، يُعْلَقُهَا بِمَا قَبْلَهَا؛ لِئَلَّا يُتوهَّمُ أَنَّهَا مُسْتَأْنَفَةٌ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهَا جُمْلَةٌ خَبَرِيَّةٌ، حَالِيَّةُ الرَّمَنِ بِالنَّسْبَةِ لِلفِعْلِ، مُبَيِّنَةٌ هِيَةُ صَاحِبِهَا، فِي مَحْلِ نَصْبٍ؛ وَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ جُمْلَةً مُتَرَابِطَةً مَعَ جُمْلَتِهَا (١). وَلَعِلَّهُ مِنَ الْمُفَيدِ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ كَوْنَهَا مَرْبُوطَةً بِالضَّمِيرِ فَقَطْ مَرْجِعَهُ أَنَّ الفِعْلَ (تَسْتَخْرُجُ مُضَارِعٌ، مُثَبِّتٌ، غَيْرُ مَسْتَوِقٍ بَعْدَهُ، مِنْ مُنْطَلِقٍ أَنَّ الْمُضَارِعَ عَلَى وَزْنِ اسْمِ الْفَاعِلِ لَفْظًا)، وَبِتَقْديرِهِ معنَى (٢).

ومِثَالُ التَّقْيِيدِ بالحالِ شُبُّهُ الجُمْلَةِ مَا جَاءَ فِي قَصِيَّةِ (سِرَاجُ حُبِّي) التي يرى فيها أَنَّ سِرَاجَ حُبِّهِ هُوَ زَيْتُ الْهَوَى، هَوَى (هَجَر)، الَّذِي يَمْلأُ شَرَابِيَّتَهُ، حيثُ قَوْلُه (٣): (من البسيط)

وَلَوْ بِمَغْنَى بِمَاءِ التَّبَرِ مَدْهُونِ بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ وَقَلْبِي غَيْرُ مَحْزُونِ	وَالطَّيْزُ لَا يَبْتَغِي عَنْ عُشَّهِ سَكَّا أَعِيشُ فِي كَنْفِ الْأَحْسَاءِ فِي دَعَةٍ
---	---

(١) يُنْظَرُ: شَرْحُ المُفَصَّلِ، ابْنُ يَعْيَشِ ٢ / ٦٦، وِبَنَاءُ الجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ ص ١٦٠ - ١٦٦.

(٢) يُنْظَرُ: شَرْحُ الْكَافِيَّةِ، الرَّاضِي ٢ / ٤٠ - ٤٣، وَدَلَالَاتُ الْإِعْجازِ، عَبْدُ الْفَاطِمِيِّ الْجَرْجَانِيِّ ص ٢٠٥، وَشَرْحُ المُفَصَّلِ ٢ / ٦٦، وَرَبْطُ الجُمْلَةِ الْفَرْعَوِيَّةِ بِالضِّمِيرِ أَوْ بِالْوَالِوَ وَدُورِهِ فِي تَمَاسِكِ النَّصِّ دراسة في كافوريات المتبنّى، للدكتور فايز تركي، مجلة علوم اللغة، دار غريب، القاهرة، مصر، ج ١١، ع ٢٠٠٨ م، ص ١٩ - ٢١.

(٣) المجموعة الشعريّة الكاملة، المجلد الثاني ١٠ / ٢٢٩.

وفي هذين البيتين يرى يوسف أبو سعد أن الطير لا يطلب عن مسقط رأسه سكناً بديلاً، ولو كان ذلك المتنزِّل الذي غنى به أهلُه ثم ظعنوا مدهوناً بماه الذهب، ثم يوضح لنا - من خلال الجملة الفعلية الخبرية المتبعة (أعيش في كنف الأحساء في دعَةٍ بين العيون وقلبي غير مخزون) المتَّحدة نمطاً (الفعل + الفاعل المستتر + جار و مجرور + مضاد إليه + حال "شبه جملة" مكرر + حال "جملة اسمية") - أنه في إطار هذا النَّاموس يعيش في حضن (الأحساء) في حال من خفْض العيش واستقراره و راحته، مستقرًا بين العيون، وهذه هي الحال الثانية من الأحوال المتعددة للشاعر أما الحال الثالثة فإن قلبه فرح مسروق بعيشته في الأحساء.

وهو الأمر الذي يُعرب عن أثر الحال شِبَهِ الجملة، باعتباره عنصراً غير إسناديٍ، في تقييد الفعل (أعيش)، فأسمُّهم في الوفاء بالمعنى المراد واستطاله التركيب وتراكيبه، واستقامة الوزن، وصحة القافية؛ فالوزن والتقطيع هكذا:

أعيش في / كنف / أحساء في / دعَةٍ	يَتَّلَعِيُو / بِوقَنْ / بي غير مَح / رُونِي	مُتَقْعِلُنْ / فَعُلُنْ / مُسْتَقْعِلُنْ / فَعُلُنْ
فلو غير النسج لما استقام للشاعر وزنه، ولما صحت قافية، وكل ذلك في	إطار ما أراده من معنى، على نحو ما سبق. وهنا أشير إلى أن استطاله التراكيب لدى أبي سعد في إطار الشعر العمودي - على نحو ما مر، وما هو آتٍ جعلته يوصَف بطول النفس الشعري، يوازي روني في ذلك قول القائل: "يظل شاعرنا ملتزمًا بالقافية الموحدة، وبالبيت ذي التَّفَاعِيلِ الكاملة، بِشَكْلِه المعروف في عروضِ	الخليل، مع طول النفس الشعري، في أغلب قصائده" (١).

هذا، ومن المعلوم أن الحال شِبَهِ الجملة (في دعَةٍ) قد ترابط مع جملته - مع الأخذ في الحسبان أنه جُزءٌ من الحال المقدرة يكون عاماً، يعبر عنه ب فعل أو مشتق، تقديره "استقر" أو "كان" النَّامَة أو "مستقرًا" أو "كائناً" - من خلال كونه غير متعلِّق بشيء

(١) يُنظر: السابق ص ١٨ حيث تقديم الأستاذ الدكتور ظافر الشهري لهذا المجلد.

في الجملة؛ لأن العيش لا يكون في الدعوة، بل في كتف الأحساء، وكونه في محل نصب، دالاً على هيئة صاحبه (الفاعل المستتر في "أعيش")، بالإضافة إلى كون صاحب الحال المستتر في الفعل (أعيش) صالحًا لأن يكون صاحب حال، فثبت هيئة (١).

المطلب السابع: تقييد الفعل بالمستتر

مِمَّا لَا شَكَ فِيهِ أَنَّ الْمَفْعُولَاتِ الْخَمْسِ أَصْلُ فِي النَّصِّ، وَهُنَاكَ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَهُوَ غَيْرُ الْمَفْعُولَاتِ مِنَ الْحَالِ - عَلَى تَحْوِي مَا سَبَقَتِ الإِشَارَةُ - وَالْتَّمِيزُ وَغَيْرُ ذَلِكِ. وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الَّذِي جَعَلُوهُ غَيْرَ الْمَفْعُولَاتِ يُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلَ بَعْضُهَا فِي حِيَزِ الْمَفَاعِيلِ، فَيُقَالُ لِلْحَالِ: هُوَ مَفْعُولٌ مَعَ قَيْدٍ مَضْمُونِهِ... وَيُقَالُ لِلْمَسْتَرِي: هُوَ الْمَفْعُولُ بِشَرْطٍ إِخْرَاجِهِ، وَكَأَثِمَّهُمْ آتَوْهُ التَّخْفِيفَ فِي التَّسْمِيَّةِ (٢).

وَلَمَّا كَانَ أَبُو سَعْدٍ مُحْتَاجًا فِي تجربَتِهِ الشَّعُورِيَّةِ إِلَى إِخْرَاجِ شَيْءٍ مَمِّا مِنْ حُكْمٍ سَابِقٍ، فَقَدْ أَسْعَفَتُهُ الْعَنَاصِرُ غَيْرُ الْإِسْنادِيَّةِ بِالْمَسْتَرِيِّ، فَكَانَ لِبِنَةً مِنْ لَبَنَاتِ بَنَاءِ النَّصِّ عِنْدَهُ، عَلَى مَسْتَوِيِ الْبَنَاءِ الْثَّحْوِيِّ وَالشِّعْرِيِّ. وَقَبْلَ التَّمَثِيلِ لِهَذَا أُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْاسْتِثنَاءُ يُنْقَسِمُ إِلَى مُتَصِّلٍ، يَقْعُدُ مِنْ الْمُوجَبِ أَوِ الْمَنْفِيِّ، وَمُنْقَطِعٍ يَقْعُدُ مِنْ الْمُوجَبِ أَوِ الْمَنْفِيِّ أَيْضًا، وَمُفَرِّغٍ (٣)، فَإِنَّمَّا أَرَى أَنَّ الْمُفَرَّغَ لَيْسَ مِنْ الْاسْتِثنَاءِ، وَإِنَّمَّا هُوَ مِنْ بَابِ الْقَصْرِ، وَهَذَا مَا سَيَتَضَعُ فِيمَا يَلِي مِنْ تَمَثِيلٍ.

(١) يُنْظَرُ: بَنَاءُ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. مُحَمَّدُ حَمَاسَة، ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) شَرْحُ الْكَافِيَّةِ، الرَّضِيُّ ١ / ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٣) يُنْظَرُ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَلِ: الْكِتَابُ، سِيَّبُوِيَّهُ ٢ / ٣١٠ - ٣٢٩، وَمَعْنَى الْقُرْآنِ، لِلْفَرَاءِ، تَحْقِيقُ أَحْمَدِ يُوسُفِ نَجَاتِي وَآخَرُ، الْهَيْنَةُ الْمَصْرِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلْكِتَابِ، الْقَاهْرَةُ، مِصْرُ، ١٩٨٠، ١/١٦٧، وَالْمُفَقَّضَبُ، لِلْمُبَرَّدِ، ٤/٣٨٩ وَمَا بَعْدُهَا، وَالْأَصْنَوْلُ فِي الْنَّحْوِ، اِبْنُ السَّرَّاجِ "٣١٦ هـ"، تَحْقِيقُ د. عَبْدِ الْحَسِينِ الْفَتَلِيِّ، مَوْسِيَّةِ الرِّسَالَةِ، بَيْرُوتُ، لَبَنَانُ، الطَّبَّعَةُ الثَّالِثَةُ، ١٩٩٦ م، ١/٢٨٩، وَشَرْحُ الْكَافِيَّةِ، لِلرَّضِيِّ ١ / ٥٣٧ - ٧٥، وَالْتَّصْرِيحُ بِمَضْمُونِ التَّوْضِيْحِ، الْأَزْهَرِيِّ ١ / ٥٤٨.

فمثلاً تقييد الفعل بالاستثناء المتصل المسبوق بالنفي ما جاء في قوله (١) من الكامل

نادى من واجعي فلم أسمع صدى إلا هسنس الجرح والخفقات
 فهذا البيت من قصيدة "المتابع مركب الرّاحات" يشير في الأبيات السابقة عليه بالقصيدة إلى أنه مريض (مذيف) تبوح خوالجه أحزانها، حجبت البسمات عن شفاهه، وابتعد الجمال عن وجهه مختلفاً إعياً. وللتعبير عن شدة الوجع وندائه من شدته، كان البيت موضع التّمثيل، مبدواً بالجملة الفعلية (نادى من واجعي) ثم كانت الجملة الفعلية الخبرية المتفقة (فلم أسمع صدى إلا هسنس الجرح والخفقات) المُتَّخِذَة نمطاً (حرف نفي + الفعل + الفاعل + المفعول به + حرف الاستثناء إلا + المُسْتَثْنَى + المضاف إليه + المعطوف)، في إشارة إلى أنه تأوه منادياً، لكنه لم يسمع صدى صوت لندائه توجعاً إلا صوت همس الجرح والخفقات التي شتّا به من نعاس أو اضطراب قلب، وهو ما يدل على شدة مرضه الذي لا يجعل بصوته صدى عندما ينادي متوجعاً، فهو صوت كالهمس؛ ومن ثم كان الاستثناء مسنهما في استطاله التركيب، في اتجاه المعنى المراد، من خلال تقييد ما سمعه مترابطاً مع الفعل (أسمع)، مسنهما في استقامة وزن الكلم وصحة الفافية.

ووجه ترابطه يمكن في قول أستاذى: "لابد أن تتعاون عدة أمور في التركيب؛ ليكون الاسم مستثنى تحيياً، هي أن يكون منصوباً، وأن يكون واقعاً بعد إلا أو واقعاً بعد غير أو سوى المنصوبتين، وهو مجرور بالإضافة، وأن يكون تاماً موجباً، أو غير موجب، بشرط اختيار التصب في الاسم الواقع بعد إلا أو نصب غير".

(١) ينظر: المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثالث / ٧ - ٣٩٠ وينظر به أيضاً / ١١، ٨١ / ١١، ٥٠، ١٥٩ / ٦ - ٢٦٥ / ٣، ٢٠٢ / ٦، ١٣٧ / ٩، ٧٩ / ١٠، ١٠٢ / ١٣، ١٣٧ / ١٣، ١٥٧ / ٦، ١٦٢ / ٦، ١٨٨ / ٦ - ١٤، ٢١٥ / ١٥، ٢٦٢ / ٧، ٢٦٨ / ٩، ٣١٣ / ١٠، ٣٠٩ / ١٤، ٢٩٨ / ٩، ٢٦٢ / ٦، ١٦٢ من خلال هذه الموضع وغيرها يلاحظ أنه استثنى بـ إلا وسوى، وجاء الاستثناء متصلاً ومنقطعًا ومفرغاً ينتمي إلى القصر، كما أنه قد يكرر ما بعد إلا، كما في الموضع ٦ / ١٦٢ من المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني "الأغاريد والتقاسيم".

و"سوى"، ويُنضمُ إلى ذلك كونُ الاسم خارجاً عن الحكم المقررِ لما قبله إثباتاً أو نفياً. وبهذا نفسِه يتراصُطُ المُسْتَثنى مع أجزاءِ جملته حيث يكونُ ارتباطُه بالحكم المُسْتَفَادِ من التَّركيبِ الأَسَاسِيِّ، إما بالخروجِ من الاتصالِ بما ثبتَ في التَّركيبِ الأَسَاسِيِّ أو بالدخولِ فيما نفيَ في التَّركيبِ الأَسَاسِيِّ نفسِه" (١). وبالنظرِ في قولِ الشاعِرِ، يوسفُ عبدُ اللَّطِيفِ أبي سعِدٍ يتبيَّنُ لنا أنَّ كلمةَ (هَسِينَ) منصوبَةٌ، واقعةٌ بعدِ إلَّا، والكلامُ تامٌ مَنْفَيٌ، اختارَ فيه الشاعِرُ وجْهَ النَّصْبِ على الاستثناءِ؛ للدلالةِ على أنَّ الاسمَ خارجٌ عن الحكم المقررِ قبلِ إلَّا، وهو عدمُ سماعِه أيَّ صدىً لِذِيَّهِ؛ ومنْ ثُمَّ تَرَابطُ المُسْتَثنى مع أجزاءِ جملته.

ويَعْدُ هذه الإشارةُ المُقتضبةُ إلى كونِ الاستثناءِ مُكملًا لعمليةِ الإسنادِ لدى يوسفِ أبي سعِدٍ، آتِيَ إلى ما كُنْتُ قد أشرَتُ إليه آنفًا، منْ كونِ إدراجِ ما استُخدِمتَ فيه (إلَّا) مع عدمِ وجودِ المُسْتَثنى منه، فَسُمِّيَ مُفَرَّغًا، ضمنَ أسلوبِ القصرِ، مُمثلاً له منْ قصيدةً أمضى أنا اللَّيلَ وحْدي" ، حيثُ قوله (٢): (منْ المُجتَثِّ)

لَهْتُ خَلْفَ السَّدِيمِ	وَلَا حَفِيفُ غَصُونِ
عَلَى شِفَاهِ النَّدِيمِ	وَلَا ارْتِعَاشَةُ لَخْنِ
صَدَى نَشِيدِي الْأَلَيْمِ	فَلَسْنِتُ أَسْمَعُ إِلَّا

فَيَ هذِهِ الأبياتِ يرى الشاعِرُ أنَّ اللَّيلَ قد ألقى بِسكونِهِ وظلامِهِ الحالِكَ على ما حَولَهُ، فلا صوتَ لِشَيءٍ، كُلُّ ما حَولَهُ تلْفُهُ الغَيُومُ، لا صوتَ لِحَفِيفِ أغصانِ الشَّجَرِ خَلْفَ الضَّيَابِ، لا حديثٌ على شِفَاهِ الشاعِرِ الحزينِ. ولِتدبِّيلِ ذلك المعنى لَجَأَ إلى أسلوبِ القصرِ (فلَسْنِتُ أَسْمَعُ إِلَّا صَدَى نَشِيدِي الْأَلَيْمِ) في صورةِ الجملةِ الفِعليةِ الْخَبَرِيَّةِ المُثبَّتَةِ المُتَخَذِّةِ نَمَطًا (فِعْلُ النَّفِيُّ + اسمهُ + خبرهُ فَعْلٌ + فاعلٌ + أداةٌ حَصْرٌ + مفعولٌ بهُ + مضادٌ إليه مُتَكَرِّرٌ + نعتٌ)، مِنْ بَابِ قَصْرِ الصَّفَةِ عَلَى

(١) يُنَظَّرُ: بِنَاءُ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. محمد حماسة، ص ١٧١، وجملة الفاعل بين الكم والكيف، للدكتور محمود شرف الدين ص ٢٦٠.

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني ٥ / ٢٦٢.

الموصوف، كما في قولنا: ما حضر إلا محمد، فأفاد قصر السمع على صدى النشيد الأليم، أو اختصاص السمع بصدى نشيد الأليم، وتفيه عن كلّ ما عداه، ولو غيرنا في هذا التركيب لتغير المعنى (١).

وهكذا، فقد اتضح عدم وجود المستثنى منه بالجملة، ومن ثم فالعامل (أسمع) غير مشغول بشيء يعمل فيه إلا في العمل فيما بعد إلا، وبناءً على ذلك، فليست هذه الجملة وأمثالها مما تفرّغ فيه العامل للعمل فيما قبل حرف الاستثناء، بل تفرّغ للعمل فيما بعده، فأعرب ما بعد حرف الحصر فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأ أو خبراً أو مجروراً بحرف الجرّ أو غير ذلك، على حسب سياق الكلام، فهو مستثنى بالمعنى اللغوي لا بالمعنى التحويي (٢).

المطلب الثامن: تقييد الفعل بتمييز النسبة

يُعدُّ تمييز النسبة من العناصر غير الإسنادية المقيّدة للفعل، حيث إنه يحدُّ جهة النسبة الحاصلة بين طرفِي الإسناد (الفعل والفاعل)، برفعة الإبهام الحاصل بينهما (٣)، قال ابن يعيش: "اعلم أنَّ التمييز والتفسير والتبيين واحد، والمراد به رفع الإبهام وإزالة اللبس". وذلك نحوُ أنْ ثُخِرَ بخَرَ أو تذَكَّرَ لفظاً يحتمل وجوهاً، فيتردُّد المخاطب فيها، فتنبهه على المراد بالنص على أحدِ محتملاتِه تبييناً للغرض؛ ولذلك

(١) يُنظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ٣٣٧ - ٣٣٨، والاستثناء في التراث النحوي والبلاغي، د. كاظم إبراهيم كاظم، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٢٣٦ - ٢٣٩، والتركيب النحوي نظامها وخصائصها في شعر سقط الزند دراسة في تحليل الخطاب وعلم النصّ، د. ممدوح عبد الرحمن الرمالي، مؤسسة حرس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ٢٠١١ م، ص ١٥١.

(٢) يُنظر: الكتاب، سيفويه ٢ / ٣١٠، ومعاني القرآن، للفراء ١ / ١٦٧، ١٢٠ / ٢، والمفتضب، للمبرد ٤ / ٣٨٩ وما بعدها، والأصول في النحو، لابن السراج ١ / ٣٤٣ - ٣٤٤، وشرح المفصل، ابن يعيش ٢ / ٧٦، والنحو الواقي، عباس حسن، دار المعرفة، مصر، ١٩٧٦ م، ٣٢٢، وبناء الجملة العربية، د. محمد حمامة ص ٦٤، ١٧٠ - ١٧١، والنحو العربي نقد وتجييه، للدكتور مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ص ٢٤٠ - ٢٤٣، والاستثناء في التراث النحوي والبلاغي ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٣) يُنظر: شرح المفصل ٢ / ٧٠، وبناء الجملة العربية ص ٦٣.

سُميَّ تمييزاً وتفصيراً. وهذا الإبهام يكون في جملة ومفرد، فالجملة قوله "طاب زيد نفساً وتصبب عرقاً وتفقاً شحماً". ألا ترى أن الطبيعة في قوله: "طاب زيد" مُسندة إليه، والمراد شيء من أشيائه، ويختتم ذلك أشياء كثيرة، كلسانه، قلبه، ومنزله، وغير ذلك، وكذلك التصبب والتتفق يكون من أشياء كثيرة (١).

ولما كان تمييز النسبة أو تمييز الجملة ينقسم إلى قسمين، هما: التمييز المُحوَّل والتمييز السُّماعي الوارد بعد الفعل (كفى)، فإنه باستقراء شعر يوسف أبي سعد تبين لي أن ما ورد به كان مُحوَّلاً عن الفاعل أو عن المفعول، وهو ما سئمَتْ له فيما يلي، مع مراعاة أن العمل في هذا الجزء من البحث مُنصب على ما ورد تمييز نسبة في الجملة الفعلية، على نحو ما حدد بالمدخل.

فمِثالٌ ما ورد مُحوَّلاً عن الفاعل في شعره ما ورد في قصيدة (فقيد البيان)، حيث قوله (٢): (من الخيف)

إله رمز سود عبقرى	قد سما معدنا وطاب سجايا
في المزايا يبذو قليل المثال	وعلا رتبة فحاز المعالي

فلما كانت هذه القصيدة قد قالها الشاعر في فقيد البيان، الشيخ محمد بن عبد الله آل سلطان العمر الملجم، أديب وشاعر من شعراء الأحساء المرموقين، ومُربٌ قدير، وفأه الأجل المحظوظ إثر داء عضال، ومرض رؤام (٣)، فإنه يرى في البيت الأول من هذين البيتين أنه رمز مجد، حاذق، كأنه كامل في صفاتِه، قل أن تجد له مثلاً، ولزيادة في ذلك لجأ إلى تمييز النسبة، باعتباره عنصراً غير إسنادي مؤثراً في استنطالية التركيب، من خلال الجمل الفعلية الخبرية المتباعدة (سما معدنا، طاب سجايا، علا رتبة) المتخذة نمطاً (الفعل + الفاعل + التمييز).

(١) شرح المفصل، ٢ / ٧٠، وينظر: الكتاب ١ / ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني ١٣ / ٢٨٦، وينظر به أيضاً ١٥ / ١١٥، ٢١٦ / ٨، ٢٢٦ / ٨، ٢٥٣ / ٤، ٢٦٩ / ٥، ٢٦٩ / ٤.

(٣) ينظر: السابق ص ٢٨٥ حيث مقدمة الشاعر للقصيدة.

ومن خلالها يتضح أنَّ الشاعر قد أبهم على المتألق إيهاماً تركيبياً ثمَّ لجأ إلى تفسير هذا الإبهام، وتعني بالإبهام التركيبى ذلك الإبهام "الحادي" بسبب تركيب جزء أو أكثر من أجزاء الجملة، بعضه مع بعض، مما يؤدي إلى غموضٍ مَا، يزول بمجيء عنصر آخر واجتلابه، وهذه الأجزاء وهي مفردةٌ مستقلة لم يكن فيها هذا الغموضُ. وهذا النوع من الإبهام يصدق على تمييز النسبة والحال خاصةً أو أي تركيب آخر، يؤدي إلى الإبهام" (١).

هذا، ويتبين من خلال هذه الجملة أيضاً أنَّ أفعالها مما قال فيه سيبويه: "قد جاء من الفعل ما قد أثْنِدَ إلى مفعولٍ، ولم يقوَ قوَّةً غيره، مما قد تعددَ إلى مفعولٍ، وذلك قوله: امتلأْتَ ماءً، وتفقَّطْتَ شَحْماً، ولا تقول: امتلأْتُه ولا تفتقَّطُه، ولا يعملُ في غيره من المعارف، ولا يُقدمُ المفعولُ فيه، فتقول: ماءً امتلأْتُ، كما لا يُقدمُ المفعولُ فيه في الصفة المُشبَّهة" (٢).

أعودُ إلى أثرِ التمييز في هذه الجملة بعد الإشارة إلى رفعِ الإبهام وأثره في استطالعة التركيب، فأشيرُ إلى أنَّ وزن البيت وتقسيمه هكذا:

- وَعَلَارُتْ / بَنَ فَحَا / زَلْمَاعَالِي	قد سِمَا مَعْ / دِنْوَطا / بَ سَجَایَا
فَاعِلَاثُنْ / مُتَفَعِلُنْ / فَاعِلَاثُنْ	

وهو ما يتضح من خلاله أنه أسمَّهم في استقامَةِ الوزنِ، في اتجاهِ صحةِ القافية.

هذا، ولا تقوتي الإشارة إلى إسهام التمييز في الترابط - وهذا قصدُ الشاعر أيضًا - فوجْهُ ترابط تمييز الذات (معدناً - سجايا - رُبْتَه) بفعله أو بجملته، في الجملة الثالثة، يمكنُ في كونِ التمييز اسمًا منصوبًا، مُنَكَّرًا، جامِدًا، دالًا على البيان والتفسير لما أبهم من نسبةٍ غامضةٍ في الإسناد بين الفعل والمفعول به، على نحو ما

(١) الشكل والدلالة" دراسة نحوية للفظ والمعنى"، د. عبد السلام السيد حامد، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٢ م، ص ١٥٧، والحذف التركيبى وعلاقته بالنظم والدلالة، د. فايز صبحي تركي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م، ص ١٠٢.

(٢) الكتاب ١ / ٢٠٤ - ٢٠٥.

سُنَّرَى في مثَلٍ آخر، فيما هو آتٍ - بالإضافة إلى الدلالة على المبالغة والتاكيد، من جهة أنَّ الفِعلَ مُسندٌ إلى مجموع الفاعلِ والتمييز معًا (سَمَا مَعْنَاهُ - طَابَ سَجَايَا - عَلَا رُتبَةً)، وهو أَبْلَغُ في المعنى، بعدَ أنْ كانَ مُسندًا إلى جُزءٍ؛ ومنْ ثُمَّ فَارِتَبَاطُ التَّمييزِ بالفِعلِ أَقْرَبُ إلى ارتباطِ الإسنادِ، مُعْتمِدًا في ذلك على المعنى أكثرَ منْ اعتمادِه على أيِّ شيءٍ آخر، مع ملاحظة وجود ما يُحدِّدُ التَّمييزَ منْ شروطٍ، وَضَعْفَهَا النُّحَاةُ؛ بناءً على ما بينَ أيديهم من موروثٍ لغويٍّ (١).

ولمَّا كانَ التَّمييزُ المُحوَّلُ عنِ الفاعلِ قد ذَكَرَه الشَّاعِرُ، على نَحْوِ مَا سَبَقَ، فإنَّه قد يُلْجَأُ إلى ذِكرِه وَحْدَهِ أيضًا في آنٍ واحدٍ، على نَحْوِ مَا جاءَ في قولهِ

(٢): (من الخيف)

مِثْلَ بَدْرٍ عَلَى الْبَسِيْطَةِ أَشْرَقْ وَبِعَقَدَيْنِ مِنْ أَقَاحِ وَرَبَقْ مَخْمَلِيَّ الإِهَابِ ضَافِ مُنْسَقْ رَجَمَالًا، وَأَخْضَرَ عُودًا، وَأَوْرَقْ	وَجْهَكَ الْفَانِي الصَّبِيْحُ تَأْلَقْ رَفَّ يَرْهُو بِوَرْدَتَيْنِ بَشُوشَا بَيْنَ لَيْلٍ عَلَى الْجَوَانِبِ دَاجِ دَغْدَعَتْهُ يَدُ الْمَلَاحَةِ فَاقْتَرَ
---	--

فهذه الأبياتُ مِنْ قصيدة (إشراقة)، قَدَّمَ لها الشَّاعِرُ بِقولِهِ: "شَغَفْتُ قَلْبَهُ حُبًّا مُنْذُ
 أَوْلَى وَهْلَةٍ رَأَاهَا، فَأَصْبَحَ فِي حَيْرَةٍ! مَاذَا يَفْعُلُ غَيْرُ مَا هُوَ مَشْرُوعٌ؟ وَلَكِنْ مَاذَا يَعْمَلُ
 إِنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ مَا هُوَ مَشْرُوعٌ؟ هَلْ يَكُونُ مَصِيرُهِ مِثْلُ مَصِيرِ الْعُدُّرِيَّينَ قَبْلَهُ؟ أَجَلْ!
 قَدْ يَكُونُ... أَوْ لَا... كَانَتْ هَذِهِ الْهَوَاجِسُ تَدُورُ فِي مُخِيلَتِي عِنْدَمَا أَفْضَى إِلَيَّ بِمَا
 يَحْمِلُ قَلْبُهُ مِنْ مَشَاعِرٍ تِجَاهِ تِلْكَ الإِشْرَاقةِ، فَكَانَ رَدِّي عَلَيْهِ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ" (٣).

(١) يُنْتَظَرُ في ذلك: الكتاب ١ / ٢٠٤ - ٢٠٦، والمُفْتَضَبُ، للمردود ٣ / ٣٢ - ٣٨، والأَصْوَلُ في النَّخُو، ابن السَّرَّاج ١ / ٢٢٢ - ٢٢٥، وشَرْحُ الْكَافِيَّةِ، لِلرَّاضِيِّ ٢ / ٥٣ - ٥٤، ٦٤، ٧٠، وشَرْحُ المُفَضَّلِ، ابن يعيش ٢ / ٧٥، وبناءُ الْجَملَةِ الْعَرَبِيَّةِ، دُ. مُحَمَّد حَمَاسَةٍ ص ١٦٦ - ١٦٩.

(٢) المجموعة الشُّعُريَّةُ الكاملةُ، المُجلَّدُ الثَّانِي ٤ / ٢٦٩، ٢٦٩ / ٦، ١١٥ / ١٥، ٦ / ١٧٧، ٢٥٣ / ٨، ٢١٦ / ٥، ٢٦٩ / ٨.

(٣) السَّابِقُ ص ٢٦٩.

وفي هذه الأبيات يُوجَّه حديثه إليها بأنَّ وجْهَها الآسِر قد أضاءَ من شدةِ جمالِه، كَبَدِرَ أَشْرَقَ بِثُورِه، فَعَمَّ الْأَرْضَ، وقد لَمَعَ مَزْهُواً بَشُوشًا وَسَطَ لَيْلٌ شَدِيدٌ الظُّلْمَةُ غَامِضٌ هادِئٌ كَثِيرٌ نَاعِمٌ الْمَلْمَسٌ طَوِيلٌ مُنْسَقٌ، يُحيطُ بِهذا الإنسانِ المُتَحِيرِ أمَامَ هذه الإشراقةِ ذاتِ الوجهِ الذي عَرَكَتْهُ الْمَلَاحَةُ؛ ومنْ ثُمَّ كانَ مِنْ أثْرِ ذلك أَنَّ وَضْحَ جَمَالِه وَانْكَشَفَ، وَاخْضَرَ عُودُهُ، فَكَانَ الدَّمُ يَسْرِي فِيهِ، وَأَوْرَقَ، فَأَصْبَحَ يُشَعِّ جَمَالًا، كما تَشَرُّ أَوْرَاقُ الشَّجَرِ خُضْرَتَهَا. وذلك مِنْ خِلَالِ ثَلَاثِ جُمِلٍ فِعْلِيَّةٍ خَبَرِيَّةٍ مُتَبَثَّةٍ، هي (افترَ جَمَالًا، اخْضَرَ عُودًا، أَوْرَقْ) مُتَّخِذَةً نَمَطَ (الفعل⁺ الفاعل⁺ تمييز النسبة" مذكورًا أو محفوفًا")، وهو مَا يَتَضَعُّ مِنْ خِلَالِه أَنَّه لِمَا أَبْهَمَ فِي نِسْبَةِ الإِسْنَادِ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ، أَرَادَ مِنَ الْمُتَلَقِّي أَنْ يَتَوَقَّفَ قَبِيلًاً أمَامَ هذا الإِبْهَامِ عَامِلاً النَّظَرَ فِي كُلِّهِ هَذِه النِّسْبَةِ، لَكِنَّه سُرَّعَانَ مَا يَرَوِي ظَمَاءً، بِذِكْرِ التَّمَيِيزِ (جمَالًا، اخْضَرَ).

ولمَّا كانت الأشياءُ تَتَضَعُّ بِأَضْدَادِهَا، فَقَدْ لَجَأَ إِلَى حَذْفِهِ فِي قُولِهِ (وَأَوْرَقَ)؛ لِدَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ فِي قُولِهِ (وَاخْضَرَ عُودًا)، وَفِي الْفَعْلِ (أَوْرَقْ) أَيْضًا، فَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعُودَ إِذَا اخْضَرَ، فَإِنَّ الْأَوْرَاقَ ثُورِقُ، فَكَانَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: وَأَوْرَقَ وَرَقًا، فِي إِشَارَةٍ إِلَى أَنَّ الْحَيَاةَ بِهَا الْوَجْهُ وَاضِحَّةٌ وَضُوْحَ حَيَاةِ النَّبَاتِ وَالأشْجَارِ بِالْجَمَالِ وَاخْضِرَارِ الْعُودِ، وَإِيراقِ الْأَوْرَاقِ، كَائِنَهَا فِي أَبْهَى عَظَمَتِهَا. وَحَذْفُ التَّمَيِيزِ "أَمْرٌ يَدُلُّ بِوْضُوحِهِ عَلَى أثْرِ الْمَعْنَى فِي مَجِيءِ الْلَّفْظِ وَالْتَّرْكِيبِ بِشَكْلٍ مُعَيَّنٍ، وَيَتَمَثَّلُ هَذِهِ السَّبَبُ فِي أَنَّ الْإِبْهَامَ نَفْسَهُ يَكُونُ مَقْصُودًا؛ لِدَلَالَةِ عَلَى مَعْنَى التَّقْخِيمِ وَالْتَّعْظِيمِ" (١). وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يَؤكِّدُ أَيْضًا تَرَابُطَ التَّمَيِيزِ الْمَحْذُوفِ مَعَ جُمْلَتِهِ، إِذْ إِنَّ الْفَعْلَ مُسْتَدِّ إِلَى مَجْمُوعِ الْفَاعِلِ وَالْتَّمَيِيزِ مَعًا، مِنْ حِيثِ الْمَعْنَى" (٢)، مِمَّا يَؤكِّدُ

(١) الشَّكْلُ وَالدَّلَالَةُ دراسة نحوية للفظ والمعنى، د. عبد السلام السيد حامد، ص ١٦٨، وينظر: شرح الكافية ٤٠٦/٢، وكذلك: التراكيب النحوية نظامها وخصائصها في شعر سقط الزند، د.

مدحوب عبد الرحمن الرمالي، ص ١٣٨، ١٥٠، ١٦٤.

(٢) بناء الجملة العربية ص ١٣٦، وينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ٢/٧٥.

أنَّ ارتباطَ التَّمييزِ بالفعلِ أقربُ إلى ارتباطِ الإسنادِ، وهو يعتمدُ على المعنى أكثرَ منِ اعتمادِه على شيءٍ آخرٍ^(١).

وهنا أشيرُ إلى أنَّ حذفَ التَّمييزِ يذكرُني بما وردَ لدى الأعشى في قولهِ
(٢): (من المتقرب)

أَهْوَدْ وَأَنْتَ امْرُؤْ مَاجِدْ
فَأَصْلُ قُولِهِ: (يَعْلُو الْبُحُورَا)
الْقَرَائِنِ عَلَيْهِ، فَالشَّاعِرُ فِي سِيَاقِ مَدْحِهِ هُوَذَةُ بْنُ عَلَيِّ الْحَنْفِيِّ قَاتِلًا لَهُ: يَا هَوْدُ-
وَأَنْتَ امْرُؤْ مَاجِدْ، يَفْوَقُ جُودُكَ كُلَّ جُودٍ- لَقَدْ كَثُرْتُ نِعْمَكَ عَلَيَّ، وَتَعَدَّدَتْ أَيَادِيكَ،
وَكَثُرَ تَقْصِيرِي (٣)، وَهُوَ مَا يَتَضَخُّ مِنْ خِلَالِهِ أَنَّ ثَمَةَ تَعَاوِنًا بَيْنَ دَلَالَةِ السِّيَاقِ
وَلَفْظِ الْبُحُورِ الْمذُكُورِ فِي الْبَيْتِ عَلَى أَنَّ ثَمَةَ تَمِيِّزًا مَحْذُوفًا، يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ تَقْدِيرُهُ:
وَيَحْرُكَ فِي النَّاسِ يَعْلُو الْبُحُورَ جُودًا.

أَعُوذُ إِلَى يُوسُفَ أَبِي سَعْدٍ، فأشيرُ إلى أنَّ هَذَا التَّمييزُ قَدْ أَسْهَمَ فِي اسْتِطَالَةِ
الْبَنَاءِ، فِي إِطَارِ مَا أُرِيدُ مِنْ مَعْنَى، عَلَى نَحْوِ مَا سَبَقَ، وَلَمَّا كَانَ وَزْنُ الْبَيْتِ
وَتَقْطِيعُهُ هَكَذَا:

رَجَمَالَنْ / وَخَضْرَرَعُو / دَنْ وَأَوْرَقْ	ذَغْدَغَثُهُ / يَدْلُمْلَا / حَةَ فَافْتَرْ
فَعِلَاثَنْ / مُسْتَقْعِلَنْ / فَاعِلَاثَنْ	فَاعِلَاثَنْ / مُسْتَقْعِلَنْ / فَاعِلَاثَنْ
إِنَّهُ يَتَضَخُّ مِنْ خِلَالِهِ أَنَّ كُلَّ مِنْ ذِكْرِ التَّمييزِ وَحْذِفِهِ أَثْرًا فِي اسْتِقَامَةِ وَزْنِ	
الْخَفِيفِ وَصِحَّةِ الْقَافِيَّةِ.	

(١) السابق ص ١٣٦.

(٢) الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٦٨ م، ص ١٤٧ وينظر: الحذف التركيبية وعلاقته بالنظم والدلالة، د. فايز تركي، ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٣) ينظر: ديوان الأعشى ص ١٤٦ - ١. حيث شرح هذا البيت وبالتالي له، حيث يقول الشاعر:
مَنْتَتْ عَلَى العَطَاءِ الْجَزِيلِ وَقَدْ قَصَرَ الضَّئِيلُ مِنِّي كَثِيرًا

ومثالٌ ما ورد مُحَوِّلاً عن المفعول في شعره ما ورد في قصيدة (أحساس في نهاية المطاف)، حيث قوله (١) : (من الخيف)

وَجَلَ الشَّعْرَ مِنْ أَرْقِ سُلَافِ
رَوَضَ الْفَنَّ وَاسْتَحَثَ القَوْافِيِّ
وَمَعَانٍ شَسْمُو عَنِ الإِسْفَافِ
بِخَيَالٍ مُجْنِحٍ وَبِلَفْظِ
فِي عُقُودِ قُدْسِيَّةِ الْأَصْدَافِ
بُلْبُلٌ يَنْظِمُ الْمَشَاعرَ لَهُنَا

وقد مهدَّ يوسف أبو سعدٍ لهذه القصيدة بقوله: "الظروف صحّيَّة أحلَّتْ على التَّقَاعِدِ الْمُبَكِّرِ، بعد رحلةٍ طويلةٍ في مجال التعليم، استمرَّتْ ثلاثةً وثلاثينَ عاماً بين التَّدْرِيسِ والإِدَارَةِ الْمَدْرِسِيَّةِ". وبهذه المناسبة أقام أخي الأستاذ محمد عبد اللطيف العزفج، مدير ثانوية الملك خالد حفل توديع لي، في مزرعته الواقعة في أحضانِ الخدود بالهفوف. ضمَّ الحفل ثُجْبةً من الزَّمَلَاءِ الْكَرَامِ، واشتَملَ على بعض الكلماتِ والقصائدِ، وقد نَضَدَتْ هذه القصيدة هديَّةً مع باقةٍ حُبٍّ لجمِيع الزَّمَلَاءِ الْكَرَامِ" (٢).

ومن ثمَّ، فإنَّه في الأبياتِ التي معنا يرى أنَّه قد جعلَ الفنَّ رياضًا له، وَخَضَّ القوافي، آتَى بالشَّعْرَ مِنْ أَرْقِ عُصَارَةِ الْفِكْرِ، أي مِنْ خالصِهِ، مُتَضَمِّنًا خيالًا سَابِحًا في عوالمِ الأشياءِ، وألفاظًا ومعانيًّا بعيدةً عنِ التَّدَنِيِّ. ولمَّا كان ذلك كذلك، فقد أشارَ في البيتِ الثَّالِثِ إلى أنَّه بُلْبُلٌ، هذا البُلْبُلُ صِفَةٌ اتَّضَحتَ مِنْ خَلَلِ الجُملَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ الْمُثَبَّتِيَّةِ الْمُتَضَمِّنَةِ تميِّزَ نِسْبَةً (يَنْظِمُ الْمَشَاعرَ لَهُنَا) الْمُتَّخِذَةِ نَمَطَ (الفِعلُ الْمَضَارِعُ + الْفَاعِلُ + الْمَفْعُولُ + تميِّزُ النِّسْبَةِ)، فهو بُلْبُلٌ حَسَنُ الصَّوْتِ، خفيفٌ، سُرْعَانٌ ما يتَحوَّلُ نَظُمُ الْمَشَاعرَ لَدِيهِ. لكنَّ إِلَامَ تَحْوِلَّ هذه الْمَشَاعرُ؟ هُنَّا يَكُونُ الإِبْهَامُ قَصْدًا إلى ضَرْبٍ مِنَ الْمُبَالَغَةِ وَالتَّأْكِيدِ، بِحَصْوُلِ التَّشْوِقِ إلى مَعْرِفَتِهِ وَتَقْسِيرِهِ، فإذا به يُجلِّيهِ مُعْرِيًّا عنِ نِسْبَةِ هذا الإِسْنَادِ في جُملَةِ (يَنْظِمُ الْمَشَاعرَ) بِالْمُتَّمِيزِ الْمَحْوَلِ عنِ المَفْعُولِ بعدَ العَدُولِ عنِ هذا الْأَصْنَلِ - إِذَ إِنَّ أَصْنَلَهُ يَنْظِمُ لَهُنَا

(١) المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني ٣ / ١٧٣، وينظر به أيضًا ١٥ / ٩٩، ١٣ / ١٢٦، ١٢٦ / ١٤، ١١٥ / ١٥، ١٢٦ / ١٧٥.

(٢) السابق ص ١٧٣.

المشاعر - الكامن في كونه لحناً منظوماً في عقود عظيمة التالتو؛ ليعلم موقعه، ولن يكون كأنه ذكر مرتين، في الأولى مبهمًا، وفي الثانية مفسراً؛ وهو ما يتضح من خلله ترابط الفعل مع التمييز^(١)، وأن ارتباط التمييز بالفعل أقرب إلى ارتباط الإسناد، وهو يعتمد على المعنى أكثر من اعتماده على أي شيء آخر^(٢)، على نحو ما أشرت آنفًا.

وبعد، فلعل هذا التناول قد كشف لنا عن إسهام التمييز في استطالة التركيب، وترابطه مع فعله، متأزراً مع الوزن والقافية، فاستقام وزن الخيف، وصحت القافية، في إطار ما أراده المبدع من معنى، على نحو ما سبق.

هذا، ولما كان التمييز رافعاً لإبهام عامله، وكان عامله هنا الذات المقدمة الآتية من النسبة التي يفسرها التمييز، وهي "ما يمكن تسميته بالشخصية الاعتبارية للجملة، فقد لزم أن يكون ما يرفع هذا الإبهام اسمًا جامداً، يدل على ذات أيضاً، وكانت كلمة (لحناً) في مثالنا؛ لأن بيان الذات يكون بما دل على ذات، ولم يجرئ أن يكون بيان الذات بمشتق؛ لأن المشتق يدل على هيئة، والهيئة تابعة للحركة، والحركة مربطة بالزمن، وهذا يرتبط بمفهوم الحال لا التمييز. لكن ربماأتي التمييز في بعض الأحيان مشتقاً، وأتي الحال جاماً، فما تفسير ذلك من الناحية التجريدية؟ إن الاسم المنصوب إذا دل على ذات أعراب تمييزاً، وإن كان مشتقاً. وإذا دل على هيئة أعراب حالاً، وإن كان جاماً. وذلك أن التمييز قد يأتي مشتقاً، فيكون المراد به الذات الموصوفة لا الوصف المرتبط بها؛ لأن المشتق - كما هو معلوم - يدل على ذات مربطة بوصف معيين كالفاعلية أو المفعولية أو غير ذلك، كما أن الحال قد يأتي جاماً، غير أن هذا الجامد ثقفهم منه حينها الدلالة التي للمشتقة، فيكون في موضع المشتق أو مؤولاً به. وهذا إذا دل على شيء، فإنه يدل على

(١) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ٢/٧٤ - ٧٥ ، والإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب، تحقيق وتقديم موسى بناني العليلي، وزارة الأوقاف، مطبعة العاني، بغداد، العراق، ١٩٧٧ م، ٣٥٨/١.

(٢) إنشاء الجملة العربية، د. محمد حماسه، ص ١٦٧ - ١٦٨.

المرونة التي تتميز بها اللغة العربية من الناحية التجريدية. فمفهوم التمييز - كما رأينا - ليس مفهوماً قسرياً مفروضاً على اللغة، وإنما هو مستمد من روحها ومن الفهم الدقيق لها، وهو دليل على مطواعيتها وارتدائها لثوب الأفكار التي تُعبر عنها" (١).

المطلب التاسع: تقييد الفعل بالجائز والمحظوظ

من المعلوم أن الجائز والمحظوظ قد يتعلّق بالفعل الثامن مقيداً الحدث، إذا كان حرف الجر أصلياً، غير زائد، نحو قوله تعالى: «ولقد أزلنا إليك آيات بيتات» (٢)، فشبّه الجملة (إليك) بـتعلق بالفعل (أزلنا). والفعل قد يكون مذكوراً، كما تقدم، وقد يكون محدوفاً جوازاً أو وجوباً، كقوله تعالى: «وإلى ثمود أخاهم صالح» (٣) الذي تعلّق فيه (إلى ثمود) بمحدوف جوازاً، تقديره: (أزلنا)، أمّا حذفه وجوباً، فمثاله القسم، نحو قوله تعالى: «وتألله لا يكين أصنامكم بعد أن ثولوا مدبرين» (٤)، حيث إنّ قوله (تألله) متعلق بمحدوف وجوباً، تقديره: أقسم. هذا، ولا يعني ذلك أن الجائز والمحظوظ مع الفعل متعلّقان به دائمًا، فقد يكونان نائبين عن الفاعل أو بدلاً (٥).

(١) التمييز دراسة تحليلية في البنية، د. حسين وقف وأخرين، مجلة جامعة تشرين، الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق، سوريا، المجلد (٢٩) العدد (١)، م، ص ٢٠٠٧ بتصريف يسير، ويُنظر: التمييز دراسة تحليلية في البنية، فراس أكرم عبد الحليم، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة تشرين، دمشق، سوريا، ٢٠٠٨ - ٢٠٠٧ م، ص ١٧٢ - ١٧٥.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٩٩.

(٣) سورة هود، من الآية ٦١.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٥٧.

(٥) يُنظر في ذلك كله: الكتاب، سيبويه ١ / ٤٢٠ - ٤٢١، ٤٠٦ / ٢، ومعاني القرآن، للأخفش، تحقيق د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ م، ١ / ١٥٥ - ١٥٦، ومغني اللبيب، ابن هشام، تحقيق د. مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ١٩٨٥، ص ٥٦٦، ٥٧٥، ٥٧٠، وبناء الجملة العربية، د. محمد حماسة ص ٦٤، وقضايا التقدير التحوي بين القدماء والمحدثين، د. محمود ياقوت، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٨٥، ص ٨١ - ٩٤، والتراتيب التحوية نظامها وخصائصها في شعر سقط الزند، د. مدوح عبد الرحمن الرمالي، ص ٦١، ١٥٤، وشبّه الجملة في القرآن الكريم، أحمد حسن عواد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن، ١٩٩٧ م، ص ١٢٢ - ١٢٥.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أنَّ أثر الجار والمجرور يكمنُ في تخصيصِ وقوعِ

الفعل، وإطالله ببناء الجملة، مؤديان وظيفة الظرف أو المفعول لأجله أو المفعول معه أو الحال أو التمييز، لكنهما لا يغيران المعنى الأصلي للفعل، بل يظهران ما فيه من معنى كامن، وقد يخرجانه عن معناه الأصلي (١). لكن يلاحظ على شعر يوسف أبي سعد - من خلال الاستقراء أنَّ جل ماضيه تقيد الفعل بالجار والمجرور، كانت مخصوصةً لوقوع الفعل، بأحرف الحرج المختلفة، سواءً أكان الجار والمجرور متاخرًا على متعلقه الفعل أم متقدماً عليه، وقد يتعدد تقيد الفعل الواحد بأكثر من جارٍ ومجرورٍ.

ومثال ذلك الأبيات التالية، حيث قوله (٢): (من البسيط)

إِذْ كَادَ قَلْبِي مِنَ الْأَشْوَاقِ يَنْخَطِفُ إِلَى سِواكِ وَأَنْتِ الرُّوحُ وَالْهَدْفُ وَالدَّمْعُ مِثْلُ الْلَّظَى مِنْ مُفْلَتِي يَكِيفُ زَرْعًا عَلَى الدَّهْرِ لَا يَخْبُو بِهِ الْوَرَفُ	أَيْقَنْتُ يَا هَجَرُ أَنِّي مُغَرَّمٌ دَنِيفُ لَمَّا تَغَرَّبْتُ عَنْ عَيْنِيْكَ مُرْتَحِلًا فَاسَيْتُ لَيْلَ النُّوَى هَمَّا يُضَاجِعُنِي إِنِّي أَحِبُّكَ حُبًا فِي الْفَوَادِ نَمَا
--	--

فهذه الأبيات من قصيدة (أحبك يا هجر) تلاحظ أنَّ بها خمس جمل، قيد فيها الفعل ماضياً أو مضارعاً بالجار والمجرور، سواءً أكان متقدماً أم متاخرًا على فعله، سواءً أكان الفعل المقيد في حشو البيت أم في عروضيه أم في ضربه. هذه الجمل هي (من الأشواق ينطفئ) متذكرة نمطاً (الفعل + الفاعل + الجار والمجرور) مع تقدم الجار والمجرور، وهو الأمر نفسه في جملة (في الفواد نما)، وكذلك في جملة

(١) ينظر: خزانة الأدب، للبغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٨٤، ٩ / ١٢٥ صدد تناوله الشاهد التاسع بعد السبعينات، وبناء الجملة العربية ص ١٧٢، وأثر متعلقات الفعل، محمود الحسن، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، المجلد (٨٤)، الجزء (٢)، ٢٠٠٩ م، ص ٥١٥.

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني ١ - ٤ / ٢٢٦ وينظر به أيضاً ١٤ / ٢، ٧٢، ٤، ٢، ٧٣ / ٣، ٨٣، ٥، ٩٦ / ١٢، ١، ٩٦، ٥، ٩٧ / ٨، ٤، ٩٩ / ٨، ٤، ١٣، ٩، ١٢١ / ٣، ١٥٢ / ١٦، ١٩٤ / ٢، ١٢٦ / ٢، ٤، ٢٣٤ / ١٢، ٤، ٢٢٦ / ٨.

(لا يُخْبِرُ بِهِ الْوَرْفُ) مع ملاحظة كونها منفيّة، وكون الجار والمجرور فاصلاً بين الفعل والفاعل. أمّا جملة (تغَيَّبَتْ عَنْ عَيْنِي)، فقد اتّخذت نمطاً (الفعل + الفاعل + الجار والمجرور + المضaf إلّي)، وهو الأمر نفسه في جملة (منْ مُقْلِتِي يَكُفُّ) مع تقدّم الجار والمجرور.

وفي هذه الجمل نلاحظ أن الشاعر قد قصد استخدامها، باعتبارها عناصر غير إسنادية؛ لِتخصيص وقوع الفعل أو حدوثه، باستخدام حروف الجر (من، عن، في، الباء) ملاحظاً معانيها الوضعيّة، وكون الجار والمجرور وعاءً لحدوث الفعل، وكون التعلق بالفعل معنى يتحكم فيه معنى الفعل نفسه ونوع حرف الجر المستخدم ومنعى الاسم المجرور بحarf الجر كذلك (١)؛ ومن ثم أسعف كل ذلك أبا سعيد في إطالة التركيب، والإسهام في تواافق النّظام النّحوّي مع النّسج الشّعريّ، وتراصُدُ الجار والمجرور مع الفعل، في إطار ما أريد من معنى.

هذا المعنى مفاده أنَّه يُعربُ عن تيقنه من حبه (هجر) وغرامه بهذا المكان، حتَّى صار ملزماً له، لدرجة أنَّ قلبه كاد يؤخذ من شدة شوقه إليها. ولأهمية الأسواق وكونها وعاءً للانخراط قدم الشاعر الجار والمجرور، آتياً بالفعل ذي الروي المرفوع في القافية تحقيقاً لهذه العلامة الثابتة في القصيدة، تلك العلامة الكامنة في حرف الروي، فمن المعلوم أنَّ التحقيق العلامة الثابتة لابد أن يستخدم المنسى ما يعرفه من إمكانات وخصائص لغوية متاحة في النظام اللغوي المستخدم. كما يستخدم مهاراته في تطوير المكونات التركيبية وفقاً للتركيب المراد والعلامة التي ينبغي تحقيقها. وتجلى قدرة هذا المنسى وجودة شعره في رصيده اللغوي، من مفردات وصيغ وأدوات وتركيبات جاهزة ومجهزة، وفي التوفيق بين هذه المكونات؛ ليصنّع أنساقاً تركيبية مودية لليخاطب الشعري والدلالة المقصودة، وملتزمة بكلّ من

(١) ينظر: الكتاب، سبيوه ٤٢١ - ٤١٩ / ١، وبناء الجملة العربية ص ١٧٢ - ١٧٤ حيث الحديث عن تراصُدُ الجار والمجرور بالفعل.

الأبنية العروضية المقترحة والعلمات الثابتة^(١)،وها هو أبو سعد، على نحو ما رأينا.

وهو ما يسلمنا إلى القول بأنَّ البناء التحوي يتعانق والقافية ذات الروي المرفوع، بإمدادها في بعض المواضيع بالفعل المضارع الذي قد يكون مسندًا إلى ضمير مُستتر، وقد يكون مسبوقًا بناصِب أو جازِم، مسندًا إلى واو الجماعة، فقد كان بإمكان الشاعر أن يقول: (كاد قلبي يتخطف من الأسواق)، لكنه يريد أن يتَعَطَّشَ المتألقَ إلى معرفةِ الذي قربَ عليه قلبُ الشاعر، فإذا به يجده نفعَةً واحدةً في مكان القافية (يتخطف)؛ ومن ثمَّ خدمَ تأخير الفعل المضارع - المرفوع، المبني للمعلوم، المسند إلى ضمير مُستتر - جانب المعنى، على نحو ما سبق، بالإضافة إلى لفت انتباه المتألقَ بأنَّ يركِّز على هذا الفعل نظرًا لأهميته.

وفي إطارِ هذا التركيزِ من الشاعر - بوضعِه هذا المضارع - ما يجعلني أشيرُ إلى أنَّ النشاطَ اللغوِي أو التحويَ لل فعل المضارع - وهو ما لا أملُ من تكراره في أبحاثي - يمكن تفسيره في ضوءِ تجاوزِ دلالته الموجَّهة، ذلك أنَّنا إذا دققنا النَّظرَ في فاعليَةِ هذا النشاطِ اللغوِي، وتجاوزنا ما يسمى عادةً باسم الموقف الإشاري أو الاستمرار في الحديثِ الذي تقتضيه طبيعةِ المضارع أو معناه اللغوِي - كما يقولُ الناقدُ العربيُ القديم - فقد ينطوي المضارع على شيءٍ واضحٍ، يمكن تسميتها بالاستمرارِ الشعوري^(٢)، ويصبحُ الانخطافُ من جانبِ الشاعرِ ناموسًا يتَجَددُ الشعورُ به آنَّا بعْدَ آنِ^(٣)، وكأنَّنا أمامَ معنى لغوِي يستحيلُ إلى معنى بلاغي، وكانَ فكرةُ الاستمرار لا تقومُ - كما أشرنا - على مجردِ الاستمرارِ في

(١) يُنظر: التراكيب التحوية نظامها وخصائصها، د. ممدوح عبد الرحمن الرمالي، ص ١٣٧.

(٢) نظرية اللغة والجمال في النقد الأدبي، د. تامر سلوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م، ص ٣٢٠، وينظر به أيضًا ص ١٠٥، وتتجدر الإشارة إلى أنَّ مضمون ما سيأتي من حديثِ في هذه الفقرة سبق أن تناولته مع اختلافِ موضع التطبيقِ في بحث سابق لي، مقبول للنشر، بحولية الأدب والعلوم الاجتماعية بالكويت، لم يخرج للنور حتى الانتهاء من هذا البحث، بعنوان "تعانق البناء التحوي مع القافية في باتية ذي الرمة ودلالة في النص".

(٣) يُنظر: المرجع السابق، نفسه.

الحدث، بل تتضمن في الحقيقة ما هو أبعد من ذلك^(١)، وهو ما يؤكد أن "الشعراء - وخاصة المجددين منهم - لا يقدمون على شيء دون أن تكون له دلالة خاصة"^(٢).

وفي إطار تلك الإجادـة - على نحو ما سبق من تحليل - تحضرني إشارة الدكتور محمد غنيمي هلال إلى أن كلمات القافية في الشعر الجيد ذات معانٍ متصلاً بموضوع القصيدة، بحيث لا يشعر الماء أن البيت مخلوبٌ من أجل القافية، بل تكون هي المخلوبة من أجله، ولا ينبغي أن يؤتى بها لتنمية البيت، بل يكون البيت مبنياً عليها، ولا يمكن الاستغناء عنها فيه، وتكون كذلك نهاية طبيعية للبيت، بحيث لا يُسْدُّ غيرها مسداً في كلمات البيت قبلها^(٣)، وهذا ما ينطبق على قول أبي سعد: (من مقلتي يكـفـ) مع ملاحظة أنه أضاف المجرور إلى ياء المتكلـم؛ للدلـلة على استمرار الدـمع من مقلتي، وكـونـهما وعاء للدمـع.

أعود إلى استكمال مفاد المعنى الذي أعرب عنه الشاعر باستخدام التقييد، فأشير إلى أنه في البيتين الثاني والثالث يرى أنه قد قاسى من طول ليل العـادـ وهوـمـهـ، بـسبـبـ تغـربـهـ عنـ (هـجـرـ)، وـذـلـكـ وـاضـحـ مـنـ جـمـلـةـ (تـغـربـتـ عـنـ عـيـنـيـكـ)، لا بـسبـبـ تغـربـهـ عـنـ غـيرـهـ، فـصـرـافـ حـرـفـ الجـرـ (عنـ) الفـعلـ (تـغـربـ) إـلـىـ المـجـرـورـ (عـيـنـيـكـ)، وـعـنـدـماـ تـغـربـ مـرـتـحـلـاـ إـلـىـ مـكـانـ آخرـ غـيرـ (هـجـرـ) كـانـ الدـمـعـ يـذـرـفـ مـنـ عـيـنـيـهـ (منـ مـقـلـتـيـ يـكـفـ)، وـفيـ هـذـاـ أـيـضـاـ تـحـدـيـدـ مـكـانـيـ لـلفـعـلـ وـإـيـصالـهـ إـلـىـ الـاسـمـ مـتـرـابـطـاـ بـهـ.

ويواصل مبيناً أن حبة إياها قد نما في فؤاده (إنـيـ أحـبـكـ حـبـاـ فيـ الفـؤـادـ نـمـاـ زـرـعاـ عـلـىـ الدـهـرـ)، ولأهمية الجار والمجرور (فيـ الفـؤـادـ) قـدـمـ إـيـاهـ عـلـىـ الفـعـلـ،

(١) السابق، نفسه.

(٢) الجملة في الشعر العربي، د. محمد حماسة، ص ٢١٦.

(٣) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٩٧ م، ص ٤٤٢ - ٤٤٣، وينظر: القافية تاج الإيقاع الشعري، د.أحمد كشك، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤ م، ص ٦، ٤٩.

مسنّهما في التّراثيُّ، مُشيراً إلى أَنَّهُ حُبٌّ، رَزْعَةٌ على مَدِي الدَّهْرِ، فَمَا، لَا يَهْدُوا ولا يَنْطَفِئُ، ولأَهميَّةِ المجرورِ قدَّمهُ أَيْضًا فاصِلًا بِهِ بَيْنَ الفِعْلِ وَالْفَاعِلِ (لَا يَخْبُو بِهِ الْوَرَفُ)، مُسْهِمًا في إِيصالِ مَعْنَى عَدَمِ النَّزولِ مِنِ الْعَلَيَاءِ الْمُسْتَقَادِ مِنْ قَوْلِهِ (لَا يَخْبُو) إِلَى (الْحُبُّ) العَائِدِ عَلَيْهِ الضَّمِيرُ فِي (بِهِ)؛ فَكَانَ حَرْفُ الْجَرِّ مُسْهِمًا في تراثيُّ الفِعْلِ (يَخْبُو) بالِمُجْرورِ.

وَغَنِيٌّ عنِ الْبَيَانِ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ تَقْدِيمَ الْجَارِ وَالْمُجْرورِ عَلَى الْفَاعِلِ لَا يَعْنِي أَنَّ الْفَاعِلَ لَيْسَ مُهِمًا، بَلْ مِنْ أَهْمَيَّهُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحُبُّ لَا يَنْزَلُهُ مِنْ عَلَيْهِ أَيُّ اهْتِزَازٍ (الْوَرَفُ). جَعْلُهُ فِي الْقَافِيَّةِ مَحَلَّ الْاِهْتِمَامِ وَالْعَنَيْةِ، مُسْتَقِيدًا مِنْ هَذَا التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ - بِجَانِبِ الْاسْتِفَادَةِ فِي الْمَعْنَى - فِي اسْتِقَامَةِ الْوَزْنِ وَصِحَّةِ الْقَافِيَّةِ أَوْ مَا يُسَمِّي بِتَحْقِيقِ الْعَلَامَةِ الثَّابِتَةِ، أَيْ حَرْكَةِ الرَّوَىٰ (١). وَهُوَ مَا يُؤكِّدُ أَنَّ الْمُبْدَعَ باسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَخْلُقَ مِنَ الْبَيْنِيِّ ذَاتَ الْقُوَّةِ التَّعَبِيرِيَّةِ مَا يَشَاءُ، سَوَاءَ التَّزْمَنُ التَّوَابَتُ أَوْ انتِهَا، وَإِذَا كَانَتِ التَّوَابَتُ مَتَاهِيَّةً، فَإِنَّ مَا يَتَشَكَّلُ مِنْهَا مِنْ مَعَانٍ غَيْرِ مُتَنَاهٍ (٢). وَإِنَّ أَنْسَ لَا أَنْسَى هُنَّا - وَهُوَ مَا لَا أَمْلُ مِنْ تَكْرَارِهِ - الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ كَوْنَ الْقَافِيَّةِ فَاعِلًا، وَهُوَ مَا تَكَرَّرُ فِي هَذِهِ الْفَصِيَّدَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ ذَوَاتِ الرَّوَىٰ الْمَرْفُوعِ لِدِي يُوسُفَ أَبِي سَعْدٍ (٣)، يُومِيٌّ إِلَى أَنَّ الشَّاعِرَ يَرِيدُ إِخْبَارَ الْمُتَلَقِّيِّ بِأَنَّ ثَمَّةَ تَرْكِيَّا عَلَى مَعْنَى الْفَاعِلِيَّةِ لِدِي الشَّاعِرِ وَاهْتَمَمَ بِهَا فِي مَوَاضِعِهَا الَّتِي آثَرَ أَنْ تَكُونَ مَحَلَّ كَلْمَةِ الْقَافِيَّةِ؛ وَمِنْ ثَمَّ يَنْبَغِي التَّنْبُهُ إِلَى أَهْمَيَّةِ الْفَاعِلِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَعْنَى، عَلَى نَحْوِ مَا سَبَقَ - وَعَدَمِ الْاِنْشِغَالِ بِتَعْلُقِ الْجَارِ وَالْمُجْرورِ، وَمَا لَهُ مِنْ دَوْرٍ فِي

(١) يُنْظَرُ: التَّرَاكِيبُ النَّحْوِيَّةُ نَظَامُهَا وَخَصائِصُهَا، د. مُمْدُوحُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الرَّمَالِيُّ، ص ١٦٠، ١٦١.

(٢) فِي الْبَنِيَّةِ وَالدَّلَالَةِ، رُؤْيَا لِنَظَامِ الْعَلَاقَاتِ فِي الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. سَعْدُ أَبُو الرَّضَا، مَنْشَأَهُ الْمَعَارِفُ، الإِسْكَنْدَرِيَّةُ، مَصْرُ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٣) المَجمُوعَةُ الشَّعْرِيَّةُ الْكَاملَةُ، الْمُجَلَّدُ الثَّانِيُّ، ٨، ١١ / ١١، ٢، ٢٢٦ / ٧، ٤، ٢٩٦، ٤ / ٥، ٣، ٢٩٧ / ١٣، ١، ١١، ٧، ٥، ٤، ٢٩٨ / ٩، ٣، ١٠، ٥، ٢٩٩ / ١١، ١٠، ٩، ٨، ٦، ١، ١٣، ٩، ٤٥٩ / ٤، وَهَذَا مَا تَنَوَّلَتْهُ فِي بَحْثٍ "تَعْانِقُ الْبَيَانِ النَّحْوِيِّ مَعَ الْقَافِيَّةِ فِي بَانِيَةِ ذِي الرَّمَّةِ" الْمُشارِ إِلَيْهِ آنَفًا.

استطالة البناء والتَّرْابُط مع الفعل - وهو ما يتمحور في نية الشاعر وقصده في الإعراب، ذلك القصد الذي يُعد أساساً من أساسِ التَّداولية، وأبرز مفاهيمها^(١)، فمن المعلوم أنَّ "جميع معاني الكلام ينشئها الإنسان في نفسه، ويصرُّفها في فكره، ويناجي بها قلبَه، ويراجع فيها عقلَه، وتوصف بأنَّها مَقاصِد وأغراض"^(٢). وهو ما يمكن تسميته بالكافية التَّخاطُبِيَّة التي تُعرفُ بأنَّها "المقدرة على استخدام اللغة في سياقاتها الفعلية التي تتجلى فيها، فبينما يمكن أن نظر إلى الكفاءة اللغوية على أنها المعرفة المطلوبة لتركيب الجمل اللغوية الصحيحة الصياغة، أو فهمها، فإنَّ الكفاءة التَّخاطُبِيَّة قد ينظر إليها على أنها المعرفة المطلوبة لتحديد ما تعنيه مثل هذه الجمل عندما يتكلَّم بها في سياقٍ مُعيَّن"^(٣)، وهو الأمر الذي يبرهن على دور النحو في تحليل النص، وما يرتبط بذلك من إمكانات دلالية ، وهنا يكون توخي معاني النحو، التي يكون في عدم الانتباه لأثرها انتفاء لسمة النصيَّة، قال عبد القاهر الجرجاني: "إنك إنْ عمدت إلى الأفاظ ، فجعلت تتبع بعضها بعضاً من غير أن تتوخى فيها معاني النحو، لم تكون صنعت شيئاً تدعى به مؤلفاً"^(٤).

(١) يُنظر: التَّداولية عند العلماء العرب" دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي" ، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م، ص ٢٠٠، ١٨٥، ٣٠، وينظر: استراتيجيات الخطاب" مقاربة لغوية تداولية" ، عبد الهادي الشهري، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، دار أويما، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٤ م، ص ٣٠ حيث إشارته إلى أنه لا وجود للتواصل عن طريق العلامات دون وجود قصديرة وراء فعل التواصل، ودون وجود إبداع، أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات".

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ٥٤٣، وينظر: دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء، دبتول قاسم ناصر، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م، ص ٤١ - ٥١.

(٣) المعنى وظلال المعنى" أنظمة الدلالة في العربية" ، د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧ م، ص ١٤٩، وينظر: التَّداولية في كتاب دلائل الإعجاز، ثقابيث حامدة، رسالة ماجستير، بكلية الآداب، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٢ م، ص ٥٥.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ٣٧٠ - ٣٧١.

المبحث الثاني: تبعية العناصر غير الإسنادية وتعدها

المطلب الأول

تعدد المفعول به، ودوره في النص

من المعلوم في الدرس النحوي أنَّ مِنَ الأفعالِ مَا يُنْصِبُ مفعولين، سواءً أكان أصلُهُما المبتدأ والخبرُ أمْ ليس أصلُهما المبتدأ والخبرُ، ومِنْهَا مَا يُنْصِبُ ثلاثة مفاعيلٍ، ولَمَّا كان ذلك كذلك، فإنَّه يُنْبَغِي التَّنْوِيهُ إِلَى أَنَّ مَا وَرَدَ لَدِيْ يُوسُفُ أَبِي سَعْدٍ كَانَ مِمَّا يُنْصِبُ مفعولين، على النحو التالي:

أولاً - ما يتعذر إلى مفعولين أصلُهُما المبتدأ والخبرُ:

أ- أفعال القلوب:

استثمر يُوسُفُ أبو سَعْدٍ أفعالَ القلوبِ في شِعرِهِ، سواءً أكانت دالةً على اليقينِ أم دالةً على الرُّجُحانِ، وذلك نحو قولِهِ (١): (من البسيط)

أَقْيَتَ أَبْنَاءَكَ الْمَرْهُوبَ جَانِبُهُمْ
كَالْأَسْدِ ثَارُوا لِشَدِ الظُّلْمِ فِي قَرْنِ
مَوْجًا مِنَ النَّارِ فِي وَجْهِ الْعِدَا رَصَدًا
فَهذَا الْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ (سطور على جبين الوطن) يُخاطِبُ فيها وطنه،
مُشيراً إلى أنه إذا تكالبَ جيشُ الغدرِ - مُندَفِعَةً مِنْهُ دَفَعَاتٌ، قُتِلَ لها قَتْلَى، لم
تُدْرِكُهم بِدِيمِهم، خائفينَ، يحملونَ الحقدَ بينَ جَنَابِهم - واشتدَّ المعركةُ (٢)، فإنَّ
الوطنَ سَيُلْفِي أَبْنَاءَه مَوْجًا في وجهِ الأعداءِ، وذلك مِنْ خَلَلِ الجملةِ الفعليةِ الخبريةِ
المُثبَّتةِ المُتَخَذِّةِ نَمَطًا: (الفعل + الفاعل + المفعول الأول المضاف + النعت + نائب
الفاعل المضاف + الجار والمجرور + النعت "جملة فعلية" + جار ومجرور متكرر +
المفعول الثاني)، وهو مَا يتضحُ مِنْ خلالِه أنَّ الشاعرَ استَخدَمَ الفعلَ (ألفي) في

(١) تقسيم على زوارق الأيام، يُوسُف عبد اللطيف أبو سعد، ٨، ٧، ٥١ / ٦، ١٧ / ٤٨، ٤٩ / ٣.

(٢) يُنظر: السابق ص ٥١.

صورة الماضي لفظاً والمضارع معنى دالاً على المستقبل^(١)؛ للدلالة على تيقن الوطن من كون أبنائه موجاً من النار في وجه الأعداء متربقيين إياها، لا تأخذهم سنة من اليوم حينئذ، فجانبهم مرهوب كالأسود، يثرونون لدفع الظلم.

وبناءً على ذلك، فإن ثمة ربطاً بين الشكل والمضمون في النص، ينبغي أن يكون تعليم قواعد النحو العربي من خلال هذا الرابط، لا أن تُعطى القاعدة جافة، في مثال أو مثالين، بعيدة عن بيان أثرها في نص ما؛ ومن ثم يجب بيان مدى استثمار المبدع لهذا المعطى النحوي من أجل الوفاء بما يريد من معنى نصي، لا يقتصر على الدلالة فقط، بل يشمل كل ما من شأنه الوصول بالخطاب إلى المعنى النصي المراد من النص ونبيجه، ذلك التسلیج الذي أنسهم فيه الفعل ألفي، من خلال تعدد المفعول به (أبناء - موج) - المترابط مع فعله عن طريق دلالة الفعل على المعاوازة، وهي التعديبة المدلولة عليها بحالة النصب^(٢) - في توافق البناء النحوي مع النسج الشعري، فاستقام وزن البسيط، وصحت القافية، برويها المراد في البيتين، من خلال هذا الاختيار المعجمي (قرن - الوسن) المقصود من الشاعر في مكانه هذا.

وإن أنس لا أنسى الإشارة إلى أن تعدد المفعول به قد مكّن الشاعر من التعبير عن المراد، مضيفاً إلى ذلك أن هذا التعبير عن المراد هو ما جعل الشاعر يأتي بالمفعول الثاني في بداية البيت الثاني، على سبيل التضمين - الذي لا يُعد عيباً؛ من منطلق أن باعثه اللزومي هنا تؤكد مطالب النحو والدلالة^(٣) - بعد أن

(١) ينظر: الدر المصور في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبـي "أحمد بن يوسف ت ٧٥٦ هـ" ، تحقيق د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة، ٦ / ٤٩، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م، صدد تناوله قوله تعالى: ﴿أَتَأْفَلُمُ﴾ من الآية ٣٨، من سورة التوبة.

(٢) ينظر: بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة ص ١٤١، ١٤٣.

(٣) التدوير في الشعر دراسة في النحو والمعنى والإيقاع، د. أحمد كشك، مطبعة المدينة ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ م ، ص ٩-٨ ، وينظر: التضمين العروضي في الطويل وببناء شعر الأعشى دراسة نصية في ضوء العلاقات النحوية الرأسية والأفقية" ، د. فايز صبحي عبد السلام تركي، مجلة الثقافة والتنمية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، العدد السابع، يوليو، ٢٠٠٣ م، ص ١٤ - ١٦.

طالِتِ الجُملَة بِمُتَعَلِّقَاتِ المَفْعُولِ الْأَوَّلِ، فِي إِشَارَةٍ إِلَى أَنَّ مِنْ واجِبِنَا فِي تَعْلِيمِ النَّحْوِ الإِشَارَةَ إِلَى أَنَّ المَفْعُولَ الثَّانِي لَيْسَ مِنَ الضرُورِيِّ أَنْ يَأْتِي بَعْدَ الْأَوَّلِ، بَلْ إِنَّ مُقتضياتِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَرَادِ قدْ تُرْجِئُهُ بَعْدَهُ بِعِدَّةِ الْفَاظِ، رُبَّما تَصِلُّ إِلَى الْبَيْتِ الثَّانِي أَوْ غَيْرِهِ، وَهُوَ مَا يُبَرِّهُنَّ عَلَى أَنَّ ثَمَّةَ مِرْوَنَةً وَتَعَاوِنًا بَيْنَ النَّظَامِ النَّحْوِيِّ وَالنَّسْجِ الشَّعْرِيِّ.

هذا، وَلَمَّا كَانَ فِيمَا سَبَقَ إِشَارَةً إِلَى تَعْدُدِ المَفْعُولِ بِهِ لِفَعْلٍ قَلْبِيٍّ دَالٌّ عَلَى الْيَقِينِ، فَإِنَّ ثَمَّةَ مَا يَدْلُّ عَلَى الرُّجْحَانِ لَدِيْ يُوسُفُ أَبْيَ سَعْدٍ، عَلَى نَحْوِ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ (١): (مِنَ الْخَفِيفِ)

فَاسْتَدَارُوا وَأَيَّدُوا (هَدَامًا)
ادْعَاءً، تَخَالُّهُمْ أَصْنَاماً
بَدَّوا - رَغْمَ أَنْفِهِمْ - أَفْرَاماً

خَاسِرٌ مَنْ أَضَلَّهُمْ عَنْ حِجَاهُمْ
لَبِسُوا مِعْطَافَ الْبُطُولَاتِ بِالْأَمْسِ
هَا هُمُ الْيَوْمَ أَصْبَحُوا فِي اِنْكِسَارٍ

فَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ مِنْ قَصِيدَةِ (نُور وَنِيرَان) فِي طاغِيَةِ الْعَرَاقِ وَجَلَاؤِزِهِ (الْمَأْمُورِينَ بِأَمْرِهِ)، الَّذِينَ أَرَادُوا بِالْخَلْيَجِ الْعَرَبِيِّ الْمُسَالَمَ سُوءًا؛ فَخَذَلَهُمُ اللَّهُ. وَفِيهَا يَرِى الشَّاعِرُ أَنَّ الْخُسْرَانَ وَاقِعٌ - لَا مَحَالَةَ - بِمَنْ أَضَلَّ الْعَرَاقِيِّينَ وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُمْ، عَنْ عَقْوَلِهِمْ وَفِطْنَتِهِمْ، فَأَدَارُوا ظَهْوَرَهُمْ لِلْحَقِّ مُؤْيِّدِينَ حَاكِمَ الْعَرَاقِ صَدَامًا آنذَاكَ، وَالْمُكْنَى عَنْهِ فِي بَيْتِ أَبْيَ سَعْدٍ بِهَدَامٍ. وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي يَرِيدُ الشَّاعِرُ بِيَابَانِ وَجْهِ ضَلَالِهِمِ الْمُتَمَثَّلِ فِي سُكُونِهِمْ، فَيُسْعِفُهُ فِعْلُ الْقَلْبِيِّ، الدَّالُّ عَلَى الرُّجْحَانِ، الْمُتَعَدِّي إِلَى مَفْعُولِيْنَ أَصْلُهُمَا الْمُبْدِأُ وَالْخَبَرُ، فِي صِيَغَةِ الْمُضَارِعِ (تَخَالُ)، مِنْ خَلَلِ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ الْمُثَبَّتِيَّةِ الْمُتَخَذِّةِ نَمَطًا: (الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ + الْفَاعِلُ الْمُسْتَترُ + الْمَفْعُولُ بِهِ الْأَوَّلُ "ضَمِيرُ مُتَصِّلٍ" + الْمَفْعُولُ بِهِ الْثَّانِي)؛ وَمِنْ ثَمَّ كَانَتُ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ مَصِيرَ هُولَاءِ الَّذِينَ أَضْلَلُوا عَنْ صَوَابِهِمْ - وَقَدْ صَوَرُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ قَبْلُ أَبْطَالًا، عَلَى سَبِيلِ الْإِدْعَاءِ - هُوَ سُكُونُهُمْ عَنِ مُجَابَهَةِ الْعُدوَانِ وَالنُّكُوصِ عَنِ الْحَقِّ؛ وَلَذِكَ عَبَرَ عَنْهُمْ

(١) تقسيم على زوارق الأيام، يوسف أبو سعد ٥ / ١٤٣.

الشاعر بالفعل (تَخَال) في إشارة منه إلى أنهم على مدار وقت هذه الأزمة هكذا، فهم بشر، ليسوا ببشر في الوقت نفسه، فيخيل إليك أنهم أصنام، لا حراك لهم، وهو الراجح، فلا فائدة ترجى منهم، وذلك من خلال المفعول به المتعدد - المترابط مع فعله عن طريق دلالة الفعل على المعاوازة - في صورة الضمير أولاً، مُبِّهِمَا هؤلاء المضللين، وكأنهم لا يستحقون التصريح بعلمائهم، وهو ما عضده المفعول به الثاني النكرة دالاً على أنهم أصنام حقيقة، وليسوا كالأصنام.

وهو ما يتضح من خلاله أن تعدد العنصر غير الإسنادي المتمثل في مفعولي الفعل (تَخَال) بجانب هذا الفعل، قد مكن الشاعر من الإمساك بتلايب المعنى؛ ومن ثم كان استثمار هذا المعطى التحوي أيضاً في استقامة وزن الخيف، وصحة القافية ذات الروي الميمي المطلق. وهو ما يمكن استثارته في تدريس هذه الأفعال بالإشارة إلى أن هذا التعدد لا يقتصر على كون المفعولين اسمين ظاهرين، بل يمكن التتويج، في إطار ما أردت من معنى تصني، فتأتي بالأول ضميراً متصلاً وبالثاني نكرة، مع الإشارة إلى أن ذلك لا يمنع من مجيئه معرفة، فكان بإمكانه أن يقول: (تَخَالُهُمُ الأَصْنَامَا)، لكنه لا يريد تعريفهم، بالإضافة إلى ما يريده إليه من استقامة الوزن، في إشارة منه إلى أنه والقافية جزء من المعنى النصي (١).

ب- أفعال التصوير والتحويل:

في شعر شاعر بقامة يوسف أبي سعد أجدني لا أعدم استثماره أفعال التصوير والتحويل ، وذلك نحو قوله (٢): (من البسيط)

لِلشَّعْبِ قَيْضَنَا سَخِيًّا يَالَّهُ كَرَمًا !
فَأَغْرَقَ الْجَهْلَ حَتَّى انجَابَ مُهَزِّمًا
وَبَذَّلَ الْفَقْرَ حَتَّى بَاتَ مُنْحَسِمًا

مَكَارِمُ مِنْ يَدِيْ (فَهِيدٌ) يُقَدِّمُهَا
قَدْ أَغْدَقَ الْعِلْمَ بَحْرًا لَا نَفَادَ لَهُ
بَذَّلَ الْقَفْرَ جَنَّاتٍ تَفُوحُ شَذًا

(١) ينظر في ذلك: الجملة في الشعر العربي ، د. محمد حماسة عبد اللطيف ، ص ٣٦ وما بعدها.

(٢) تقسيم على زوارق الأيام ، يوسف أبو سعد ٤/٦ ، ٥/٥ ، ٦/٦ ، ١٦/٦ ، ٣/٣ ، ١٠٤/٦ ، ١١٨/٧ ، ١٤٥ وأفعال هذه الموضع تكمن في (صاغ ، جعل ، اجعل ، اتخذ ، بدأ).

فلا غرابة إن دان الفخار له وأصبح المجد والعليا له خدماً فهذه الأبيات من قصيدة (في موكب الثور) ، تلك التي أشار الشاعر إلى أنه نظمها تعبيراً عن الفرحة التي غمرت القلوب ، بمناسبة افتتاح النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية (١) ، يشير فيها إلى أن يدي خادم الحرمين الشرفين الملك (فهد) - رحمة الله - قد فاضت بالمكارم والمحاسن ، التي يقدّمها للشعب السعودي ، فيضاً يئم عن السخاء والكرم . ومن ذلك أنه أراد القضاء على الجهل ، فشرع في شر العلم والمطر أو كالبحر ، لا نفاد له ؛ ومن ثم هزم الجهل ، وليس ذلك فحسب ، بل عم هذا التهج مناهي الحياة . وفي سبيل ذلك وظفَ الشاعر تعدد المفعول به (القفر - جنات) للفعل (بدل) على وزن (فعل) الدال على التحويل ، من خلال الجملة الفعلية الخبرية المثبتة (بدل القفر جنات تفوح شذا) المتخذة نمطاً : (الفعل + الفاعل + المفعول به الأول + المفعول به الثاني + النعت بالجملة الفعلية) ، فدل على أن الملك (فهد) قد حول كل خلاء في مناهي الحياة المختلفة إلى جنة ، يفوح ذكاء رائحتها الطيبة ؛ ومن ثم قضى على الفقر .

هذا ، وإن دل ذلك على شيء ، فإنما يدل على إيمان الشاعر - وإيماننا - أيضاً - بأن أفعال التحويل والتضيير ذات أثر ، يمكن بيانه من خلال النصوص المختلفة حيث وقوع الفعل على المفعول الأول متحولاً إلى شيء آخر ، يكون مفعولاً ثانياً للفعل ذاته ، فيترابط المفعولان مع الفعل عن طريق دلالة الفعل على المعاوزة ؛ ومن ثم تطول الجملة مساحة في التعبير عن المراد ، محققة تأثير النظام التحوي مع النسج الشعري ، فيما نحن بصدده ، فاستقام وزن البسيط ، في اتجاه صحة القافية .

ومثال ذلك أيضاً قوله (٢) : (من الكامل)

ليناً وعاث بها الفساد نهاراً

وغرّا الكويت بجشه متجرًا

(١) ينظر: السابق ص ٣٨ .

(٢) السابق ١٤٥ / ٧ .

وَأَحَالَهَا صَوْبَ الْعَرَاقِ جِهَارًا
وَاجْعَلْ لَهُ حَمَّ الْهَوَانِ إِطَارًا
وَسَطَّا عَلَى خَيْرَاتِهَا قَابِرَهَا
فَابْصُقْ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيرِ وَرَسْمِهِ
فَهَذِهِ الْأَبْيَاثُ مِنْ قَصِيدَةٍ (قِرَاءَةٌ فِي وَجْهِ الْأَحْدَاثِ) ، لَمْ يُشِّرِّكْ إِلَى مُنَاسِبَتِهَا
تَارِكًا ذَلِكَ لِلْعَنْوَانِ ؛ مِنْ مُنْطَلَقِ أَنَّ الْعَنْوَانَ عِنْدَهُ عَنْوَانٌ مُرْكَّبٌ يُفَضِّي بِمُحْتَوِي
الْقَصِيدَةِ ، فَلَمْ "يَكُنْ أَبُو سَعِدٍ مِمَّنْ يُعَنِّوْنُ أَسْمَاءَ دَوَائِينَهُ وَفَصُولَهُ أَوْ حَتَّى قَصَائِدِهِ
جُزَافًا... أَوْ يَتَكَلَّفُهَا ، وَيَتَقْعِرُ فِي تَسْمِيَتِهَا ؛ لِتَنْفِتَ الْأَنْظَارَ ، بَلْ كَانَتْ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ
تَسْسُمُ بِالرُّومَانِسِيَّةِ وَالْعَفَوِيَّةِ ، وَذَلِكَ مِنْ مَزاِيَا شَاعِرِنَا... وَلِلْعَنْوَانِ أَهْمَيَّةٌ بِالْغَةِ ، بِهِ
يَتَجَلَّ النَّصُّ ، أَوْ تَكَهُنُ مُحْتَواهُ" (١) .

وَهَذِهِ الْأَبْيَاثُ يَتَحَدَّثُ فِيهَا عَنْ غَزو (صَدَّامُ حُسْنَى) الْكُوَيْتَ بِجِيشِهِ مُتَعَالِيًّا
مُتَعَاظِمًا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيلِ ، وَمَا إِنْ تَقْلُقَ الصُّبْحُ ، عَاثَ فَسادًا بِالْكُوَيْتِ ، سَاطِيًّا
عَلَى خَيْرَاتِهَا مُتَجَهًا بِهَا عَلَانِيَّةً إِلَى الْعَرَاقِ . وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ يَسْتَحْقُ مَا
يَسْتَحْقُهُ كُلُّ مُجْرِمٍ ، لَا سِيمَى الطُّغَاءِ مِنْهُمْ ؛ وَمِنْ ثُمَّ تَوْجَهُ فِي الْبَيْتِ الْثَالِثِ إِلَى
الْمُخَاطِبِ ؛ كَيْ يَبْصُقَ عَلَى وَجْهِ (صَدَّام) مُحَقَّرًا إِيَّاهُ .

وَلَمَّا كَانَ تَخْلِيصُ النَّحْوِ مِنْ مَعْرِفَةِ مَفْصِدِيَّةِ الْمُتَكَلِّمِ أَوْ الْمُبْدِعِ ضَرِبًا مِنَ
الْخِيَالِ ، فَإِنَّ شَاعِرَنَا يَلْجَأُ إِلَى النَّحْوِ فِي الشَّطَرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ خَاصَّةً - كَعَادَتِهِ
فِي شِعْرِهِ كُلُّهُ - إِلَى الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْطَّلَبِيَّةِ (اجْعَلْ لَهُ حَمَّ الْهَوَانِ إِطَارًا) الْمُتَخَذِّةِ
نَمَطًا : (فِعْلُ الْأَمْرِ "اجْعَلْ" + الْفَاعِلُ الْمُسْتَرُ + الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ + الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ
+ الْمُضَافُ إِلَيْهِ + الْمَفْعُولُ الثَّانِي) ، وَهُوَ مَا يَتَضَعُّ مِنْ خَلَالِهِ أَنَّ الْفِعْلَ (جَعْلَ)
اسْتَثْمَرَهُ الشَّاعِرُ دَالًا عَلَى التَّحْوِيلِ وَالتَّصْبِيرِ فِي صِيَغَةِ الْأَمْرِ ؛ لِيَطَلُّ بِمِنْ

(١) ظَاهِرَةُ الْقَلْقِ فِي شِعْرِ يُوسُفِ بْنِ عَبْدِ اللَّطِيفِ أَبُو سَعْدٍ ، مُحَمَّدُ الْبَشِيرِ ، نَادِيُ الْمَنْطَقَةِ الْشَّرْقِيَّةِ الْأَدْبَرِيِّ ، الدَّمَمَ ، السُّعُودِيَّةِ ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ، ص ١٤ - ١٥ ، وَيُنَظَّرُ
قِرَاءَاتٍ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ وَالْمُعَاصِرِ ، دَلِيلُ الْمُوسَى ، مَنْشُورَاتُ اِتَّحَادِ الْكِتَابِ
الْعَرَبِ ، دَمْشِقَ ، سُورِيَا ، ٢٠٠٠ م ، ص ٢٨ - ٢٩ ، ٤٧ ، ٧٣ ، وَتَشْكِيلُ الْمَكَانِ وَظَلَالُ
الْعَتَبَاتِ ، مَعْجَبُ الْعَدُوَانِيِّ ، النَّادِيُّ الْأَدْبَرِيِّ ، جَدَةُ ، السُّعُودِيَّةِ ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ، ٢٠٠٢ م ، ص ٧
، وَسِيمِيَّةُ الْعَنْوَانِ ، بَسَامُ قَطْوَسُ ، وزَارَةُ التَّقَافَةِ ، عَمَانُ ، الْأَرْدَنُ ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ، ٢٠٠١ م ،
ص ٣١ .

المُخاطب أن يحول حماً الهوان ، في صورته السوداء المُنتنة ، إلى إطار لهذا المُحتلّ الغاصب ، يحيط به في حركاته وسكناته وذكره على أية حال . ولأنَّ تتمعَّن في كيفية استفادة الشاعر من مرونة النَّظام النَّحوي غير المُقتنة لِلغة في قوالب صارمة ، تستلزم كون المفعول الأوَّل بعد فعل التصيير ، يليه المفعول الثاني ، ففصلٌ بين الفعل والمفعول الأوَّل بالجار وال مجرور العائد على (صدام) المفهوم مما سبق في القصيدة ، وكذلك كان الفصل بين المفعولين بالمضاف إلى الأوَّل مستفيداً بذلك في كون الثاني - في ثوبه المُعجمي هذا - محلَّ القافية موضع الاهتمام ، برويها المراد ؛ ومن ثم استقام وزنُ الكامل ، وصحت القافية .

فعلٌ نحو ما سبق من بيان علاقَة التَّعْدُد و فعله بالمعنى النَّصِّي يكون تعليم النَّحو العربي ، والتَّخلُّي عن التَّناول الجامد الذي جعل المُغرضين يسوّقون لصعوبته ، فلا مكان للحفظ الأعمى ، بل ربطٌ بين النَّحو والدلالة ؛ للدلالة على أنَّ النَّحو ليس مجرد شيءٍ شكليًّا .

هذا ، ويضاف إلى ذلك - في إطار بيان أثر هذا التَّعْدُد في النَّص - أنَّ هذا التَّعْدُد سواء أكان مع أفعال القلوب أم كان مع أفعال التصيير والتحويل ، قد أسهم في استطالة البناء النَّحوي للجملة ، وهو ما اصطلاح عليه بطول التَّعْدُد مرتبطاً بالمعنى النَّصِّي ، ذلك التَّعْدُد الذي يكون بغير وسيلة التَّشريك ، بواسطة حرف العطف بطبيعة الحال ، فهذه تُوجَّد في كلّ وظيفة نحوية تتقبل ذلك ؛ ولأنَّ شرط التَّعْدُد عدم الاقتران بالعاطف ، كما يقولون^(١) . وأزدف ذلك بقولي: إنَّه على نحو ما سبق من بيان علاقَة التَّعْدُد و فعله بالمعنى النَّصِّي يكون تعليم النَّحو العربي ، والتَّخلُّي عن التَّناول الجامد الذي جعل المُغرضين يسوّقون لصعوبته ، فلا مكان للحفظ الأعمى ، بل ربطٌ بين النَّحو والدلالة ؛ للدلالة على أنَّ النَّحو ليس مجرد شيءٍ شكليًّا .

(١) إِنَاءِ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. محمد حماسة، ص ٦٨، وينظر: شرح التسهيل، ابن مالك، ٣١٠ / ٣.

ثانيًا - ما يتعذر إلى مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر:

لما كان ما سبق حديثًا عن استثمار يوسف أبي سعد تعدد المفعولين اللذين أصلهما المبتدأ والخبر ، فإننا لا نعدم أيضًا استثماره الأفعال المتردية إلى مفعولين ، ليس أصلهما المبتدأ والخبر . هذا ، وقد تناول سيبويه ذلك في باب "الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين ، فإن شئت اقتصرت على المفعول الأول ، وإن شئت تعدد إلى الثاني ، كما تعدد إلى الأول" (١) ، وهو ما اشترط فيه ابن السراج وابن يعيش أن يكون المفعول الأول فاعلاً في المعنى (٢) . ولمّا كان التعدد هنا يأخذ ثلاثة صور ، تكمّل في الآتي :

- ١ - تعدد المفعول به للأفعال المتردية بالوضع أو الأصلة إلى مفعولين ، ليس أصلهما المبتدأ والخبر ، نحو (أعطى ، وكَسَا) وما جرّاهما .
- ٢ - تعدد المفعول به للأفعال المتردية للمفعول الثاني بعد حذف حرف الجرّ ، نحو (اختار ، واستغفر ، وأمَرَ ، وسَمِّيَ ، وكَتَّى ، ودَعَا "معنى سمّي" ، ونُبْتِث ، وعَرَفَ) .
- ٣ - تعدد المفعول به للأفعال المتردية للمفعول الثاني بالتحوّل ، عن طريق الهمزة ، أو نزع الخافض (٣) .

فإنه من المفيد الإشارة إلى أنّ ما ورد بشعر يوسف أبي سعد ممثلاً في ديوان تقاسيم على زوارق الأيام ، كان من الصورة الأولى ، نحو قوله (٤): (من الرمل)
حضرت أجسامكم مئذن المهد
هذه الأرض كفِزوسِ لكم

(١) الكتاب ، سيبويه ، ٣٧ / ١ ، وينظر: المقتنص ، المبرد ، ٣ / ٩٣ .

(٢) ينظر: الأصول في النحو ، ابن السراج ١ / ١٧٧ ، وشرح المفصل ، ابن يعيش ، ٦٣ / ٧ ، وقضايا المفعول به عند النحو ، د. محمد أحمد خضرير ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ٢٠٠٣ م ، ص ٢٤٩ ، وبناء الجملة العربية ، د. محمد حماسة ص ١٤٢ .

(٣) ينظر في هذه الصور: شرح الكافية ، للرضي ١ / ٣٣٤ - ٣٣٦ ، وشرح المفصل ٧ / ٧ - ٧٨ ، وشرح التسهيل ، لابن مالك ٢ / ١٥١ - ١٥٢ ، وقضايا المفعول به عند النحو العرب ص ٢٤٩ - ٢٥٤ .

(٤) تقاسيم على زوارق الأيام ، يوسف أبو سعد ٢ - ٤ / ٢٥ ، وينظر به أيضًا ٥ / ٥ ، ٢٤ / ٥ ، ٤٤ / ٢ ، ٢٩ .

لِبَنِيهَا فِي سُنْيَهَا شِدَادٍ
وَأَرْزَعُوهَا فِي وِئَامٍ وَاتِّحادٍ
وَامْتَحُوهَا مِنْكُمُو أَوْفَى الْأَيَادِي
وَانْزَعُوهَا عَنْهَا جَلَابِيبَ الْحِدَادِ

كَمْ بِهَا مِنْ نِعَمٍ جَادَتْ بِهَا
فَهَبُوهَا بَعْضَ حَقٍّ وَاجِبٍ
وَالْخَلَعُوا الزَّهْرَ عَلَى عِقَيَانِهَا
أَلْبِسُوهَا ثَوْبَ عَرْسٍ رَاهِيًّا

فهذه الأبيات تشتمل على عِدَّة أفعال ، يرى النَّحويون أنَّها تتعدَّى إلى مفعولين ، ليس أصلُهما المبتدأ والخبر ، وهي من قصيدة (من وحي أسبوع الشَّجَرة) التي قدم لها بأنَّها "دفعاتٌ من المشاعر" ، جاشت بها الأعماق ، بمناسبة مرور عامين على قيام الانقضاضِ المُظفرة بجهادها المتواصل ، وأنَّها أُقيمت في الاحتفال الذي نظمته الجنة الشعبية لمساعدة أسرِ المجاهدين تحت رعاية سُمو أمير الأحساء ، وذلك في مقرِّها بالأحساء ، في مساء يوم الخميس ٦/٦/١٤١٠ هـ (١) .

ومن الملاحظ فيما أنَّ الشاعر يُخبرُ أبناءَ جَدِّته بأنَّ أرضَ بلادِه بمثابة الفردوس لهم ، من مُنطَقِ تَرَغُّبِهم عليها ، فكثيراً ما جادَتْ عليهم بِنِعَمِها في أوقاتِ الشَّدَّة ؛ ولمَّا أرادَ أنْ يطلبَ منهم شيئاً مَا ، أسعفَه النَّظامُ النَّحويُّ ، عن طريق استثمار هذه الأفعال التي نحن بصددِ الحديث عن تعددِ مفعولِها ، فكان أولُ هذا الاستثمار من خلال الجملة الفعلية الطَّلبية (فَهَبُوهَا بَعْضَ حَقٍّ وَاجِبٍ) المتنَّحة نَمَطَ: (فِعْلِ الْأَمْرِ + الفاعلُ المُسْتَرُ + المفعولُ به + المفعولُ به التَّانِي + مُضافٌ إليه + نَعْتٌ) ، تلك الجملة التي يتضحُ منها أنَّه يطلبُ مِنْ أبناءِ وطنهِ أنْ يهبووا هذه الأرضَ بعضًا من الحقِّ الواجبِ عليهم ، ثمَّ يستأنِفُ طالباً زِرَاعَتها ، ثُمَّ يخِيمُ عليهم حالة الوفاقِ والاتحادِ .

وفي البيت التالي يطلبُ منهم أنْ يخلعوا الزَّهْرَ على كُلِّ ما نبت في مَعْدِنِه على هذه الأرضِ (٢) ، غير مُكتَفٍ بذلك ، بل لجأ إلى طَلْبِ تَالٍ ، من خلال

(١) السابق ص ١٨.

(٢) يُنظر: الصَّحَاحُ ، للجوهري ، مادة (عقا) حيث إشارته إلى أنَّ العقيان هو ما ينبتُ نباتاً في مَعْدِنِه ، وليس ممَّا يحصلُ مِنْ الحجارة .

الجملة الفعلية الطلبية (امتحوها مِنْكُمْ أَوْفَى الأَيَادِي) المُتَّخِذَة نَمَطَ (فعل الأمر + الفاعل المستتر + المفعول به + الجار وال مجرور + المفعول به الثاني + المضاف إليه) ، ومن خلاها يتضح طلبه من ابنائها أن يمتحوها وفاءً أيامهم دون غيرهم . وفي ختام هذه اللوحة يطلب منهم أيضًا من خلال الجملة الفعلية الطلبية (البُسُوها ثُوبَ عُرسٍ زاهيَا) المُتَّخِذَة نَمَطَ (فعل الأمر + الفاعل المستتر + المفعول به الأول + المفعول به الثاني + المضاف إليه + الحال) أن يلبسوها هذه الأرض ثوبَ عُرسٍ مُفْتَحِرًا باختصاره ؛ ومن ثم عليهم أن ينزعوا عنها جلابيب الحداد المتمثلة في قضائهم على الأشجار ؛ لإقامة قصرٍ مشيدٍ أو غير ذلك مما تهدَّرَ من أحجل المساحات الخضراء .

ومن الملاحظ على مدار هذه اللوحة أن الأفعال الثلاثة (فهُوها ، امتحوها ، البُسُوها) باحتياجها إلى تعدد العنصر غير الإسنادي - بجانب إسهامها في الوفاء بالمعنى النصي ، بما فيه من معنى وظيفي لهذه العناصر ومعنى مُعجمي - تكون قد أسهمت في استطالة البناء في اتجاه المعنى المراد ، مترابطةً مع المفعولين عن طريق دلالة الفعل على المجاورة وتقييد المفعولين للفعل ، بالإضافة إلى إسهامها في توافق البناء التحوي مع النسج الشعري ، فاستقام وزن الرمل ؛ ومن ثم تحقق مطلب العروض - على سبيل المثال - في قوله: (زاهيَا) ، وصحت القافية مستقرةً في مكانها هذا بالرُّوِيِّ المراد ، في قوله: (الأيادي) ، كغيرها من كلمات القافية ، على مدار القصيدة .

وعلى نحو ما سبق من بيان علاقة تعدد العنصر غير الإسنادي للأفعال المذكورة ، وغيرها مما ورد في حيز التطبيق ، أشير إلى أمر له علاقة بالمعنى النصي ، في إطار تعليم التحوير العربي من خلال النص . فمن الملاحظ أن العنصر الأول الواقع عليه الحدث المستفاد من هذه الأفعال مفعولٌ به ، ولا شك في ذلك ، أمّا العنصر الثاني ، فرأى أنه يزيل إبهام نسبة في هذه الأفعال ؛ ومن ثم يكون إعرابه تميّزاً أولى ، وأصح ، مُستأنساً في ذلك بقول القائلين: "والحق أنَّ

المفعول الثاني لأعطى ، وما جرى مجرى تمييز " (١) ، يبيّن جنس ما اشتمل عليه الفعل ؛ لأنَّ الفعل (كسا) في قولنا: (كسوت زيداً) يدلُّ بحروفه الكاف والسين والألف على كسائِء مُبْهِم غير مُعین ، وغير معروف ، بحاجةٍ إلى ما يُوضّحه ، ويبيّنه . وكلمة (ثواباً) أو ما يُماثلها تُزيل الإبهام ، وتعين نوع الكسوة ، وتميّزها ، وتفرّدها عن غيرها من الأكسية التي قد تَخْطُر للذهن عند سماع لفظ الفعل (كسا) " (٢) . وقد شَبَّه عبد القاهر نصب (رجلاً) ، و(برأ) في (لي مثله رجلاً) و(لي قفيزان برأ) بِنصب (درهماً) في (أنا مُعطيه درهماً) (٣) . وبناءً على ذلك فإنَّ الكلمات (بعض ، وأوفي ، وثوب) في قوله: (بعض حق) ، و(أوفي الأيدي) و(ثوب عرس) تميّز ، يُزيل الإبهام في الهبة والمئحة والإلباس ، لا مفعولاً به ثانياً .

(١) قضايا المفعول به عند النحو العرب ، د. محمد خضير ، ص ٢٥٣

(٢) فلسفة المنصوبات في النحو العربي ، عائد كريم علوان الحريري ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، مصر ، ١٩٧٥ م ، ص ٢٩٣ ، وينظر ص ٢٩١ أيضاً ، وقضايا المفعول به عند النحو العرب ص ٢٥٣

(٣) المقتضى في شرح الإيضاح ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق د. كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق ، ١٩٨٢ م ، ٢ / ٧٢٥ ، وينظر: قضايا المفعول به عند النحو العرب ، ص ٢٥٣

المطلب الثاني

تعدد الحال، ودوره في النص

من المعلوم في الدرس النحوي أنَّ الحال يأتي مُفرداً وجملةً وشبَّه جملةً ، وأنَّه يتعدَّد تشبِّهًا له بالخبر والثُّغْرَةِ . ولما كان الحال يتعدَّد ، فإنَّ صورَ تعددِه تتَّوَعُ ، فقد يأتي مُفرداً مع مُفرداً ، أو مع جملةً ، أو مع شبَّه جملةً ، ومع تقليب هذه الصورة على أشكالها المختلفة تُتَّجَّحُ صورٌ متعددةٌ ، يمكن أن يتعدَّد الحال فيها لصاحبٍ واحدٍ ، على الرَّغمِ مِنْ أَنَّ ابنَ عصفورٍ منعَ تعددَه "صاحبٍ واحدٍ" ، ما لم يكن العاملُ فيه أَفْعَلُ التَّقْضِيلِ ، نحو (هذا بُسْرًا أَطْيَبُ مِنْهُ رُطْبًا) . وقد نُقلَ المَنْظُونُ عن أبي عليٍّ الفارسيِّ وجماعةٍ مِنَ النَّحويين . والحال الثانية عندهم ثُغْرَةُ الحال الأولى أو حالٌ مِنَ الضَّمَيرِ فيه ، وعلى الأولى ، فَنَعْتَ الحال حالٌ ، وعلى الثانية فهي حالٌ ، وهكذا تجدُ أَنَّ الحاصلَ واحدٌ" (١) . وفيما يلي عَرْضُ صورِ تعددِ الحال ، مِنْ خلَلِ النَّصِّ لِدِي يُوسُفَ أَبْيَ سَعْدٍ ، على النَّحوِ التَّالِي :

أولاً - تعدد الحال المفرد:

مِنْ صورِ تعددِ الحالِ التي يلْجأُ إِلَيْها المُبْدِعُ أَنْ يكونَ مُفرداً ، وَذَلِكَ نَحُوا قَوْلُ
يُوسُفَ أَبْيَ سَعْدٍ (٢) : (من البسيط)

وَأَنْتَ باقٍ ، أَشَمُ الْأَنْفِ يَا وَطَنِي رَغْمَ الْأَعْادِيِّ بِلَا ضَيْمٍ وَلَا شَجَنَ	تَقْنَى النُّفُوسُ وَتَقْنَى كُلُّ جَوَهَرَةٍ تَعِيشُ مُرْدَهِرًا ، بِالنَّصْرِ مُتَّشِحًا
--	---

(١) بناء الجملة العربية ، د. محمد حماسة ، ص ٦٩ ، وينظر: المسائل الحلبية ، أبو علي الفارسي ، تقديم وتحقيق د. جحسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، ص ١٧٩ - ١٨٠ ، والمُقرَّب ، ابن عصفور "علي بن مؤمن ت ٦٦٩ هـ" ، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري ، وعبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، العراق ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، ١٥٦ / ١ ، والمسائل البصرية ، أبو علي الفارسي ، تحقيق دراسة د. محمد الشاطر ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ٧٢٤ حيث النصُّ على أَنَّ الحال ضَرَبَ مِنَ الخبر .

(٢) تفاصيل على زوارق الأيام ، يُوسُفَ أَبْيَ سَعْدٍ ٤ / ٥٢ ، وينظرُ به أيضًا ٥ / ٤٦ ، ٧ / ٥٥ ، ٤٦ / ٥٥ ، ٥٢ / ٦ ، ٨٥ / ١ .

فالبيتان من قصيدة (سطور على جبين الوطن) ، يرى في الأول منها أنَّ النُّفوسَ تُقْسِى ، وتهلك ، وكذلك كُلُّ ما يُظْنَ أَنَّه جوهرة ، وعلى الرَّغْم مِنْ كُلِّ ذلك فإنَّ الوطن باقي ، يتَّصِفُ بِأَنَّه ذو آنفة . وفي الثاني يُبَيِّنُ حَالَةَ الوَطَنِ ، من خَلَالِ الجُمْلَةِ الفعليةِ الْخَبَرِيَّةِ الْمُتَبَيَّنَةِ (تعيش مُزدَهِراً ، بالنصر مُتَشَحًا) المُتَخَذَّةِ نَمَطًا: (الفعل المضارع + الفاعل المستتر + الحال المفرد + الجار والمجرور + الحال المفرد المتكرر) ، وهو ما اتَّضَحَ مِنْ خَلَالِهِ استئمار الشاعر جواز تَعْدُدِ الحال المفرد لِعَامِلٍ وَاحِدٍ (تعيش) ؛ للدلالة على أنَّ الوطن في بقاءِ يعيش متلاًلاً ، مُزدَهِراً بالنصر . وهذا ثُلَاحَظُ أنَّ جواز تَعْدُدِ الحال المفرد المُتَقدِّمِ عليه مُتعلِّقهِ (بالنصر) قد مَكَنَ الشاعر مِنْ إِطَالَةِ بَنَاءِ الجُمْلَةِ ، والوفاء بمطلب العروضِ (فعلن) وتحقُّقِ التَّقْعِيلَةِ الثَّالِثَةِ (مُسْتَقْعِلُن) ، في إطارِ المعنى المراد ، ذلك المعنى الذي أَسْهَمَ فيه كَوْنُ الْحَالِيْنِ (مُزدَهِراً - مُتَشَحًا) في صيغةِ اسمِ الفاعل ؛ للدلالة على وصفِ الفاعل بالحدث على سبيل الاستمرار والانقطاع ؛ أي على الحدث والحدوث وفاعله^(١) .

ومن ثمَّ كانت الدلالة على أنَّ الوطن موصوفٌ بحالَةِ الازدهار والاشتغال بالنصر ، على سبيلِ الاستمرار والانقطاع لهذِه الأحوالِ المدلولِ عليها بصيغةِ اسمِ الفاعل ، وهو ما ينبغي التَّفَاعُلُ معه نصيًّا في تعليمِنا قواعدَ النَّحوِ العربيِّ ، وأيضاً صَدَدَ تعليمِنا علاقةَ النَّحوِ بالصرفِ في سبيلِ الوفاءِ بالمعنى النصيِّ المراد .

ولئن أردتُ الإشارة إلى وجْهِ كَوْنِ تِرَايْطِ الحالِ المفردِ هنا مع الفعل ، فإنَّني أُشَيرُ إلى أنَّ كُلَّاً منْ (مُزدَهِراً ، ومتَشَحًا) قد تِرَايَطَ مع فِعلِهِ (تعيش) مِنْ خَلَالِ تِرَايْطِهِ مع

(١) يُنْتَظَرُ : الكتاب ١ / ١٠٨ ، ١١٠ ، ٢١ / ٢٠٣ - ٢٠٠ ، ١١٠ ، ٢٠٣ - ١٣٣ / ٢ ، والمُفْتَضَبُ ، المبرد ٢ / ٤ - ١١٥ ، ١١٩ ، ١٥٨ / ٤ ، وشرح الكافية ، الرَّضِيَّ ، ٤١٣ / ٣ - ٤١٥ ، ٤٢٣ ، ٤٢٧ ، ٤٢٠ ، ٤٤٦ ، ٤٣١ ، وشرح شافية ابن الحاجب ، لأبي الفضائل الاستربادي "ت ٧١٥ هـ" ، تحقيق الدكتور عبد المقصود محمد عبد المقصود ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ م ، ٢٨٦ / ١ ، وشرح التَّصْرِيف على التَّوْضِيْح ، خالد الأزهري ، ٣ / ٣ ، ٢٩٣ ، ٤٣٣ ، وشرح المُفْصَل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير ، تأليف صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي ت ٦١٧ هـ ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ م ، ٩٩ / ٣ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٣٥ - ١٢٣ ، ونظريَّةُ اللُّغَةِ وِالْجَمَالِ في النَّقْدِ الأَدْبَيِّ ، للدكتور تامر سلوم ، ص ٧١ .

صاحبها (الضمير المستتر في الفعل تعيش)؛ لأن الحال قيد للفعل . ذلك الصاحب الذي ترابط مع الفعل من خلال الفاعلية ، وبجانب كون الحال منصوباً ومدخلاً صاحبه في التعين تجده مُشتقاً مشتملاً على ضمير ، يعود على صاحب الحال ، وهذه أمر لفظية ، لكن ثمة أمر معنوي يلاحظ صيدا الحديث عن ترابط الحال ، وهو دلالة الحال على هيئة صاحبها (١)، على نحو ما سبق من تحليل .

ثانياً - تعدد الحال الجملة:

لما كان تعدد الحال جملة لا يخلو من مقصid ما - كغيره من ضروب التعدد - لدى الشاعر، يرتبط بسياقه، فإن هذا الملمح هو ما يرصده المتمعن في شعر يوسف أبي سعد، نحو قوله (٢):(من البسيط)

رَبِّي بِكَفِ السَّنَا مِنْ غَيْهِبِ الدَّجَنِ
أَمِيسُ جَذْلَانَ فِي أَرْجُوحةِ الْفَنِ
عَرَفْتُ دَرْبِي إِلَى شَمْسِي فَأَنْقَذَنِي
فَالْيَوْمَ أَحْيَا وَعَيْشِي فِي بُلْهَنِيَّةِ
فِهذانِ الْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةِ (شَيَّعْتُ أوهامي) يرى في الأول منهما أنه قد عرفَ
طريقه إلى الخلاص من أوهامه إلى الأفق الواسع المتحرر من سجن الأوهام؛ ومنْ
ثمَ أنقذه الله بأن هداه إلى النور الذي خلصه من غياهب الظلمات . وبناءً على ذلك
كانت الانفراجة (اليوم) في البيت الثاني، من خلال الجملة الفعلية الخبرية المثبتة
(أَحْيَا وَعَيْشِي فِي بُلْهَنِيَّةِ، أَمِيسُ جَذْلَانَ فِي أَرْجُوحةِ الْفَنِ) المُتَّخِذَةِ نَمَطَ (الفعل
المضارع+ جملة الحال الاسمية"مبتدأ+ خبر"+ جار و مجرور"+ جملة الحال
الفعلية" فعل+ فاعل مستتر"+ حال مفرد+ جار و مجرور+ مضاف إليه)، وهو ما
يتضح من خلاله أن الشاعر يحيا اليوم في حالة من الرخاء وسعة العيش، وليس
ذلك فحسب، بل إنه يتهدى فرحاً، كما تميis العروس والجمل.

وهنا أشير إلى أن لجوء الشاعر إلى التعبير بالحال الجملة الاسمية في بادئ الأمر لإفادته ثباته على هذه الحالة من العيش في سعة، وأن تعدد الحال كان وليد

(١) ينظر : بناء الجملة الغريبة ، د. محمد حماسة ص ١٥٥ - ١٥٩ .

(٢) تقسيم على زوارق الأيام، يوسف أبو سعد ١١٢ / ٣، وينظر به أيضاً ١١١ / ٢ .

احتياج المعنى إليه، فكان استثمار الجملة الفعلية في الحال الثانية، تلك الجملة ذات الفعل المضارع المستتم على رابط لفظي، يربطها بصاحب الحال، من منطلق أن "الجملة كلام مستقل بنفسه مفيد لمعناه، فإذا وقعت حالاً، فلا بد فيها مما يعلقها بما قبلها، ويربطها به؛ لئلا يتوجه أنها مستأنفة"^(١)؛ للدلالة على أن حالة التهادي التي تخيّم عليه متّجدة، وهو ما ينعكس على حياته، فتصبح متسمة بالأمل والنشاط، خالية من الملل والكسل.

ولما كان ذلك كذلك، فقد انعكس ذلك على بناء النص عند يوسف أبي سعد، فاستطال بناء الجملة، وأسهم كل ذلك في توافق البناء التخوي مع النسج الشعري، فاستقام وزن البسيط، وصحت القافية، برويها المراد، في إطار المعنى التصنيّي المراد، غير ناسين أنه يكون الجملة الحالية خبرية ومصاحبة لزمان الفعل في الجملة، ومستتمة على رابط، يربطها بجملتها، ويكونها دالة على هيئة صاحبها ويكونها في محل نصب تترابط الجملة الحالية مع جملتها، وتتصبّح جزءاً غير إسنادي من أجزائها^(٢)، وهو ما انطبق على الجملتين السابقتين، وهو ما يجعلنا نقول بإسهام هذا التعدي في الترابط النصيّ، عن طريق الرابط في جملتي الحال، فيما نحن بصدده من تحليل، وأعني به الواو والضمير في الجملة الأولى، والضمير في الجملة الثانية، فكان الرابط بين المفهومين، أعني جملة الحال وصاحبها؛ ومن ثم حسن السبك والحكمة في النص^(٣)، وهو ما يمكن أن ينعكس على تعليم قواعد

(١) شرح المفصل، ابن يعيش ٦٦ / ٢، ويُنظر: بناء الجملة العربية، ص ١٦٠، ١٦٥.

(٢) بناء الجملة العربية ص ١٣٥، ويُنظر به أيضاً ص ١٦ - ١٦٦.

(٣) يُنظر: المقتضب، للمبرد ٢ / ٦٥ - ٦٦، وشرح المفصل، لابن يعيش ٣ / ٦٧ - ٦٨، وشرح الكافية، للرضاي ٤٠ - ٤٦، وأوضاع المسالك إلى الفية ابن مالك، ابن هشام، ٢ / ٣٠ - ٣١٣، وشرح الأشموني على الفية ابن مالك، للأشموني، ٢ / ٣٢٠ - ٣٣٥، والرابط وأثره في التراكيب العربية، د. حمزة النشرتي، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بالمنوفية، مصر، العدد السابع، ١٩٨٧ م، ص ١١، ومعنى اللبيب، ابن هشام، ص ٦٥٦، والأشياء والنظائر، للسيوطى، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م، ١ / ٣١٢ - ٣١١، وربط الجملة الفرعية بالواو أو بالضمير، د. فايز صبحي عبد السلام تركى، ص ٦٣ - ٦٨.

النحو من خالٍ النص. وهو الأمر الذي يؤكد على أن "الأسلوب" في القصيدة يعتمد على مبدأ الاختيار، فأعرافُ اللغةِ تضع أمامَ المبدعِ جملةً من الاحتمالاتِ لقولِ الشيءِ نفسهِ بطريقةٍ صحيحةٍ، وعليه أن ينتقيَ من هذه الاحتمالاتِ أوفرها دقةً، وأكثرها مواعيدها للسياقِ، ولبنيةِ العملِ ككل، وفي هذه المواعيده كثيرةً ما ينتقلُ باللغةِ الشعريةِ من مستوى الصحةِ، الذي تفرضه الأعرافُ اللغويةُ إلى مستوى الجمالِ، الذي يفترضه الأسلوبُ الأدبيُّ، كما أنَّ في مبدأ الاختيارِ، الذي يعتمد عليه ما يمنح دارس العملِ الشعريِّ مساحةً عريضةً، يتحركُ فيها لكي يحدثنا عن سرِّ هذا الاختيارِ وطبيعتهِ ووظيفتهِ" (١).

ثالثاً - تعدد الحال شبه الجملة:

يتَّعددُ الحالُ شِبةُ الجملةِ لأغراضٍ تتَّصلُ بِسياقِ الحديثِ، نَحْوُ قَوْلِ يُوسُفَ أَبِي

سَعْدٍ (٢): (من السريع)

أَحِيَا مَعَ الْأَحْبَابِ فِي سَعْدٍ فِي عُشَّيِ الْمَجْدُولِ مِنْ وُدِّي فِي غَفْوَةِ الْجَفَنَيْنِ وَالسُّهْدُ نَطَوْيِ لَيَالِيِ الْعُمْرِ فِي بَهْجَةِ	فِي عُشَّيِ الْمَجْدُولِ مِنْ وُدِّي نَطَوْيِ لَيَالِيِ الْعُمْرِ فِي بَهْجَةِ
---	---

فالبيتانِ من بداية قصيدة (ترنيمة حب للعش الصغير) يرى في الأول منهما أنه يحيَا سعيداً مع أحبائه داخل عشه الصغير الذي يشكل (الوَدُّ) ضفيته. ولبيان كنه هذا العيش نجده يلجاً في البيت الثاني إلى الحال شبه الجملة - بعد أن استعان به في الأول (في سعد) - معدداً إيماءه، وذلك من خالٍ الجملة الفعلية الخبرية المثبتة (نطوي ليالي العمر في بهجة، في غفوة الجفنين والسهد) المتخذة نمطاً (الفعل المضارع+ الفاعل المستتر+ المفعول به المضاف+ الحال المتعدد"جار و مجرور" + المضاف إليه+ المعطوف). وهو ما يتضح من خلاله - وما ينبغي أن ينعكس على تعليم النحو - أنَّ أبا سعد قد استثمرَ الجار والمجرورَ غير المتعلق بشيءٍ مَا

(١) جدلية النص، د. محمد فتوح أحمد، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٧ م، ص ٥٢، وينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، للدكتور تمام حسان، الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٥٨ م، ص ٦٠.

(٢) تقسيم على زوارق الأيام، يوسف أبو سعد ٢ / ٩.

في هذه الجملة، لبيان كنه حالة قضايهم ليالي العمر، فنص على أن حالتهم البهجة، وليس أي بهجة، بل إن البهجة بمثابة ظرف لقضاء الليالي، في إشارة إلى إحاطتها بهم، وسيطرتها عليهم.

ولئن كان ذلك وقت يقطّعهم، فإن طيّهم الليالي في بهجة قد خَلَقَ على حالتهم وقتَ كون غُوطتهم الحقيقة ظرفاً لهذا الطيّ أيضاً، أو وقت أرقهم (عدم رقادهم). وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن تعدد الحال شبيه الجملة كان ذا أثر، لا يستطيع عدم التعدد أو كون الحال مفرداً أو جملة ماء الوفاء به في هذا السياق خاصّةً.

وفي إطار الوفاء بالمعنى المقصود، من خلال هذا التعدد ثلاحتُ أنَّه أنسهم في استطاللة بناء التركيب، وأنسهم في الترابط، واستقامة وزن السريع، وصحة القافية، وهو ما يبرهن على أن ثمة علاقة بين النحو والنسيج والدلالة.

رابعاً - تعدد الحال بين المفرد والجملة وشبيهها:

لئن كان تعدد الحال فيما سبق تعددًا من نوع واحد، فإنه ينبغي الإشارة في إطار النحو النصي إلى أن الحال قد يتعدد مع اختلاف ضروريه، كأن يكون بين المفرد والجملة، أو بين شبيه الجملة والجملة، وغير ذلك، ومثال ذلك قول أبي سعيد (١): (من الخيف)

ن أعني مجامِر الأشجان!

ها أنا اليوم أمضِي الْوَجْدَ حِيزَا

واسْتَبَدَتْ أشْبَاحُه بِكَيَانِي !!

أَجْهَضَ الْهَجْرُ بِسَمَّتِي يَا مَلَكِي !

فهذا البيتان من قصيدة (وَجْد) يرى في الأولى منها أنه في هذه المرحلة من عمره، يسيطر على قلبه الحزن دون تكليف أو تصريح، وللإشارة إلى حالته آنذاك لجأ إلى استثمار تعدد الحال، من خلال الجملة الفعلية الخبرية المثبتة (أمضِي الْوَجْدَ حِيزَا، أعني مجامِر الأشجان، أَجْهَضَ الْهَجْرُ بِسَمَّتِي يَا مَلَكِي) المتخذة نمط الفعل المضارع+الفاعل المستتر + المفعول به+ الحال المفرد+ الحال الجملة

(١) السابق ٣ / ١٣٥، وينظر به أيضًا ٧ / ٤٢، ١ / ٥٧، ٤ / ١٤٥.

الفعالية ذات الفعل المضارع + الحال الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي)، وهو ما يتضح من خلالها أن الحال المفرد (حيران) على صيغة (فعلان الذي مؤنثه فعلى) (١) أفاد أن حالة قد اتّخذت صفة التحير، وقت سيطرة الحزن عليه، كأنه طعام يمضغه. وليس ذلك فحسب، بل ثمة حالة ثانية في ال الوقت نفسه، وهي أنه يعاني شدة الهم والحزن وهو نفس أن يصلها غيرها؛ ومن ثم كانت الحال الثالثة دالة على أن الهجر وعدم الوصال قد قضى على بسمته.

وفي هذا إشارة ينبغي استثمارها نصياً، في تأويل النصوص بالشرح والتسوير، وهي أن الحال الواحدة قد لا تتحقق بالمراد، ومن ثم يكون تعددتها، وأن هذا التعدد أيضاً مبني على معيار القصد الذي من خلاله تتحقق الكفاءة النصية، فعندهما أراد الشاعر الدلالة على استمرار حالته وتجددها كان التعبير بالجملة الفعلية المترابطة مع صاحبها - بعد أن عبر بالحال المفرد، مع ملاحظة دلالة التعبير بالمضارع في الجملة الأولى، وبالماضي (أجهض) في الثانية - وهو ما أنسنه في استطالة البناء النحوي وتوافقه مع النسج الشعري، فاستقام وزن الخفيف، وصحت القافية، في إطار ما أريد من معنى.

ولما كان التعدد فيما سبق من خلال المفرد والجملة، فإن شاعرنا قد لجأ أيضاً إلى تعدد الحال بين شبه الجملة والجملة، ومثال ذلك قوله (٢): (من السريع)

قلبي ينشر الآس والند!

فاغية الأنسام كم أنشئت

فواحة مياسة القدّ

تهفو إلى صدرِي رياحينها

والرُّبْق المختال كالبند

والوزد والنسرين في جوقه

تشدو على أغصانها الملد

وحولها الأطياف في غبطة

فهذه الأبيات من قصيدة (ترنيمة حب للعش الصغير) يشير فيها إلى أن رائحة النسيم الطيبة كثيراً ما أنشئت قلبه، بنشر الخضراء والطيب؛ وذلك بسبب أن رائحتها تهفو

(١) ينظر: الكتاب، لسيبوه ٤ / ٣١٩، وشرح المقصى، لابن عييش ٩ / ١٥٤ - ١٥٥

(٢) السابق ٨ / ١١، وينظر ٥ / ١٣٥، والفاغية: الرائحة الطيبة، والآس: الأخضر، والند: الطيب، والبند: العلم الكبير، والملاذ: اهتزاز العصب وتعثره: ينظر: لسان العرب، كل في مادته.

إلي صدره فوأحةً مُتهادِيَةً كَمْ تَهَادَى قَامَتْها. كما يُشير إلى أنَّ الورَد والنَّسرين في تمَائِلٍ، والزَّنبقُ يختالُ كالعلم الكبير، وهو ما ينعكسُ على حالَة الطيور حولَ هذه الأشياء. وللتَّعبير عن هذه الحالِ لجأ الشاعر إلى تَعْدُدِ الحالِ بين كونها شِبةً جُملةً وجُملةً فِعلِيَّةً، وذلك منْ خلَلِ الجُملةِ الاسميَّةِ الخبريَّةِ المُثبَّتةِ (حولَها الأطيازُ في غِبْطَةِ، تَشَدُّو على أغصانِها المُلدُّ) المُتَّخِذَةِ نَمَطًا (الخبر "ظرفُ مكانِ مُضافٍ" + المبتدأ المعرفة + الحال "جارٌ ومجرورٌ" + الحال "جملة فِعلِيَّة ذاتِ فعلِ مضارعٍ" + الجار والمجرور + المضاف إِلَيْهِ + النَّعت)، وهو ما يَتَضَعُّ منْ خلَلِها أنَّ الشاعرَ مَا لجأَ إلى الحالِ الأولى (في غِبْطَةِ) إِلَّا لِبيانِ أنَّ (الأطياز) وهي حولَ الورَد والنَّسرين وغيرِه، تَغْمُرُها حالَةٌ منَ الفَرَحِ والسرورِ فكانتْ بِمَثَابَةِ ظَرْفٍ لها أَوْ وِعَاءً لها.

ولمَّا كانتْ هذه الحالُ لِيُسْتَ وَحِيدَةً التي يمكنُ منْ خلَلِها بيانُ حالِ الأطيازِ، فقد كانتِ الثانيةُ، منْ خلَلِ الجُملةِ الفِعلِيَّةِ (تشَدُّو على أغصانِها المُلدُّ) المُتَرَابِطَةِ مع صاحبِها (الأطياز) منْ خلَلِ الضَّميرِ في الفِعلِ (تشَدُّو)، ذلكَ الفِعلُ المضارعُ المُثبَّتُ (١)؛ لِلإشارةِ إلى أنَّ مِنْ أمَاراتِ فَرَحِ هذه الأطيازِ كَوَافِرَها في حالَةِ منِ الغِنَاءِ المُسْتَمِرِ مُتَرَاقِصَةً على الأغصانِ النَّاعِمةِ المُهَنَّدةِ المُنْتَشِيَّةِ فَرَحًا أيضًا.

ولمَّا كانَ ذلكَ كذلك، فإِنَّه آنَ الأوَّلُ أنْ أُشِيرَ إلى أنَّ هذا التَّعْدُدُ مُرْتَبِطٌ بالمعنى النَّصِّيِّ، مُسْنَمٌ في استِطالَةِ البناءِ، مِنْ أَجْلِ النَّصِّ على معنَى مَا، بالإضافةِ إلى إسهامِه في التَّرَابِطِ النَّصِّيِّ أو التَّمَاسِكِ النَّصِّيِّ، وإسهامِه في توافقِ البناءِ النَّحويِّ - بما يتيحُه مِنْ مرونةِ، تجيئُ هذا الضَّربُ مِنَ التَّعْدُدِ - مع السُّنْجِ الشَّعُوريِّ؛ ومنْ ثَمَّ استقامَ وَزْنُ السَّرِيعِ، وصَحَّتِ القافيةُ، بِرَوْبِرِها المُرادُ، في إطارِ مَا أرادَه عبدُ اللطيفِ أبو سَعْدٍ مِنْ معنَى، اجتهدَتْ في بيانِه، على نحوِ مَا سَبَقَ مِنْ بيانٍ، وهو مَا ينبغي أنْ يكونَ عليه تعلِيمُ النَّحوِ العربيِّ، حيثُ اتَّخَذَ النَّصُّ مَرْجِعًا.

(١) يُتَظَرُّ: دلائلُ الإعجاز، عبدُ القاهر الجرجاني، ص ٢٠٥، وشرحُ الكافية، للرَّاضي ٤٣ / ٢، وشرحُ المقصَّل، لابنِ يعيشٍ ٦٩ - ٦٦، ورَبْطُ الجُملةِ الفرعيةِ بالواوِ أو بالضميرِ، للدكتور فايز تركي، ص ١٨ - ٢٨ حيثُ الحديثُ عنِ الرَّبْطِ بالضميرِ في جُملةِ الحالِ.

المطلب الثالث

تبعية النَّعْتِ وَتَعْدُدُهُ، وَدَوْرُهُ فِي النَّصِّ

لما كان للنَّعْتِ أو الصِّفَةِ شَيْوَعٌ في الاستعمال اللُّغُويِّ لأغراضٍ كثيرة، تَحْصَلُ بِمَقْصِدِيَّةِ الْخِطَابِ أو النَّصِّ؛ والمُوصُوفُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ نَكْرَةً أَوْ مَعْرِفَةً، وَصِفَةً لِلمَعْرِفَةِ لِلْبِيَانِ وَالتَّوْضِيحِ، وَصِفَةً لِلنَّكْرَةِ لِلتَّحْصِيصِ، وَهُوَ إِخْرَاجُ الاسمِ مِنْ نَوْعِ أَحَصَّ مِنْهُ، فَهِيَ تَرْفَعُ وَتُثْرِيلُ الْاِشْتِراكَ الْفَظِيَّيِّ فِي الْمَعَارِفِ، وَتَقْلُلُ الْاِشْتِراكَ الْمَعْنَوِيَّ فِي النَّكَرَاتِ، فَهِيَ فِي الْأَوَّلِ جَارِيَةً مَجْرِيَ بَيَانِ الْمُجْمَلِ، وَفِي الثَّانِي جَارِيَةً مَجْرِيَ تَقييدِ الْمُطْلَقِ (١). وَلَمَّا كَانَ النَّعْتُ مِنَ التَّوَابِعِ، وَكَانَ "الْتَّابُعُ" وَالْمَتَبُوعُ مَعًا كَمْفُرِدٍ مَمْسُوبٍ إِلَيْهِ (٢)، فَإِنَّهُ تَجْذُرُ الإِشَارةُ إِلَى أَنَّ النَّسْبَةَ لَيْسَتْ عَلَى إِطْلَاقِهَا؛ لِأَنَّ الْمَتَبُوعَ إِلَى الْمَتَبُوعِ فِي قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ مَمْسُوبٌ إِلَيْهِ مَعَ تَابِعِهِ، فَإِنَّ الْمَجِيءَ فِي "جَاءَنِي زَيْدٌ الظَّرِيفُ" لَيْسَ فِي قَصْدِهِ مَمْسُوبًا إِلَى زَيْدٍ مُطْلَقًا، بَلْ إِلَى زَيْدٍ الْمُقَيَّدِ بِقَيْدِ الظَّرَافَةِ، وَكَذَا فِي "جَاءَنِي الْعَالِمُ زَيْدٌ" وَ"جَاءَنِي زَيْدٌ نَفْسُهُ" (٣)، وَلَوْ اِنْفَرَدَ النَّعْتُ وَالْمَنْعُوتُ لَمْ يَحْصُلْ مَا حَصَلَ بِاجْتِمَاعِهِمَا (٤).

هذا، وَلَمَّا كَانَ النَّعْتُ مِنَ الْوَظَائِفِ الْنَّحُوِيَّةِ غَيْرِ الإِسْنَادِيَّةِ الَّتِي تَتَعَدَّ، عَلَى نَحْوِ ما جَاءَ فِي قُولِهِ تَعَالَى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْنَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مَنْكَنَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَاتِنَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيَّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (٥)؛ لِأغراضٍ دَلَالِيَّةٍ تَرْتَبِطُ بِسِيَاقِ الْكَلَامِ، فَإِنَّ أَبَا سَعْدٍ قَدْ اسْتَثْمَرَ تَبَعِيَّةَ النَّعْتِ وَتَعْدُدَهُ؛ لِلنَّصِّ

(١) يُنْظَرُ: شَرْحُ المُفْصَلِ، ابنُ يَعْيَشٍ ٣ / ٤٧، وَالصِّفَةُ "فَانِدَتْهَا وَأَحْكَامُهَا"، لِلْدَّكْتُورِ صَبَّحِي رِشَادِ عَبْدِ الْكَرِيمِ، مَجَلَّةُ كُلِّيَّةِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، جَامِعَةُ الْأَزْهَرِ بِالْمَنْوَفِيَّةِ، مَصْرُ، العَدْدُ التَّاسِعُ، ١٩٨٩ م، ص ٤٤٢.

(٢) شَرْحُ الْكَافِيَّةِ، لِلْرَّاضِيِّ ٢ / ٢٧٩، وَيُنْظَرُ شَرْحُ المُفْصَلِ ٣ / ٣٨.

(٣) السَّابِقُ ٢ / ٢٧٩.

(٤) يُنْظَرُ: شَرْحُ المُفْصَلِ ٣ / ٦٦، وَبَنَاءُ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ: دِمْحَمْدُ حَمَاسَةُ، ص ١٧٥.

(٥) سُورَةُ التَّحْرِيمِ، الآيَةُ ٥.

على ما يريد، مُسْهِماً في إطالة البناء النحوي وترابطه نصياً، وهو ما يمكن التمثال له فيما يأتي:

أولاً - النَّعْتُ تابعاً:

جاء النَّعْتُ في ديوان "تقاسيم على زوارق الأيام" مُفرداً وجملة وشبكة جملة غير متعددة في مواضع كثيرة، ولعل مرجع ذلك سيطرة الوصف على الشاعر، ومثاله قوله (١): (من الخفيف)

لَمْ يَنْلَهَا مَنْ بَلَدَ اللَّهُو طَبْعَةً وَأَخْوَ الْعِلْمِ لَمْ يُمْتَّعْ بِهَجْعَةً	رَوْضَةُ الْعِلْمِ بِالْمَتَاعِبِ حَفَّتْ يَنْعَمُ السَّادِرُ الْجَهُولُ بِنَوْمٍ
--	--

فهذا النَّعْتُ من قصيدة (طلعة وطلعة) يرى في أولها أنَّ طريق العلم محفوفة بالمتاعب؛ ومن ثم فإنَّ من اتَّخذَ اللَّهُو سُلُوكاً، فبلَدَ طَبْعَةً، لَنْ يكون في يومٍ من الأيام ذا عِلْمٍ، يُشارُ إليه. ولَمَّا كان من المُتَقْوِي عليه أنَّ ثَمَةَ فارقاً بين صاحبِ العلم وغيره، فقد استثمر الشاعر النَّعْتَ بالمفرد في حشو البيت؛ لبيان ذلك، من خلال الجملة الفعلية الخبرية المثبتة (ينعم السادر الجهول بنوم) المتأخدة نمط: (الفعل المضارع + الفاعل + النَّعْت + الجار والمجرور) وهو ما يتضح من خلاله أنَّ الشاعر استخدم هذا النمط المبدوء بالفعل المضارع، واصفاً الفاعل (السَّادِر) المقصود بالحُكْم مُكْمِلاً إِيَاه (٢)، بالنَّعْتِ المُشَتَّقِ (الجهول) في ثوب صيغة (فعول) المقصودة لذاتها، المتعلق بها الجار والمجرور (بنوم)؛ للدلالة على استمرار هذا الذي لا يبالي ما صنع، ولا يهتم بشيء، في جهله، على نحو قول طرفة (٣): (من الرَّمل)

(١) تقاسيم على زوارق الأيام، يوسف أبو سعد ٥ / ١١٦، وينظرُ به أيضاً ٢ / ١٥، ٣ / ٢٣، ٤ / ٢٤، ١، ٤، ٦، ٨٤ / ٩١، ٨٤ / ٩٢، ٢ / ٩٣، ٦ / ٩٢، ٨ / ٩٨، ٧، ٩٩ / ٩٥، ١٠٠ / ٨، ١٢١ / ٥، ١٠٩ / ١، ١٠٦ / ١٣٢، ٤ / ١٢٦، ٧ / ١٢٦، ٦٧ - ٦٥.

(٢) ينظرُ بناء الجملة العَرَبِيَّة ص ٦٥ - ٦٧.
 (٣) طرفة بن العبد، ديوان طرفة، اعنى به عبد الرحمن المصطاوى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٥٤ وهامش ٩ من الصفحة نفسها، حيث الإشارة إلى أنَّ قوله: "وصابت بقر": مثل تضليل الأعراب عندما تنتهي عن الأمر بشدة.

سادراً أحسب غيّي رشدًا

ومن ثم فإنّه ينعم بالنّوم والرّاحّة، أمّا صاحب العلم، فإنّه في كبد، لم يذق طعم التّوّمة الخفيفّة ليلاً؛ من جراء تفكيره الدائم في علمه.

هذا، وقد تماسك النّعّت مع مَنْعُوتِه، من خلال توضيجه المَنْعُوتِ المَعْرِفَة، وكُونِ النّعّت مُشْتَقّاً مُطابِقاً المَنْعُوتَ في الإعراب والنّوع والعدِ والتّعيين، ولا شكّ في ذلك، فالصّفّة ترقّع الاشتراك اللّفظي في المعارف، وتزيله، وتقلل الاشتراك المعنوي في النّكّرات، فهي في الأوّل جاريّة مجرّى بيان المُجمّل، وفي الثاني جاريّة مجرّى تقييد المطلق (١).

ومثال ذلك أيضًا قوله (٢) : (من الخفيف)

وأنا غي طيف الوفا بالأمانى !
ضيّع الحبّ في ذجي النّسيان
بلقاء موطن الأركان !
في زمان يزهو على الأزمان

سوف أطوي غلالة اليأس عنّي
فعسى أن يرق لي متن قلب
وعسى تتجلّي سحابة هجري
ذاك فجر المئى ومؤئل أنسى

فهذه الأبيات من قصيدة (آهات) يرى فيها الشاعر أنّه سيُبعِد اليأس عنه؛ ومن ثم فإنّه سيقترب من طيف الوفاء متحدثًا بالأمانى، فعسى أن يرق قلبها الذي ضيّع الحبّ بنسانيه، وتتجلى سحابة هجريها إيه، فيكون لقاء، فيه ترثّت ووضع للنّقاط على الحروف. ولما كان ذلك متن الشاعر في زمان، يتهيه فخرًا أو تكبّرًا، فقد لجأ إلى استئثار النّعّت بالجملة الفعلية في قوله (في زمان يزهو على الأزمان) بعد أن استخدم عنصرًا إسناديًا آخر، يتمثل في العطف على الخبر، في قوله (ذاك فجر

(١) ينظر: شرح المفصل ٣ / ٤٧، وشرح الكافية، للرضي ٢ / ٢٩٨، وأوضح المسالك، لابن هشام ٣ / ٢٧٥ - ٢٢٧٦، وهوامع لسيوطى "جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١ هـ"، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م، ٣ / ١١٩، وشرح الأشموني ٣ / ١١٥، وشرح التصريح، لخالد الأزهري ٢ / ١١٢، والصفة "فائدتها وأحكامها" للدكتور صبحي رشاد عبد الكريم، ص ٤٤٢، وبناء الجملة العربية، د. محمد حماسة، ص ١٧٦ - ١٧٩.

(٢) تقسيم على زوارق الأيام، يوسف أبو سعد ٧ / ١٣٢.

المُنْيَ وَمَوْئِلُ أَنْسِي)، وَهُوَ مَا سَاقَهُ أَمَامَهُ فِيمَا بَعْدُ؛ وَمِنْ ثُمَّ كَانَتِ الْجُمْلَةُ الاسميَّةُ الْخَبَرِيَّةُ المُثْبَتَةُ المُتَّخِذَةُ نَمَطًا (المبتدأ + الخبر المضاف + المعطوف المضاف + الجار والمجرور + النَّعْتُ فعل مضارع + فاعل مُسْتَترٌ + جار ومجرور)، وَهُوَ مَا يَتَضَرُّعُ مِنْ خِلَالِهِ أَنْ لُجُوءَ الشَّاعِرِ إِلَى النَّعْتِ بِالْجُمْلَةِ مَا كَانَ إِلَّا لِلْدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِمرَارِ وَصْفِ مَا يَعِيشُ مِنْ زَمَانٍ، بِالثَّيْهِ وَالْفَخْرِ وَالْتَّكْبِيرِ، وَهُوَ النَّعْتُ الَّذِي يُلْاحِظُ عَلَيْهِ إِسْهَامُهُ فِي اسْتِطالَةِ الْبَنَاءِ، وَاسْتِقَامَةِ الْوَزْنِ، وَصِحَّةِ الْقَافِيَّةِ، فِي إِطَارِ مَا أَرَادَهُ الشَّاعِرُ مِنْ مَعْنَى نَصِّيٍّ، بِالإِضَافَةِ إِلَى تِرْابِطِ النَّعْتِ بِمَنْعُوتِهِ، حِيثُ تِرْابِطَتْ جُمْلَةُ النَّعْتِ الْخَبَرِيَّةُ بِمَنْعُوتِهَا النَّكْرَةُ، عَنْ طَرِيقِ الضَّمِيرِ الْمُسْتَترِ فِي الْفِعلِ (يَزْهُو)، فَكَانَ رَابِطًا بَيْنَ الْمَفْهُومَيْنِ، أَعْنَى مَفْهُومَ النَّعْتِ وَمَفْهُومَ الْمَنْعُوتِ؛ وَمِنْ ثُمَّ حَسْنُ السَّبَكِ فِي ظَاهِرِ النَّصِّ وَالْحَبْكِ فِي عَالَمِهِ؛ أَيْ أَنَّ الْاسْتِمرَارِيَّةَ فِي ظَاهِرِ النَّصِّ قَدْ تَحَقَّقَتْ؛ وَمِنْ ثُمَّ كَانَتِ الْاسْتِمرَارِيَّةُ الدَّلَالِيَّةُ المُتَحَقَّقَةُ فِي حَلْقَةِ الاتِّصالِ الَّتِي يُشَكِّلُهَا الضَّمِيرُ الرَّابِطُ بَيْنَ الْمَفَاهِيمِ دَاخِلَ النَّصِّ (١).

ثانيًا - النَّعْتُ تَابِعًا مُتَعَدِّدًا:

اتَّخَذَ تَعْدُدُ النَّعْتِ لَدِي يُوسُفُ أَبْيَ سَعْدٍ صُورًا مُخْتَلِفةً، كَأَنْ يَكُونَ مُفْرَدًا مُتَعَدِّدًا أَوْ جُمْلَةً مُتَعَدِّدَةً، أَوْ مُفْرَدًا وَجُمْلَةً، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ صُورِ التَّعْدُدِ الْمُرْتَبَطَةِ بِالْمَعْنَى النَّصِّيِّ. فَمِثَالٌ تَعْدُدِهِ مُفْرَدًا مَا قَالَهُ فِي (بَشَائِرُ الْخَيْرِ) (٢): (مِنَ الْبَسيطِ)

وَتَحَتَ الْوَيْلَةِ الإِسْلَامِ مَا انْحَرَفَ
قَدْ شَيَّدَتْ نَهْضَةً شَمَاءَ شَامِلَةً
فَهَذَا الْبَيَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ (فِي مَوْكِبِ النُّورِ) صَدَدَ الْحَدِيثُ عَنْ بَشَائِرِ الْخَيْرِ
فَائِلاً:

بَشَائِرُ الْخَيْرِ قَدْ رُفِّتْ فَيَا فَرَحِي!

(١) يُنْظَرُ: بِنَاءُ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. مُحَمَّدُ حَمَاسَةُ ص ١٧٩ - ١٨٢، وَرَابطُ الْجُمْلَةِ الْفَرَعِيَّةِ بِالْوَاوِ أوِ بالضَّمِيرِ، وَدُورُهُ فِي تَمَاسِكِ النَّصِّ، د. فَايِزُ تُرْكِي ص ٢٨ - ٣٦.

(٢) تقسيم على زوارق الأيام، يُوسُفُ أَبْيَ سَعْدٍ ٤٢ / ٢، وَيُنْظَرُ بِهِ أَيْضًا: ٥ / ١٠، ١٠ / ١، ١١٢ / ١، ٩٣ / ٣، ٨٥ / ٤.

وفي الأولِ منها يرى أنَّ بشائرَ الخيرِ لم تُتَحْرِفْ يومًا، لاسيماً أنَّها تَتَحرَّكُ تَحْتَ رَأْيَةِ الإِسْلَام؛ وَمِنْ ثُمَّ فَإِنَّهَا لم تتوانَ عنِ اسْتِئْصَالِ الظُّلْمِ مِنْ جُذُورِهِ. ولِكَيْ يُوضَّحَ كُنْهُ هَذِهِ الْبَشَائِرِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، تَرَاهُ يَلْجَأُ إِلَى تَعْدِدِ النَّعْتِ، مِنْ خَلَلِ الْجُملَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ الْمُثَبَّتَةِ (قَدْ شَيَّدَتْ نَهْضَةً شَمَاءً شَاملَةً) الْمُتَخَذِّةَ نَمَطًا (قد + الفعل الماضي + الفاعل المستتر + المفعول به + النعت المتكلّر)؛ للإشارة إلى أنَّ نَهْضَةً نَهْضَةً بِالْمُمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، شَيَّدَتْ بِسَوَادِ أُولَى الْأَمْرِ، وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْنَّهْضَةُ لَيْسَتْ كَأَيِّ نَهْضَةٍ، فَقَدْ اسْتَثْمَرَ جَوَارِ تَعْدِدِ النَّعْتِ الْمُفْرَدِ؛ لِلْدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهَا نَهْضَةٌ رَفِيعَةُ الشَّأنِ، تَشْمَلُ جَمِيعَ مَنَاحِيِّ الْحَيَاةِ، فَهِيَ مَفْصُودَةٌ بِالْحُكْمِ الْمُسْتَفَادِ مِنْ تَعْدِدِ النَّعْتِ. وَبَنَاءً عَلَى ذَلِكَ أَنْهُمْ هَذَا التَّعَدُّدُ فِي الْوَصْفِ، وَفِي إِطَالَةِ بَنَاءِ الْجُملَةِ، وَفِي الْوَفَاءِ بِمَطْلَبِ الْعَرْوَضِ؛ فَاسْتَقَامَ وَزْنُ الْبَسِيطِ .

ومثالُ تَعْدِدِهِ جُملَةُ قَوْلِهِ (١) : (من البسيط)

يَا بْنَ الْمَلِيكِ بِكَ الدَّمَامُ بِاَكْرَهَا
عَلَى جَنَاحِ الْأَمَانِيِّ جَاؤَرَتْ رُحَلًا
تِلْكَ النَّوَادِيِّ رِيَاضٌ نَسْتَظِلُّ بِهَا
وَمَرْتَعٌ لِلْحَجَّى حَصْبٌ أَزَاهِرَهُ

فَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ مِنْ قَصِيدَةٍ (فِي مَوْكِبِ الْثُورِ)، وَقَدْ سَبَقَ عَرْضُ مُنَاسِبَتِهَا، وَفِيهَا يُوجَّهُ خَطَابَهُ إِلَى الْمَلِكِ (فَهِيدِ) بِأَنَّهُ ابْنُ مَلِكٍ، بِهِ ازْدَانُتْ (الْدَّمَامُ)، وَدَبَّتْ بِهَا الْحَيَاةُ؛ وَمِنْ ثُمَّ عَلَا شَائِهَا، كَأَنَّهُ هَرَمٌ؛ فَجَاؤَرَتْ أَمَانِيهَا كَوَكَبَ رُحَلٍ، وَأَصْبَحَ لَهَا قَدَمٌ فِي الْعُلَا، كَأَنَّهُ فِي أَعْلَى كَوَكَبِ (الْمُشَتَّرِ)، بِسَبَبِ الْعِلْمِ الَّذِي تَشَرَّهُ النَّوَادِيُّ الْأَدَيْبِيَّةُ.

وَلِكَيْ يُوضَّحَ الشَّاعِرُ كُنْهُ هَذِهِ الْنَّوَادِيِّ، لَجَأَ إِلَى اسْتِثْمَارِ النَّعْتِ الْمُتَعَدِّدِ، مِنْ خَلَلِ الْجُملَةِ الْأَسْمَيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ الْمُثَبَّتَةِ (تِلْكَ النَّوَادِيِّ رِيَاضٌ نَسْتَظِلُّ بِهَا، فِي فَيْئَهَا كَوَثِيرٌ لِلظَّامِينَ هَمَى) الْمُتَخَذِّةَ نَمَطًا (المبتدأ + البدل + الخبر + النعت " فعل + فاعل

(١) السَّابِقُ ٤٦ / ٢، وَيُنْتَظَرُ بِهِ أَيْضًا: ٨، ٥٥ / ١ - ٥٦ .

مُسْتَرٌ + جار و مجرور " + نَعْتٌ " خبر مُقْدَمٌ "جار وجرور" + مُبْدِأ مؤخّر " + جار و مجرور + نَعْتٌ للمبْدِأ "جُملة فِعْلِيَّةٍ" ، وهو ما يَتَضَعُّ مِنْ خِلَالِهِ أَنَّ المَنْعُوتَ الشَّاغِلَ وظيفةُ الْخَبَرِ قَدْ قُصِّدَ بِالْحُكْمِ مِنْ خِلَالِ نَعْتِهِ بِجُمْلَتَيْنِ ، الأولى فِعْلِيَّةٌ للدَّلَالَةِ عَلَى تَجَدُّدِ كَوْنِ النَّوَادِيِّ رِيَاضًا نَسْتَظِلُّ بِهِ ، واستمرارِيَّةِ هَذَا الظَّلِّ ، مُتَرَابِطَةٌ مَعَ الْمَنْعُوتِ ، مِنْ خِلَالِ الضَّمِيرِ فِي الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ (بِهَا) الْمُتَعَلِّقِ بِالْفِعْلِ (نَسْتَظِلُّ) . أَمَّا الْجُمْلَةُ التَّعْتَيْنَى الْآخِرَى ، فَتَكْمِنُ فِي الْإِسْمِيَّةِ (فِي فِيَّهَا كَوْثَرٌ لِلظَّامِنَيْنِ هَمَّى) الْمُتَرَابِطَةِ أَيْضًا مَعَ الْمَنْعُوتِ ، عَنْ طَرِيقِ الضَّمِيرِ فِي (فِيَّهَا) ، وَأَصْلُهَا (فِي فِيَّهَا كَوْثَرٌ هَمَّى لِلظَّامِنَيْنِ) ؛ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ الرِّيَاضَ الْمُخْبَرَ بِهَا عَنِ النَّوَادِيِّ ، يَجْرِي فِي ظِلِّهَا نَهَرٌ ، مَاوِهِ الْعِلْمِ ، قَدْ سَالَ ؛ لِيَزْوِيَ ظَمَأً كُلَّ مُتَعَطِّشٍ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَى ثَبَاتِ هَذَا النَّهَرِ ، وَعَدَمِ تَحْوِلِهِ .

وَمِنْ خِلَالِ هَذَا التَّعْدِيدِ الَّذِي ارْتَبَطَ فِيهِ النَّعْتُ بِالْمَنْعُوتِ ثُلِّاحَظُ أَنَّهُ قد أَدَى إِلَى اسْتِطَالَةِ الْبَنَاءِ وَتَعَدِّدِهِ نَتْيَاجَةً تَدَالِلُ الْمَنْعُوتِ ، إِذْ نَعْتَ المبْدِأ المؤخّر (كَوْثَرٌ) بِالْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ (هَمَّى لِلظَّامِنَيْنِ) ، وَأَسْهَمَ التَّعْدِيدَ أَيْضًا فِي اسْتِقَامَةِ وَزْنِ الْبَسيِطِ ، وَصِحَّةِ الْقَافِيَّةِ بِرَوْبِيَّهَا الْمُرَادِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ وَلِيَدَ التَّعْدِيدِ فَقَطُّ ، بَلْ رَافِقَهُ مُرْوَنَةُ النَّظَامِ النَّحْوِيِّ فِي ظِلِّ جُمْلَةِ النَّعْتِ الْإِسْمِيَّةِ ، بِجُوازِ تَقْدِيمِ مُتَعَلِّقِ الْفِعْلِ (هَمَّى) .

وَمِثَالٌ تَعْدِيدِهِ بَيْنَ الْمُفْرِدِ وَغَيْرِهِ قَوْلُهُ (١) : (مِنَ الرَّمَلِ)

لَنَرِي حُسْنَ وَفَاءٍ وَقِيَادٍ
وَقَطَفَنَا زَهَرَةَ الْحُلْمِ الْمُرَادِ
مَا بَنَّنَا غَيْرُ هِمَّاتِ صِلَادٍ

قَدْ فَتَحْنَا الْجَفْنَ مِنْ بَعْدِ الْكَرَى
بِأَبِي فَيَصِيلَ قَدْ نَلَنَا الْمَنَى
وَبَنَنَنَا نَهْضَةً عِمَلاَقَةً

فَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ مِنْ قَصِيدَةٍ (مِنْ وَحْيِ أَسْبُوعِ الشَّجَرَةِ) ، وَقَدْ سَبَقَ عَرْضُ مُنَاسِبَتِهَا ، وَفِيهَا يَرِى الشَّاعِرُ أَنَّهُمْ بَعْدَ النُّومِ وَالنُّعَاسِ قد فَتَحُوا أَعْيُّنَهُمْ عَلَى حُسْنِ الْقِيَادَةِ

والوفاء، فها هو (أبو فَيْصِلٍ) قد نالوا مِنْ خَلَّاهُ مَا تَمَنُوا، وَقَطَفُوا ثَمَرَةَ حَلْمِهِمُ الْمَرَادُ، وَبَنَوْا نَهَضَةً بِلَادِهِمْ.

ولبيان كُلِّهِ هذه النَّهَضَةِ في الْبَيْتِ الْثَّالِثِ كان استثماره تَعْدُدُ النَّعْتِ بالْمُفَرْدِ والجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ، مِنْ خَلَلِ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ الْمُبَتَّةِ، الْمُتَّخِذَةِ نَمَطًا (الفعل + الفاعل + المفعول به + النعت المفرد + النعت الجملة الفعلية المنافية " فعل + مفعول به + فاعل + مضارف إليه + نعت المضارف إليه)، فأفادَ النَّعْتُ الْمُفَرْدُ النَّكْرَةَ (عملقة) أَنَّ النَّهَضَةَ نَهَضَةً جَبَارَةً وَاسِعَةً، ثُمَّ جَاءَ النَّعْتُ بِالْجُمْلَةِ مُتَرَابِطًا مَعَ الْمَنْعُوتِ، مِنْ خَلَلِ الضَّمِيرِ فِي (بَنَتُهَا)، فَأَضَافَ وَصْفًا آخَرَ، مَضْمُونُهُ أَنَّهَا نَهَضَةٌ بَنَتُهَا سَوَاعِدُ أَنَاسٍ مُهْتَمِّينَ بِأَمْرِ بِلَادِهِمْ، يَتَصَفَّوْنَ بِأَنَّهُمْ صِلَابٌ.

وهكذا، رأينا أَنَّ تَعْدُدَ النَّعْتِ قد أَسْهَمَ فِي بِيَانِ حَقِيقَةِ الْمَنْعُوتِ؛ وَمِنْ ثُمَّ اسْتَطَالَ التَّرْكِيبُ، وَاسْتَقَامَ وَزْنُ الرَّمْلِ، وَصَحَّتِ الْقَافِيَّةُ بِرَوْيِهَا الْمَرَادُ، وَكَانَ النَّعْتُ مُتَرَابِطًا مَعَ مَنْعُوتِهِ، فِي إِطَارِ مَا أَرِيدُ مِنْ مَعْنَى نَصِّيٍّ، وَهُوَ مَا يَنْطَبِقُ عَلَى مَا لَمْ أَذْكُرْهُ مِنْ مَوَاضِعَ، أَحْلَاثٌ عَلَيْهَا، وَكَانَتْ وظِيفَةُ الْمَنْعُوتِ فِيهَا مِبْتَداً، وَفَاعِلًا، وَمَفْعُولاً مُطْلَقاً، وَمَجْرُورًا بِالْحَرْفِ أَوْ بِالإِضَافَةِ، وَتَمْيِيزًا، وَمَعْطُوفًا. وَفِي كُلِّ ذَلِكِ مَا يُشكِّلُ مَادَةً خَصِيَّةً لِدِرَاسَةِ النَّعْتِ، بِكُلِّ تَفاصِيلِهِ، سَوَاءً أَكَانَ تَابِعًا مُتَعَدِّدًا أَمْ غَيْرَ مُتَعَدِّدٍ، مُفَرْدًا أَوْ جُمْلَةً أَوْ شِبْهِ جُمْلَةٍ، مَعَ مُرَاعَاةِ رَيْطِ التَّتَّاوِلِ بِسِياقِهِ النَّصِّيِّ؛ أَيْ بَيْنِ الشَّكْلِ وَالْوَظِيفَةِ أَوْ بَيْنِ الشَّكْلِ وَالْمَضْمُونِ.

المطلب الرابع

تبعية التوكيد، ودوره في النصّ

يُعدُّ التوكيدُ، سواءً أكان لفظياً أم معنوياً تابعاً من التوابع، وعنصراً من العناصر غير الإسنادية ذات التأثير في بنية النصّ، فيؤدي إلى ما يُنطَلَّ عليه بطول النَّبْعِيَّة، بالإضافة إلى علاقته بالمعنى؛ ومن ثم يكون الاحتياط لمعنى النصّي.

هذا، ومن خلال استقرائي ديوان (تقسيم على زوارق الأيام) تبيّن لي أنَّ التوكيد اللَّفظي قد فاقت مواضعه مواضع التوكيد المعنوي (١).

أولاً - التوكيد اللَّفظي:

لما كان التوكيد اللَّفظي يكون بتكرار اللَّفظ الأول بعينه، ويكون في الاسم وال فعل والحرف والجملة، فقد جاء لدى يوسف أبي سعد في الاسم مشتملاً على توكيد الضمير متصلاً ومنفصلاً واسمهما، وجاء جملة فعليّة ذات فعل مضارع مثبت، ومثال ذلك قوله (٢): (من الخيف)

خلجاتي أبئتها في المحايل
تبضات على الوفاء دلائل
أنت فيه الشراغ والقدس ساحل
حاتمي بنفسه غير باخل

إيه ركب الحجارة الشهم هذى
والقوافي مشاعر تتوالى
والأمانى أرفعها عبر بحر
كُلنا كُلنا لدى الخطيب ثدب

فهذه الأبيات من قصيدة (أشعلوها)، قدم لها الشاعر بأنها "دفعات من المشاعر، جاشت بها الأعماق، بمناسبة مرور عامين على قيام الانفاضة المظفرة بجهادها المتواصل، وألقيت في الاحتفال الذي نظمته اللجنة الشعبية لمساعدة أسر

(١) يُنظر: تقسيم على زوارق الأيام، يوسف أبو سعد / ٨، ١٤٣ / ٢، ٥٤، ١٤٥ / ٨، حيث المعنوي، وكذلك / ٢، ٢٦ / ٨، ٢٥، ٣٦ / ٣، ٤٩ / ٧، ٣٦، ٥٠ / ٨، ٧، ٤٩ / ٣، ٢٥ / ٨، حيث اللَّفظي.

(٢) يُنظر: السابق ٤ / ٨٠.

المُجاهدين، تحت رعاية سُمو أمير الأحساء، وذلك في مقرّها بالأحساء، في مساء يوم الخميس ٧ / ٦ / ١٤١٠ هـ (١).

وفيها يتوجه بحديثه إلى هؤلاء المتوفّدين شجاعَةً، الذين يدافعون بالحجارة، بأنَّ ما يبيِّه لهم من أشعارٍ ترجمةٌ لما يدور في خلده؛ ومن ثمَّ فإنَّها تعبيِّر عن مشاعره المتواالية، ودليلٌ على وفائه، ويضيفُ بأنَّه يُرْفُ الأمانِيَّ عبرَ بَحْرٍ، شِراعُه رَكْبُ المجاهدين الفلسطينيين، وساحلُه (القدس) حيثُ الهدفُ والغايةُ.

هذا ولِلتعبيرِ عن كون الأمة العربية جسدًا واحدًا في مواجهة الخطوب، كان استثمارُه الجملة الاسمية الخبرية المثبتة المتأخدة نَمَطًا (المبتدأ المضاف + المضاف إليه + التوكيد المعنوي + ظرف المكان + مضاف إليه + الخبر)، وهو ما يتضحُ من خلاله لجوء الشاعر إلى استخدام التابع المتمثّل في التوكيد المعنوي للمبتدأ المضاف إلى الضمير (كُلُّنا كُلُّنا)، وما ذلك إلَّا لأنَّه يُريدُ الاعتناء بالمبتدأ والتأكيد على أنَّ المقصود بالحكم العربي كُلُّهم، وليس بعضهم، فهم مُسْرِعون مُجيئون، عندما تُلْمُ ببعضِهم ملْمَة أو أمرٌ عظيم، يبنُون أنفسِهم بدلًا (حاتِم) في كرمِه وعَدَمِ بُخلِه، أي أنَّ المبدع أرادَ من خلال هذا التوكيد دفعَ ظنَّ المُتلقِّي بالمتكلِّم الغلط؛ ومن ثمَّ فهو تقييد أيضًا لرفعِ احتمال التَّجُوز أو توهم التَّجُوز (٢).

ولعلَّك تلاحظُ معي أنَّ التوكيد - بجانب إسهامِه الدلالي، على نحوِ ما سبقَ - قد أُسْهَمَ في إطالةِ البناء، في إطارِ ما يُعرفُ بِطُولِ التَّبعيَّة، وأُسْهَمَ في استقامةِ وزنِ الخفيفِ وصِحَّةِ القافية، فمِنَ المعلوم أنَّ وزنَ البيتِ ونقطيغَه هكذا:

كُلُّنا كُلُّ / لُنَا لَذْلُ / حَطْبِ نَذْبِنْ	حَاتِمِيَّنْ / بِنَفْسِهِي / غَيْرِ باخِلْ	فَاعِلَاثُنْ / مُتَقْعِلُنْ / فَاعِلَاثُنْ
--	--	--

(١) السَّابِقُ ص ٦٧.

(٢) يُنظر: شَرْحُ الكافية، للرَّضِيِّ ٢ / ٣٥٧ - ٣٥٨، وبناءُ الجملةُ العربيَّة، د. محمد حماسة ص ٦٦.

وهو ما يتضح من خلاله أنه لو لم يؤكد لـما استقام الوزن، ولما استقرت كلمة القافية في مكانها، برويها المراد، في إطار ما يسعى إليه الشاعر من معنى نصيّ. ومثال ذلك أيضاً توكيـد ضمير الرفع المتصـلـ، حيث قوله: (١): (من الرمل)
 فاغرسوا أنـتم لـأجيـال جـادـ غـرسـ الأـجـادـ مـن قـبـلـ لـكـمـ
 وهو من قصيدة (من وحي أسبوع الشجرة)، فيه يُقر لـأبناء وطـنه بـأنـ أـجـادـهـمـ قد حافظوا على الخـضرـةـ لـهـمـ، مـن قـبـلـ، وـغـرسـواـ الـأشـجارـ وـالـثـخـيلـ، وـهـوـ مـاـ تـرـتـبـ عـلـيـهـ أـنـ طـلـبـ مـنـهـمـ أـنـ يـغـرسـواـ لـأـجيـالـ الـقـادـمـةـ أـيـضـاـ، وـذـلـكـ مـنـ خـلـالـ الـجـمـلـةـ الطـلـبـيـةـ الـفـعـلـيـةـ ذاتـ الـأـمـرـ "اغـرسـواـ أنـتمـ لـأـجيـالـ جـادـ"، الـمـتـحـدـةـ نـمـطـ (فعلـ الـأـمـرـ + الفـاعـلـ + التـوكـيدـ الـمـعـنـوـيـ بالـضـمـيرـ الـمـنـفـصـلـ + الجـارـ وـالـمـجـرـورـ + النـعـتـ)، وـهـوـ مـاـ يـتـضـحـ مـنـ خـلـالـهـ أـنـ الشـاعـرـ لـجـأـ إـلـىـ توـكـيدـ ضـمـيرـ الرـفـعـ الـمـتـصـلـ الـمـتـحـدـ وـظـيـفـةـ الـفـاعـلـ، بـضـمـيرـ الرـفـعـ الـمـنـفـصـلـ؛ لـتـأـكـيدـ عـلـىـ غـرسـهـمـ هـمـ دونـ غـيرـهـمـ، وـرـفـعـ اـحـتمـالـ التـجـوـزـ أـوـ تـوـهـمـ التـجـوـزـ فيـ هـذـهـ الـدـلـالـةـ، وـهـوـ مـاـ انـعـكـسـ بـالـطـبـعـ عـلـىـ طـوـلـ الـبـنـاءـ، وـإـسـهـامـ فـيـ تـوـافـقـ الـبـنـاءـ الـنـحـويـ مـعـ النـسـجـ الـشـعـريـ، عنـ طـرـيقـ تـلـكـ الـمـرـونـةـ الـنـحـويـةـ الـتـيـ تـبـيـخـ تـأـكـيدـ ضـمـيرـ الرـفـعـ الـمـتـصـلـ تـأـكـيدـاـ لـفـظـيـاـ بـالـضـمـيرـ الـمـنـفـصـلـ، فـاستـقامـ وـرـنـ الرـمـلـ، وـصـحـتـ القـافـيـةـ بـرـوـيـهاـ الـمـرـادـ.

ثانياً - التوكـيدـ الـمـعـنـوـيـ:

ورـدـ التـوكـيدـ الـمـعـنـوـيـ لـدـىـ يـوسـفـ أـبـيـ سـعـدـ رـافـعـاـ تـوـهـمـ عـدـمـ إـرـادـةـ الشـمـولـ، مـنـحـصـراـ فـيـ كـلـمـةـ (جـمـيعـ)، كـمـاـ وـرـدـتـ كـلـمـةـ (أـجـمـعـ) غـيرـ مـسـتـعـمـلـةـ فـيـ تـقـوـيـةـ التـوكـيدـ، بـلـ جـاءـتـ مـسـتـخـدـمـةـ فـيـ التـوكـيدـ مـسـتـقـلـةـ غـيرـ مـسـبـوـقـةـ بـكـلـ أوـ أـحـدـ فـرـوعـهـاـ، تـحـوـيـ قـوـلـهـ: (٢): (منـ الـكـامـلـ)

سرـقـ الأـثـاثـ جـمـيـعـهـ وـالـدـارـاـ	الـلـصـ يـسـرـقـ قـطـعـةـ وـغـرـيمـنـاـ
لـصـ يـلـصـ مـجاـهـرـاـ مـفـاخـرـاـ	لـصـ وـلـيـسـ كـمـاـ الـلـصـوـصـ وـإـنـماـ

(١) تقسيم على زوارق الأيام، يوسف أبو سعد .٢٦ / ٢

(٢) يـنـظـرـ السـابـقـ .١٤٥ / ٨

فِيَيْ حَقَّ غَالِهَا وَأَبَاهَا

فهذه الأبيات من قصيدة (قراءة في وجه الأحداث) يرى فيها الشاعر أن اللص عندما يسرق يسرق قطعة، أما هذا المارق (صدام حسين) غريم العرب، فعلى خلاف ذلك، ولكي يوضح الشاعر ذلك لجأ إلى التوكيد المعنوي، من خلال الجملة الفعلية الخبرية المثبتة (سرق الأثاث جميـنه والدارـا) المـتـحـذـة نـمـط (الفعل + الفاعل المستتر + المفعول به + التوكيد المعنوي + المعطوف)، وهو ما يتضح من خلاله لجوء أبي سعد إلى التوكيد المعنوي المـقـيـد لـلـمـؤـكـدـ، مـكـمـلـاـ المـقـصـودـ بـالـحـكـمـ (١) - والمقصود بالحكم هو المؤكـدـ - في عـجـزـ الـبـيـتـ؛ لـرـفـعـ تـوـهـمـ عـدـمـ إـرـادـةـ الشـمـولـ، وـالـنـصـ عـلـىـ أـنـ هـذـاـ المـارـقـ قـدـ سـرـقـ كـلـ مـاـ وـجـدـهـ مـنـ أـثـاثـ دـوـنـ اـسـتـثـنـاءـ، فـلـاـ مـجـالـ لـإـرـادـةـ غـيـرـ الـظـاهـرـ "الأـثـاثـ". وقد تـازـرـ معـ هـذـاـ العـنـصـرـ عـنـصـرـ إـسـنـادـيـ آخرـ، يـتـمـثـلـ فـيـ الـمـعـطـوـفـ؛ لـلـدـلـالـةـ عـلـىـ أـنـ السـرـقةـ لـمـ تـقـتـصـرـ عـلـىـ الأـثـاثـ، بلـ شـمـلـتـ كـلـ مـاـ فـيـ الـبـيـوتـ، فـيـ إـشـارـةـ إـلـىـ شـدـةـ السـرـقةـ.

ومن خلال هذا النـمـطـ منـ التـوكـيدـ ثـلـاحـظـ إـسـهـامـهـ فـيـ إـطـالـةـ بـنـاءـ الـجـمـلـةـ، فـيـ اـتـجـاهـ الـمـعـنـىـ، وـالـإـسـهـامـ فـيـ اـسـتـقـامـةـ وـزـنـ الـكـامـلـ وـصـحـةـ الـقـافـيـةـ، مـتـرـابـطـاـ مـعـ المـؤـكـدـ عنـ طـرـيقـ الضـمـيرـ فـيـ التـوكـيدـ نـفـسـهـ، ذـلـكـ الضـمـيرـ الـذـيـ يـطـابـقـ المـؤـكـدـ، جـاعـلاـ التـوكـيدـ مـعـرـفـةـ بـإـضـافـتـهـ إـلـيـهـ؛ لـيـطـابـقـ التـوكـيدـ وـالـمـؤـكـدـ فـيـ التـعـرـيفـ، إـذـ إـنـ جـمـهـورـ الـنـحـاءـ عـلـىـ أـنـهـ يـمـتـنـعـ توـكـيدـ الـنـكـرـةـ (٢).

وـقـبـلـ الـانـتـقـالـ إـلـىـ الـمـثـالـ الثـالـيـ أـشـيـرـ - فـيـ إـطـارـ تـعـلـيمـ قـوـاعـدـ الـنـحـوـ مـنـ خـالـ الـنـصـ - إـلـىـ أـنـ اـسـتـخـادـ الشـاعـرـ التـوكـيدـ، عـلـىـ نـحـوـ مـاـ سـبـقـ يـعـدـ مـنـ بـاـ الـاحـتـيـاطـ لـلـمـعـنـىـ الـنـصـيـ، وـهـوـ مـاـ عـقـدـ لـهـ اـبـنـ جـنـيـ بـاـبـاـ سـمـاـهـ بـاـبـاـ الـاحـتـيـاطـ،

(١) يـنـظـرـ بـنـاءـ الـجـمـلـةـ الـعـرـيـةـ، دـ.ـ مـحـمـدـ حـمـاسـةـ، صـ ٦٦ـ ٦٧ـ.

(٢) يـنـظـرـ: شـرـحـ الـكـافـيـةـ، لـلـرـضـيـ ٢ / ٣٧٢ـ ـ ٣٧٣ـ، وـالـإـنـصـافـ فـيـ مـسـائـلـ الـخـلـافـ، لـابـنـ الـأـنـبـارـيـ، تـحـقـيقـ مـحـمـدـ مـحـيـيـ الدـيـنـ عـبـدـ الـحـمـيدـ، الـمـكـتبـةـ الـتـجـارـيـةـ، الـقـاهـرـةـ، مـصـرـ، الـطـبـعـةـ الـرـابـعـةـ، ١٣٨٠ـ ـ ١٩٦١ـ مـ، ٤٥١ـ ـ ٤٥٦ـ، وـبـنـاءـ الـجـمـلـةـ الـعـرـيـةـ، دـ.ـ مـحـمـدـ حـمـاسـةـ، صـ ١٨٥ـ ـ ١٨٧ـ.

قال فيه: "اعلم أنَّ العرب إذا أرادت المعنى مكتنِّه، واحتاطت له. فمن ذلك التوكيدُ، وهو على ضربين: أحدهما تكريرُ الأوَّلِ بلفظه... والثاني تكريرُ الأوَّلِ بمعناه..." (١).

ومثال ذلك أيضًا قوله: (٢): (من البسيط)

وَمَنْ أَرَادَ لَنَا سُوءًا بِذَكَرِ مُنْيٍ
هَلْ حَادَ أَبْطَالُنَا عَنْ مَرْكِبِ حَشِّن؟
فَعَادَ جَحْفَاهُمْ فِي مِئَرِّ الْجَبِّن؟
فَقَدْ يَكُونُ لَهُ فَتَّاكٌ بِذِي سِمَنِ

لِسَلْمٍ نَجَّحَ دَوْمًا إِنْ هُمُو جَنَحُوا
وَاسْأَلْ أَرْذَالَ خَلْقِ اللهِ أَجْمَعَهُمْ
أَوْ آدَ وَثَبَّتُهُمْ إِرْهَابُ غَاصِبِهِمْ
لَا تَحْقِرُنَّ نَخِيلًا أَعْزَلًا أَبَدًا

وهي أبياتٌ مِنْ قصيدة (سطور على جبين الوطن) سبقها بالإشارة إلى أنَّه
ليسوا دُعاةً حَرْبٍ أو أصحابَ أطْمَاعٍ، بل هم هداةٌ لِدين اللهِ، ودعاةٌ لِلإسلام، حيث
قوله قبل هذه الأبياتِ بثلاثةِ أبياتٍ:

وَمَا بِنَا مِنْ هُوَى بِالشَّرِّ مُقْتَرِنٍ
فَصُنْفُ الطُّغَاةِ، وَنَسْفُ الْمَرْتَعِ النَّنَّ
أَهْلُوهُ قَدْ عَكَفُوا جَهَلًا عَلَى وَتَنِ

لَسْنَا دُعاةً حُرُوبٍ أَوْ أُولَى طَمَعٍ
لِكِنْ هُدَاءً لِدِينِ اللهِ غَايَتُنا
وَدُعَوَةُ النَّاسِ لِلإِسْلَامِ فِي بَلَدِ

وفي الأبياتِ التي معنا يرى أنَّهم يرکون إلى السُّلْمِ إِنْ رَكِنَ أَعْداؤُهُمْ؛ ومنْ ثُمَّ
فإنَّ مَنْ أَرَادَ بِهِمِ السُّوءَ مُنِيَ به. ولبيان وجْهِ بطولتهم وتحملِهم يتوجَّهُ بسؤالٍ إلى
المُتَلَّفِي، مِنْ خِلَالِ الجُملَةِ الطَّلَبِيَّةِ (واسأَلْ أَرْذَالَ خَلْقِ اللهِ أَجْمَعَهُمْ) المُتَّخِذَةِ نَمَطًا
(فعلُ الأمر + الفاعلُ المُستَتر + المفعولُ به + المضافُ إِلَيْهِ المُتَكَرَّرُ + التوكيدُ)
المعنوي)، وهو مَا يَتَضَرُّ مِنْ خِلَالِهِ لجوءُ أبي سَعْدٍ إلى التوكيدِ المعنويِّ المُفَقَّدِ
لِلْمُؤَكَّدِ، في صَدْرِ الْبَيْتِ حيثُ العروضُ، غيرَ مُسْتَعْمِلٍ كَلْمَةً (أَجْمَع) تقويةً للتوكيدِ

(١) الخصائص، ابن جِنِّي، ١٠١ / ٣ - ١١١، وينظر: الجملة العربية والمعنى، د. فاضل السامرائي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ١٤٢ - ١٥٧.

(٢) يُنظر: تقسيم على زوارق الأيام، يوسف أبو سعد ٨ / ٥٤.

بعد (كله)، وهو ما استعملته العرب، فيقال جاء الركب أجمع، والطلاب
أجمعون... إلخ، وزعم قوم أن ذلك قليل، ومنه قول الشاعر:

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ صَبِيًّا مُرْضِيًّا
إِذَا بَكَيْتُ قَبَّلْتَنِي أَرْبَعاً

هذا أشير إلى أن ذلك ما كان إلا من أجل النص على أنه ينبغي على المتوجه
إليه بالسؤال أن يسأل جميع خسas خلق الله، ومن يتصرفون بالدونية، دون
استثناء: هل حاد أبطال الجزيرة عن ركوب الوعر واقتحام الصعب؟ بالطبع لا، فلم
يمنعهم إرهاب الغاصب من الوثب عليه؛ ومن ثم فإن جيوشهم غير متصفة
بالجبن، فلا مجال لإنكار ذلك لدى أزدال خلق الله أجمعهم.

هذا، ومن الملاحظ أيضاً أن هذا العنصر غير الإنساني بتبنته هذه قد أسهم
في إطالة البناء، في اتجاه المعنى، وأسهم في تحقيق تفعيلة عروض البسيط،
فاستقام الوزن، وصحت القافية، في إطار ما أريده من معنى نصيّ.

المطلب الخامس

تبعة العطف وتعدده، ودوره في النص

لما كان العطف ينقسم إلى عطف بيان وعطف نسق، فأشير إلى أن ما ورد
بديوان أبي سعد كان من عطف النسق، سواء أكان غير متعدد أم متعددًا في بيتٍ
واحدٍ أم مستغرقاً بيتين أو عدة أبيات، وسواء أكان مما يقتضي التshireek المطلق،
حيث العطف بالواو، وأو، والفاء، وأم، ثم، أم كان مما يقتضي التshireek في الألف
فقط، حيث العطف بالحرف (لكن).

هذا، ومن الملاحظ أن استثمار العطف قد جاء في الحشو صدرًا وعجمًا، وفي
العروض والضرب، وقد شغل المعطوف عليه كثيراً من الوظائف التحويّة، فشمل

(١) ينظر: شرح الكافية، للراضي ٢ / ٣٧٣، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ت ٦٧٢ هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، مصر، الطبعة العشرون، ١٩٨٠ م، ٣ / ٢١٠ - ٢٠٩.

المُبتدأ وخبره، واسم النَّاسِخ وخبره، والفاعل، والمفعول به، والحال، والجرور بالحرف الذي أُعيد مع المعطوف أو لم يُعد، والمضاف إليه. ومن الملاحظ أن العطف يتبعيته وتعدده قد فاق التوابع جميعاً في ديوان (تقسيم على زوارق الأيام)، وهو ما ينسحب على شعر أبي سعد كله، وهو ما يمكن التمثيل له فيما يلي:

أولاً - العطف تابعاً:

من المعلوم في الدرس النحوي أن العطف بحروف العطف يجعلها تقسماً إلى ما يقتضي الشريك المطلق في اللفظ والمعنى؛ أي الشريك في الإعراب والحكم، كما هو الحال في الواو، وثم، والفاء، وحتى، وأم، وأؤ، مع ملاحظة أن (أم، وأؤ) تكونان للشريك المطلق إذا لم يقيدا الإضراب، وإن كانت للشريك فقط. والقسم الآخر ما يقتضي الشريك في اللفظ فقط، أي الشريك في الإعراب فقط دون الحكم، كما هو الحال مع (بل، ولا، ولكن) (١). لاما كان ذلك كذلك، وكنت قد أشرت آنفاً إلى أن حروف العطف في ديوان أبي سعد تتحصر في (الواو، وأؤ، والفاء، وأم، وثم، ولكن)، فإن فيما يلي تمثيلاً للعطف ببعضها - مكتفياً بالإحالة على بعضها الآخر نفعاً للإطاللة - حالة كون المعطوف غير متعذر.

أ - العطف بالواو:

من الملاحظ أن مواضع العطف بالواو لدى يوسف أبي سعد قد اتسمت بالعطف بدون حرف جر أو نفي، وبالعطف مع تكرار حرف الجر، وبالعطف مع عدم تكرار حرف الجر، وبالعطف مع تكرار حرف النفي. فيما يتصل بالصور **الثلاث الأولى**، يمثلها قوله (٢): (من البسيط)

(١) ينظر: شرح الكافية ٢ / ٣٣٢ - ٣٣١، وشرح المفصل، ابن يعيش ٣ / ٧٤، وشرح ابن عقيل ٣ / ٣٢٥.

(٢) تقسيم على زوارق الأيام، يوسف أبو سعد ١٣ - ١٦ - ١٧، وينظر به أيضاً ٢ - ٣ / ١٢، ١٣ / ٢، ١٢ / ٣، ١٥ / ١، ١٦ / ٢، ١٧ / ٦، ٤، ١٧ / ٦، ١٩ / ٦، ٢٨ / ١، ٢٠ / ٦، ٢٩ / ٤، ٣، ٣١ / ٤، ٢٩ / ٤، ٣، ٣٢ / ٧، ٥، ٣٣ / ١، ٣٢ / ٣، ٣٢ / ٧، ٥، ٢، ٣٩ / ٣، ٣٦ / ٥، ٧٣ / ٧، ٦٦ / ٣، ٦٥ / ٦، ٦٣ / ٧، ٥٧ / ٣، ٥٠ / ٥، ٤٦ / ٧، ٤٣ / ٦، ٤١ / ٧، ٥٠، ١٤٦ / ٤، ١٣٥ / ٧، ١٢٩ / ٦، ١١١ / ٥، ١٠٥ / ٦، ٨٠ ويام التعبين، فينظر: ٣٢ / ٣٨، وأما عن العطف بالفاء، فينظر ٣ / ٧٤ حيث العطف بالفاء على جملة الشرط، وينظر ٣ / ١٢١ حيث العطف بثم عطف جملة على أخرى، وكذلك ٤، ٥ / ٥٤ حيث العطف بالحرف (لكن)، حول هذا العطف ينظر: شرح المفصل ٦٧ / ٨.

فَصُغْثُها نَعْمًا يَرْهُو بِهِ وَتَرِي
فَبَاكِري قَيْنَهُ يَا عَذْبَةَ الصُّورِ
وَلَخَنَ حُبُّ عَلَى قَيْثَارَةِ السَّهَرِ
أَمَامَ عَيْنِي فِي حَلَّيٍ وَفِي سَقْرِي
عَلَى وِسَادِ الْهَوَى فِي جَوَهِ الْعَطْرِ
وَحُبُّكِ الْمَحْضُ مُلْءُ السَّمْعِ وَالبَصَرِ
أَنْسَاكِ يَا وَاحْتِي، يَا جَنَّةَ الْعَمْرِ؟!
فِي بَحْرِ عَيْنِيكِ، فِي الْأَحْدَاقِ، وَالْحَوَرِ؟!

عَشِقْتُ هَذِي الرُّؤَى طِفْلًا وَهِمْتُ بِهَا
جَعَلْتُ قَلْبِي لِهَذَا الْعِشْقِ مُتَكَأً
رِفِي عَلَى خَاطِرِي طَيفًا يُعَانِقُنِي
وَأَنْتِ يَا شَفَقَ الْأَخْلَامِ مُشْرِقَةً
وَأَنْتِ وَسْطَ شِعَافِ الْقَلْبِ سَاكِنَةً
أَمْحَضْتِكِ الْوَدَّ لَا أَلْوِي عَلَى بَلْدَ
أَبْعَدْ هَذَا الْمَدَى وَالْحُبُّ مُؤْتَلِقًّا
أَمَا تَرْيَنَ أَحَاسِيْسِي مُسَافِرَةً

فِيهِذِهِ الْأَبِيَاتُ مِنْ قَصِيدَةِ (عِشْقُ الْوَاحَةِ الْخَضْرَاءِ)، تَسِيقُهَا مُبَاشِرَةً أَرْبَعَةُ أَبِيَاتٍ
حِيثُ بِدَايَةُ الْقَصِيدَةِ، سَنَذْكُرُهَا فِيمَا بَعْدُ، صَدَّ الْتَّمَثِيلِ لِتَعْدِيْدِ الْمَعْطُوفِ بِالْوَاوِ، وَفِيهَا
يُشَيرُ إِلَى عِشْقِهِ وَاحْتِهِ الْخَضْرَاءِ مُنْذُ صِغْرِهِ، مُعَدّاً مَا أَحَبَّهُ.

أَمَّا الْأَبِيَاتُ الَّتِي مَعَنَا، فَيُشَيرُ فِيهَا إِلَى أَنَّهُ قد عَشِقَ مَا تَقدَّمُ فِي الْأَبِيَاتِ مِنْ
مَظَاهِرِ الْجَمَالِ، مُنْذُ طَفُولَتِهِ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ مُتَكَأً هَذَا الْعِشْقُ، ثُمَّ يَخَاطِبُ هَذِهِ الْوَاحَةَ
بِأَنَّهَا أَمَامَ عَيْنِهِ، فِي حَلَّهِ وَتَرْحَالِهِ، وَنَذَكَرُ مِنْ خِلَالِ الْجُمْلَةِ الْأَسْمَيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ الْمُثَبَّتَةِ
(أَنْتِ يَا شَفَقَ الْأَخْلَامِ مُشْرِقَةً أَمَامَ عَيْنِي فِي حَلَّيٍ وَفِي سَقْرِي) الْمُتَخَذِّدَةِ نَمَطِ
(الْمُبْتَدَأُ + الْمَنَادِيُّ الْمَضَافُ + الْخَبَرُ + ظَرْفُ الْمَكَانِ الْمَضَافُ + الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ +
الْمَعْطُوفُ الْمَجْرُورُ)، وَهُوَ مَا يَتَضَرُّعُ مِنْ خِلَالِهِ أَنَّ الشَّاعِرَ لَكِ يَنْصُّ عَلَى
الْتَّشْرِيكِ فِي الْحُكْمِ - وَكَوْنِ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ غَيْرَ مُطْلَقٍ فِي اِنْفَرَادِهِ بِالْحُكْمِ الَّذِي
يَكُونُ لَهُ (١)، أَيْ كَوْنُهَا أَمَامَهُ مُشْرِقَةً فِي إِقَامَتِهِ وَسَفَرِهِ - اسْتَثْمَرَ الْعَطْفَ بِالْوَاوِ
لِلْدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا أَعَادَ حَرْفَ الْجَرِّ (فِي) مَعِ الْمَعْطُوفِ، وَهُوَ الْأَمْزَرُ الَّذِي أَسْنَهُمْ

(١) يُنْظَرُ: بِنَاءُ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، دِمْحَمْدُ حَمَاسَةُ ص ٦٧

في إطالة بناء الجملة باتجاه القافية، فاستقام وزن البسيط، وصحت القافية، برويها المراد، وترابط المعطوف مع المعطوف عليه، من خلال العلامة الإعرابية.
ويتابع الشاعر حديثه مع الواحة مُشيرًا إلى أنها مستقرة وسط شغاف قلبه متذكرة الهوى

وسادةً. ولا شك في ذلك، فقد أخلص الود لها متجدداً، وللتدليل على أن حبها قد ملأ حياته نراه يلجا إلى عطف (البصر) على (السمع) بالواو، من خلال الجملة الاسمية الخبرية المثبتة (وحبك المخصوص ملء السمع والبصر) المتذكرة نمط (المبتدأ المضاف + النعت + الخبر المضاف + المعطوف بالواو)، وهو ما يتضح من خلاله أن الشاعر أشرك المعطوف (البصر) مع المعطوف عليه (السمع) في حكم المثلث بالحبّ الخالص، فكان أثره في المعنى، بجانب أثره في الوزن والقافية، وبعد ذلك يستفهم استفهاماً مضمونه أنه لن يتساها بعد هذا الزمن، لاسيما أن الحب متألق. هذا، ويواصل استفهامه وتعجبه مفيدةً أن أحاسيسه تملأ عينيه، من خلال الجملة الطلبية الفعلية (أما ترين أحاسيسني مسافرة في بحر عينيك، في الأحذاق، والحر؟!) التي يتضح من خلالها أنه لكي يتصل على إشراك المعطوف مع المعطوف عليه المجرور بحرف الجر (في الأحذاق) في حكم إبحار أحاسيسه (١)، أتى بالواو العاطفة الدلالية على ذلك، فتحقق ما أراده، واستطال البناء، وترابط المعطوف مع المعطوف عليه، واستقام الوزن، وصحت القافية، برويها المراد، في إطار ما أريده من معنى نصيٍّ.

نأتي إلى الصورة الرابعة حيث العطف بالواو مع النفي، فيما ثلثها قول أبي سعد

(٢): (من الرمل)

باسقات النخل تاجا للبلاد

انزكوا الأشجار تنمو ودعوا

(١) هنا أذكر بأنه لو كان المعطوف عليه ضميرًا مجرورًا، فلا يجوز العطف عليه من غير إعادة الجار: ينظر: شرح الكافية، للرضي ٢ / ٣٣٤، وشرح المفصل، لابن يعيش ٥١/٢، وشرح التسهيل، لابن مالك، ٢٥٦/٢، وشرح الأشموني ٤/٥٣٥.

(٢) ينظر: تقسيم على زوارق الأيام، يوسف أبو سعد ٥ - ٦ / ٢٤، ويتذكر به أيضًا ٣ / ٤٣.

فَجَمَالُ الْأَرْضِ فِي مَرْزُوعِهَا
لَيْسَ فِي نَقْشٍ وَلَا قَصْرٍ مُشَادٍ
فَهَذَا الْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ (مِنْ وَحْيِ أَسْبُوعِ الشَّجَرَةِ)، يَطْلُبُ فِيهَا مِنَ النَّاسِ أَنْ
يَحْفَظُوا عَلَى الْخُضْرَةِ، بِأَنْ يَتَرَكُوا الْأَشْجَارَ تَنْمُو، وَأَنْ يَدْعُوا النَّخْلَ مُرْتَفِعَةً فِي
عُلُوِّهَا، كَأَنَّهَا تَاجٌ، يَمْيِّزُ الْأَحْسَاءَ، مُشَيرًا إِلَى أَنَّ جَمَالَ الْأَرْضِ فِيمَا يَكْسُوْهَا مِنْ
حُضْرَةٍ وَزِرَاعَةٍ.

وَلَكِي يَبْيَّنَ عَكْسُ ذَلِكَ نِرَاهُ يَلْجُأُ إِلَى الْجُمْلَةِ الاسميَّةِ المَنْسُوَخَةِ بِنَاسِخٍ فِعلِيٍّ دَالٌّ
عَلَى النَّفِيِّ، مَعَ الْعَطْفِ عَلَى خَبْرِهَا بِالْوَاوِ الْمَتَبَوِّعَةِ بِالنَّفِيِّ أَيْضًا، مِنْ خَلَلِ
قُولِهِ: (لَيْسَ فِي نَقْشٍ وَلَا قَصْرٍ مُشَادٍ)، وَهُوَ مَا يَتَضَعُّ مِنْ خِلَالِهِ اسْتِثْمَارُهُ الْعَطْفِ
بِالْوَاوِ الْمَتَبَوِّعَةِ بِالنَّفِيِّ؛ لِدَلَالَةِ عَلَى أَنَّ جَمَالَ الْأَرْضِ لَيْسَ فِي النَّقْوَشِ أَوِ الْقُصُورِ
الْمُشَيَّدَةِ، بَعْدِ إِبَادَةِ الْأَشْجَارِ وَالنَّخْلِ، وَهُوَ مَا أَفَادَ نَفِيِّ اشْتِراكِ النَّقْوَشِ وَالْقُصُورِ
الْمُشَيَّدَةِ فِي كَوْنِهِمَا مِمَّا تَجْمَلُ بِهِ الْأَرْضُ عَلَى أَنْقَاضِ الْأَشْجَارِ وَالنَّخْلِ، بِجَانِبِ
إِسْهَامِ هَذَا الْعَطْفِ فِي اسْتِطَالَةِ الْبَنَاءِ وَاسْتِقَامَةِ الْوَزْنِ وَصِحَّةِ الْفَاقِيَّةِ.

ب - الْعَطْفُ بِأَوْ :

جَاءَ الْعَطْفُ بِالْحَرْفِ (أَوْ) مَعَ تَكْرَارِ حَرْفِ الْجَرِّ، وَبِدُونِ تَكْرَارِهِ، وَبِدُونِهِ مُطْلَقاً،
كَمَا كَانَ عَاطِفَاً جُمْلَةً عَلَى جُمْلَةٍ، أَوْ شِبَهَ جُمْلَةً عَلَى أُخْرَى، وَذَلِكَ نَحْوُ قُولِهِ
(١): (مِنَ الْبَسيطِ)

لَسْنَا دُعَاةً حُرُوبٍ أَوْ أُولَي طَمَعٍ
وَمَا بِنَا مِنْ هَوَى بِالشَّرِّ مُقْتَرِنٍ
لِكُنْ هُدَاءً لِدِينِ اللهِ غَایَتَنَا
فَهَذَا الْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ (سَطُورٌ عَلَى جَبَيْنِ الْوَطْنِ)، يُشَيِّرُ فِيهِمَا الشَّاعِرُ إِلَى
أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَيْسُوا دُعاةً حُرُوبٍ أَوْ أَصْحَابَ أَطْمَاعٍ فِي أَمْلَاكِ غَيْرِهِمْ، وَفِي سَبِيلِ
النَّصْرِ عَلَى ذَلِكَ يَلْجُأُ إِلَى الْعَطْفِ بِاسْتِخدَامِ (أَوْ) عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ المَنْفِيِّ، مِنْ
خِلَالِ الْجُمْلَةِ الاسميَّةِ-المَنْسُوَخَةِ بِالْفِعْلِ النَّاقِصِ النَّاسِخِ الدَّالِّ عَلَى النَّفِيِّ (لَيْسَ)،

(١) يُنْتَرُ: السَّابِقُ ٤ / ٥٤، وَيُنْتَرُ بِهِ أَيْضًا ٧ / ١٣، ٣٩ / ٤، ٢٣ / ٤، ١٦ / ٣، ٤ / ٢، ٤٠ / ٨، ٤١ / ٥، ٥٥ / ٧ - ٦، ٥٣ / ٨، ٤٩ / ٨، ٤٢ / ٥.

في قوله: (لَسْنَا دُعَاءُ حَرْبٍ أَوْ أُولَى طَمَعٍ) – المُتَّخِذَةُ نَمَطٌ (ليس + اسمها + خبرها + المضاف إليه + حرف العطف "أو" + المعطوف + المضاف إليه)، وهو ما يتضح من خلاله النص على نفي تشاريكي اتصافهم بأنهم دُعَاءُ حَرْبٍ أَوْ أَصْحَابُ طَمَعٍ، حيث إنَّ (أَوْ) هنا بمعنى (الواو)، وبجانب ذلك تلاحظ إسهام العطف في إطالبة البناء في اتجاه المعنى واستقامته وزن البسيط وصحة القافية.

هذا، ويُكمل الشاعر مُشيرًا إلى أنه ليس لديهم نزوع إلى الشر، ويعطف على النفي وليس مستخدماً (لكن)، في قوله (لَكِنْ هُدَاءُ لِدِينِ اللهِ) حيث إنَّ المعطوف بها (هداءً) مفرد، وهي غير مقترنة بالواو، وأفادت تقرير الحكم لما قبلها، وإثبات نقضيه لما بعدها، فهم ليسوا دُعَاءُ حَرْبٍ أَوْ أُولَى طَمَعٍ، لكنهم هُدَاءُ لِدِينِ اللهِ، غایتهم القضاء على الطغاة، وهو ما أنسَهم أيضًا في توافق البناء التحتوي مع النسج الشعري، والتَّمَاسُكُ بين المعطوف والمعطوف عليه، ذلك التَّمَاسُكُ الذي عبر عنه دي بو جراند بأنه "يتربَّ على إجراءاتٍ، تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع، يؤدي السائق منها إلى اللاحق" (١).

ومن عَطْفِ الْجُمْلَةِ بِأَوْ قَوْلِهِ (٢): (من البسيط)

صَالَّوْا عَلَى الشِّعْرِ هَدَامًا وَمُنْتَقِمًا أَعْيَتْ طَلَاسِمُهَا مَنْ حَلَّ أَوْ نَظَمَا وَلَيْسَ ذاكَ الَّذِي إِنْ قُتْلَةَ فَهِمَا فَهَذِهِ الْأَبْيَاثُ مِنْ قَصِيدَةٍ (فِي مَوْكِبِ النُّورِ) يُشَيرُ فِيهَا إِلَى أَنَّ ثَمَةَ أَنَاسًا قد سَطَوا عَلَى الشِّعْرِ هَدَمًا وَانْتَقَمُوا، وَجَرَّدُوا الشِّعْرَ العُمُودِيَّ مِنْ مُقْوِمَاتِهِ، فَصَارَ كَلَامًا	لَكِنْ رَهْطًا - كَفَانا - الله شَرَّاهُمْ - وَجَرَّدُوا الشِّعْرَ حَتَّى صَارَ هَمْهَمَةً فَالشِّعْرُ - في رَأِيهِمْ - حَدْسٌ وَأَحْجِيَّةٌ
--	--

خفياً غير مفهوم، استغصى على الناس؛ ولذلك نراه يلجأ إلى عَطْفِ الْجُمْلَةِ على الأخرى باستخدام (أَوْ)، في قوله: (أَعْيَتْ طَلَاسِمُهَا مَنْ حَلَّ أَوْ نَظَمَاً)، وهي جملة

(١) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بو جراند، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ١٠٣.

(٢) يُنظر: تقسيم على زوارق الأيام، يوسف أبو سعد ٤ / ٣٩، وينظر ٧ / ١٣، ٢ / ٤٠، ٨ / ١٣، ٥ / ٤٢، ٤٢ / ٥، ٤١ / ٦، ٤٩ / ٨، ٥٥ / ٧.

فعليةٌ خبريةٌ مثبتةٌ متذكرةٌ نَمَطُ (الفعل الماضي + الفاعل المضاف + المفعول به + جملة الصلة "فعل + فاعل مستتر" + جملة فعلية معطوفة)، وهو ما يتضح من خلاله أنَّ (أو) بمعنى (الواو)؛ للدلالة على إشراك المعطوف "نظماً" في الحكم مع المعطوف عليه (من حل)؛ لافادة أنَّ طلاسمَ ما يزعمُ أنه شعر قد أعيث في فهمها من حل مُستمعاً أو ناظماً الشعر.

ثانياً - المعطوف تابعاً متعددًا:

لما كان المعطوف - فيما سبق من عرض - غير متعدد، مسهماً في الترابط النصيّ، وغير ذلك، مما وضح آنفًا، فإنه في حالة كونه متعددًا يزداد معه الترابط النصيّ على المستوى الرئيسي والأقصى، ويلاحظ على مواضع تعدد المعطوف أنها كانت باستخدام الواو فقط، وذلك نحو قوله (١): (من الخيف)

عشقت يا وأحني الخضراء من صغرى
والزهر متنظماً، والماء منسوباً
ومجلس الأدب المعقود محفلة
والمنهل العذب من حبٍ ومن حلقٍ

ميس النخيل، وهمس الطير للشجر
في جدولٍ ثملٍ، يزدان بالذرٍ
في عسجد الشمسِ، أو في فضةِ القمرِ
يتثالُ من مهجِ غراءِ كال قطرٍ

فهذه الأبيات من قصيدة (عشق لواحة الخضراء) يشير فيها إلى أنه منذ صغره أحب تهادي النخيل، ثم يعطُّ بالواو مشركاً المعطوف (همس الطير) في حكم المعطوف عليه (ميس النخيل) وهو الحبُّ منذ الصغرِ. ولم يقتصر الأمر على ذلك، على نحو ما سبق من عطفٍ، بل إنَّ المعطوف بالواو هنا قد تعدد (الزهر، الماء، مجلس الأدب، المنهل) فاستعرقَ عدَّة أبياتٍ، تخللها العطفُ بالحرفِ (أو) في قوله: (في عسجد الشمسِ، أو في فضةِ القمرِ).

وقد أدى ذلك إلى استطاله بناء هذه الجملة الفعلية الخبرية المثبتة (عشقت يا وأحني الخضراء من صغرى ميس النخيل، وهمس الطير للشجر والزهر متنظماً،

(١) ينظر: السابق ١ - ٤ / ١٦، ويُنظر به أيضًا ٦ - ٧ / ١٧، ٦ / ٣٦، ٦ / ٤٥، ٢ - ٣ / ٤٦، ٣ / ٥٧، ٤ / ٦١، ٢ / ٧٤ - ١، ٢ / ٨ - ٣ / ١١٥، ٢ / ٨٩ - ١.

والماء مُنسِكِبًا... ومَجْلِسِ الأَدْبِ... والمَنْهَلُ العَذْبَ) الْمُتَّخِذَةُ نَمَطًا (الفِعْلُ الْمَاضِي + الفَاعِلُ + المَنَادِيُ المُضَافُ المُنْعَوْتُ + الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ + الْمَفْعُولُ بِهِ الْمُضَافُ + الْمَعْطُوفُ الْمُضَافُ + الْمَعْطُوفُ الْمُتَكَرَّرُ).

وهو ما يَتَضَرُّعُ مِنْ خِلَالِهِ أَنَّ الشَّاعِرَ قد أَشْرَكَ كُلَّاً مِنْ (تَهَادِي النَّحْيِ، وَهَمْسِ الطَّيْرِ، وَالرَّهْرِ مُنْتَظِمًا، وَالماءِ مُنسِكِبًا، ومَجْلِسِ الأَدْبِ، والمَنْهَلُ العَذْبَ) فِي حُبِّهِ مُنْذُ صِغَرِهِ، وَهُوَ مَا يَدْلُّ عَلَى أَنَّ النَّظَامَ النَّحْوِيَّ قَدْ أَسْعَفَ الشَّاعِرَ بِالْلَّوْفَاءِ بِمُرَادِهِ، مُتَازِرًا مَعَ النَّسْجِ الشَّعْرِيِّ، فَاسْتَقَامَ وَزُنُّ الْخَفِيفِ، وَصَحَّتْ الْقَافِيَّةُ، بِرَوْيِهَا الْمُرَادُ، فِي إِطَارِ الْمَعْنَى النَّصِّيِّ الَّذِي تَمَاسَكَ رَأْسِيًّا وَأَفْقِيًّا، مِنْ خِلَالِ حَرْفِ الْعَطْفِ.

وإِنَّ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى شَيْءٍ، فَإِنَّمَا يَدْلُّ عَلَى أَنَّنَا فِي تَعْلِيمِنَا قَوَاعِدَ النَّحْوِ، يَنْبَغِي بِيَانِ فَاعْلَيْتِهَا فِي الْنَّصُوصِ، لَاسِيَّمَا تَعُدُّ الْمَعْطُوفِ، عَلَى تَحْوِي مَا سَبَقَ مِنْ تَنَاؤلٍ، مَعَ الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ هَذَا التَّعُدُّ لَا يَكُونُ اعْتَباً، بَلْ لِغَرَضِ مَقْصُودٍ قَصْدًا، وَعَلَى الْمُتَلَقِّي أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَشْكِيلِ الْمَعْنَى النَّصِّيِّ مَعَ الْمُبْدِعِ، بِإِكْمَالِهِ تِلْكَ الْفَرَاغَاتِ، أَوْ بِفَكِّهِ شَفَرَاتِ النَّصِّ، وَبِيَانِ دَوْرِ الْعَطْفِ فِي التَّمَاسِكِ النَّصِّيِّ.

المَطَابُ السَّادِسُ

تَبَعِيَّةُ الْبَدْلِ، وَدَوْرُهُ فِي النَّصِّ

مِنَ الْمَعْلُومِ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ أَنَّ الْبَدْلَ تَابِعٌ يُقْيِدُ الْمُبْدَلَ مِنْهُ، وَذَلِكَ "لَأَنَّ الْبَدْلَ لَا يَخْلُو عَنْ بَيَانٍ أَوْ إِيْضَاحٍ، وَإِنَّ لَمْ يَكُنْ الْمَقْصُودُ بِالْذَّاتِ ذَلِكَ" (١). وَلَعَلَّهُ مِنَ الْمَفِيدِ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ التَّوَابِعُ الْأُخْرَى مُكَمَّلَاتٍ لِلْمَقْصُودِ بِالْحُكْمِ، فَإِنَّ الْبَدْلَ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالْحُكْمِ، وَيَكُونُ الْمُبْدَلُ مِنْهُ مَعْبُرًا إِلَيْهِ، سَوَاءً أَكَانَ الْبَدْلُ مَطَابِقًا... أَمْ بَدْلَ بَعْضٍ مِنْ كُلِّ... أَمْ بَدْلَ اشْتِمَال" (٢). هَذَا، وَمِنْ خِلَالِ اسْتِرَقَائِيِّ دِيْوَانَ (تَقَاسِيمِ

(١) حاشية الصَّبَانَ ٣ / ١٨٣، وَالْمُقرَّبُ، ابْنُ عَصْفُورٍ، تَحْقِيقُ أَحْمَدِ عَبْدِ الْسَّتَّارِ الْجَوَارِيِّ، بَغْدَادُ، عَرَاقٌ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، ١٣٩٢ھ - ١٩٧٢م، ص ٢٤٢، وَبَنَاءُ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. مُحَمَّدُ حَمَاسَةُ ص ٦٦ - ٦٧.

(٢) بَنَاءُ الْجُمْلَةِ الْغَرَبِيَّةِ ص ٦٧، وَيُنْتَظَرُ: حاشية الصَّبَانَ ٣ / ١٨٣ - ١٨٤.

على زوارق الأيام) تبيّن لي أنَّ البدل مِمَّا استثمره عبد اللطيف أبو سعد في شِعره ، سواءً أكان بدلًا مُطابقًا أم بدل بعضٍ مِنْ كُلّ ، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

أولاً - بدل الكل من الكل أو التبدل المطابق:

شاعَ البدلُ المُطابِقُ لدِي الشَّاعِرِ، مُتَفَوِّقًا عَلَى غَيْرِهِ، سُواهُ أَكَانْ بَدْلًا مِنْ اسْمٍ صَرِيحٍ قَبْلَهُ أَمْ كَانْ بَدْلًا مِنْ اسْمِ الإِشَارَةِ، فَقَدْ بَلَغَتْ مَوَاضِعُهُ بِالْدِيوَانِ خَمْسَةً عَشَرَ مَوَاضِعًا (١)، مِنْهَا تِسْعَةً مَوَاضِعَ بَعْدَ أَسْمَاءِ الإِشَارَةِ (هَذَا، هَذِهِ، تِلْكَ)، وَخَمْسَةً مَوَاضِعَ بَعْدَ الاسمِ الصَّرِيحِ، وَمَوَاضِعَ أُبَدِلَتْ فِيهِ الْجُمْلَةُ مِنَ الْجُمْلَةِ، وَيُمْكِنُ التَّمَثِيلُ لِذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ التَّالِيِّ:

أ - فيما يَتَسَلِّلُ بِمَجِيءِ البدلِ المُطابِقِ بَعْدَ اسْمِ الإِشَارَةِ تُمَثَّلُ بِقولِهِ (٢): (منَ الخيف)

سَكَتَ الْقَوْمُ وَالْحِجَارَةُ لَبَّتْ
هَذِهِ الْأَرْضُ فِي لَهِبِ أَسَاهَا
فَهَذَا الْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةِ (أشعلوها) يَرَى فِي الْأَوَّلِ مِنْهُمَا أَنَّهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي
سَكَتَ فِيهِ الْقَوْمُ عَنْ قَتَالِ الصَّهَابَيْنِ، أَجَابَتِ الْحِجَارَةُ نَدَاءَ الْحَقِّ بِتَخْلِيصِ الْمَسْجِدِ
الْأَقْصِيِّ مِنْ بِرَاثَنِ الْيَهُودِ، وَتَطَلَّعَتْ لِلْقَتَالِ.

وفي الْبَيْتِ الثَّانِي يُشَيِّرُ بِاسْمِ الإِشَارَةِ (هَذَا)، مِنْ خَلَلِ الْجُمْلَةِ الاسمِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ **المُثَبَّتِيَّةِ المُتَّخِذَةِ نَمَطًا** (المبتدأ + البدل + الجار والمجرور + المضاف إِلَيْهِ المُتَكَرَّرُ + الخبر "جملة اسمية منسوخة بناسخٍ فعلٍ") (أَصَبَحَ + اسْمَهَا + خبرها) + جارٌ ومجرورٌ + مضافٌ إِلَيْهِ)، وهو ما يَتَضَعُّ مِنْ خَلَالِهَا أَنَّهُ لَوْ قَالَ: (هَذِهِ فِي لَهِبِ أَسَاهَا)، بَدْوِنِ

(١) يُنْظَرُ تقاسيم على زوارق الأيام، يوسف أبو سعد ٤ / ٢٤، ٣ / ١٧، ٥ / ١٦، ٤ / ٢٣، ٥ / ١٧، ٥ / ١٦، ٤ / ٢٨، ٢ / ٤٦، ٢ / ٤٨، ٣ / ٧٠، ٣ / ٧٧، ٥ / ٨٧، ٤ / ٩٣، ٥ / ٩٨، ٨ / ٩٣، ٤ / ١١٣، ٤ / ١٣١، ٢ / ١٢٨.

(٢) السَّابِقُ ٥ / ٧٧، وَيُنْظَرُ أَيْضًا ٥ / ١٦، ٥ / ١٧، ٤ / ٢٤، ٤ / ٤٦، ٢ / ٤٨، ٢ / ٤٦، ٢ / ٦٣، ٣ / ٦٣، ٧٠ / ٩٣، ٤ / ١١٣، وَيُنْظَرُ: الشَّكْلُ وَالدَّلَالَةُ "دراسة نحوية للفظ والمعنى"، د. عبد السلام السيد حامد، ص ١٨٦ - ١٨٧ حيث الحديث عن احتياج اسم الإشارة للبدل لإزالة الإبهام فيه، وكذلك ١٥٧ - ١٥٩.

كلمة (الأرض)، لـما أبان الشاعر عن مـراده، ولـتطرق التـوهم إلى المـتفقـي، ولو عـطفـ قـائلاً: (هذه، والأرض في لهـيبـ أـسـاهـاـ أـصـبـحـتـ) أو قال: (هـذا، والأـرـضـ في لهـيبـ أـسـاهـاـ أـصـبـحـتـ) لـلتـبـسـ الأمـرـ، ولـتوهـمـ المـخـاطـبـ أـنـ الثـانـيـ (الأـرـضـ) غـيـرـ الـأـوـلـ المـتـقـدـمـ المـشـارـ إـلـيـهـ بـالـمـبـتـدـأـ (هـذـهـ) أو (هـذـهـ) ذـيـ الـخـبـرـ المـحـذـفـ المـقـدـرـ بـقـولـنـاـ: هـذـاـ ثـابـتـ ؛ وـمـنـ ثـمـ جـاءـ بـالـبـدـلـ المـطـابـقـ أوـ بـدـلـ الـكـلـ مـنـ الـكـلـ (الأـرـضـ) فـراـزـاـ مـنـ الـلـبـسـ وـطـلـبـاـ لـإـيجـازـ (١). وـبـنـاءـ عـلـىـ ذـلـكـ ظـهـرـ مـقـصـودـ الشـاعـرـ أـنـ الـأـرـضـ الـمـشـارـ إـلـيـهـ - عـلـىـ الرـغـمـ مـمـاـ تـعـانـيـهـ مـنـ الـأـسـىـ - قدـ أـصـبـحـتـ مـسـرـحـاـ لـكـثـيرـ مـنـ الـهـزـلـ أوـ الـجـدـوبـ وـالـيـئـسـ فـيـ كـلـ مـنـاجـيـ الـحـيـاةـ.

هـذـاـ، وـبـجـانـبـ كـوـنـ الـبـدـلـ قـدـ أـفـادـ فـيـ إـرـالـةـ التـوـهـمـ وـالـفـرـارـ مـنـ الـلـبـسـ وـطـلـبـ الإـيجـازـ - وـهـوـ مـاـ يـبـغـيـ رـبـطـهـ بـسـيـاقـ الـبـدـلـ أوـ الـمـعـنـىـ النـصـيـ، فـيـ تـعـلـيمـنـاـ قـوـاعـدـ لـطـلـبـنـاـ - فـإـنـهـ مـنـ خـلـالـ جـمـلـتـهـ يـلـاحـظـ أـنـهـ قـدـ أـدـىـ إـلـىـ طـوـلـ الـبـنـاءـ، فـيـمـاـ يـعـرـفـ بـطـوـلـ التـبـعـيـةـ، وـهـوـ مـاـ تـرـتـبـ عـلـيـهـ اـسـقـامـةـ وـزـنـ الـخـفـيفـ، وـصـحـّـةـ الـقـافـيـةـ بـرـوـيـهـاـ الـمـرـادـ، فـكـانـ دـلـيـلـاـ عـلـىـ مـرـوـنـةـ الـنـظـامـ الـنـحـويـ وـتـعـاـنـقـهـ مـعـ الـسـنـجـ الـشـعـريـ.

بـ _ فـيـمـاـ يـتـصـلـ بـمـجـيـءـ الـمـطـابـقـ بـعـدـ اـسـمـ غـيـرـ اـسـمـ الـإـشـارـةـ أـمـتـدـأـ

بـقـولـهـ (٢): (مـنـ الرـمـلـ)

يـمـرـأـيـاـ نـصـلـهـاـ أـدـمـىـ سـوـادـيـ شـبـحـاـ يـبـدـوـ رـهـيـبـاـ فـيـ اـمـتـدـادـ كـشـمـوخـ الصـيـدـ، أـوـ صـفـنـ الـجـيـادـ فـهـذـهـ الـأـبـيـاتـ مـنـ قـصـيـدـةـ (مـنـ وـحـيـ أـسـبـوـعـ الـشـجـرـةـ)، يـخـاطـبـ فـيـهـاـ أـبـنـاءـ الـأـحـسـاءـ بـأـنـ نـفـسـهـ قـدـ أـفـزـعـتـ بـمـاـ رـأـتـهـ مـنـ أـمـورـ، مـنـ شـدـتـهـاـ أـدـمـتـ سـوـادـ عـيـنـيـهـ؛ لـحـزـنـهـ الشـدـيدـ، وـحـدـتـهـاـ الـتـيـ تـشـبـهـ التـحـشـيـ، فـقـدـ رـأـىـ عـلـىـ مـقـرـيـةـ مـنـهـ جـسـمـاـ طـوـيـلـاـ مـرـعـبـاـ فـيـ اـمـتـدـادـهـ.	يـاـ بـنـيـ الـأـحـسـاءـ نـفـسـيـ رـوـعـتـ أـبـصـرـتـ عـيـنـيـ عـلـىـ مـقـرـيـةـ نـخـلـةـ فـيـ عـزـلـةـ شـامـخـةـ
---	---

(١) يـتـنـظـرـ: شـرـحـ الـمـفـصـلـ، ابنـ يـعـيشـ ٦٤ / ٣، وـالـنـخـوـ الـوـافـيـ، عـبـاسـ حـسـنـ، ٦٦٥ / ٣.
 (٢) تقـاسـيمـ عـلـىـ زـوـارـقـ الـأـيـامـ، يـوـسـفـ أـبـوـ سـعـدـ ٤ / ٢٣، ٣ / ٢٨، ٥ / ٤ـ، وـيـتـنـظـرـ بـهـ أـيـضاـ ٤ / ١٣١، ٧ / ٩٨، ٨٧، ٨٧ / ٤ـ.

ولمَا كان السكوت عند هذا الحد يُفضي بـتطرق التوهم إلى ذهن المُتلقي، ويؤدي إلى اللبس، فكان لا بد من إزالة ذلك الأمر، من خلال النص على المقصود بالحكم (نَخْلَة)، في الجملة الفعلية الخبرية المثبتة (أَبْصَرْتُ عَيْنِي عَلَى مَقْرَبَةٍ شَبَّحَا يَبْدُو رَهِيبًا فِي امْتِدَادِ، نَخْلَةٌ فِي عَزْلَةٍ شَامِخَةً) المُتَّخِذَة نَمَطَ (الفعل + الفاعل المضاف+الجار والمجرور + المفعول به + نعت" فعل + فاعل + حال + جار مجرور" + بدل مطابق)، وهو ما يتضح من خلاله أنه قد أثبتت حكم الرؤية للمتبوع (شَبَّحَا)، فكان هذا الحكم بمثابة تمهيد للتابع (نَخْلَة) الذي أتى بعد ذلك، وكذلك كان بمثابة توجيه للنفس لاستقباله بشوقٍ ولهفةٍ.

ولمَا كان ذلك كذلك، فكان حكم الرؤية قد ذكر مررتين، وفي هذا تقوية الحكم وتوكيد وإزالة لأي توهم قد يلحق بالمبدل منه (١)، وهو ما ينبغي بيانه في تعليم قواعد النحو في قاعات الدرس المختلفة، من خلال النصوص.

ومن الجدير بالذكر أنه لو عطف قائلاً: (أَبْصَرْتُ عَيْنِي عَلَى مَقْرَبَةٍ شَبَّحَا يَبْدُو رَهِيبًا فِي امْتِدَادِ، وَنَخْلَةٌ فِي عَزْلَةٍ شَامِخَةً) لأنَّه لاتنس الأَمرُ، ولتوهم المُتلقي أنَّ الثاني (نَخْلَة) غير الأول (شَبَّحَا)؛ ومن ثم جاء ببدل الكل مِن الكل (نَخْلَة) - المترابط مع المبدل منه لفظياً عن طريق العالمة الإعرابية - فراراً من اللبس وطلبًا للإيجاز؛ ومن ثم اتضح أنَّ مقصود الشاعر بالشبح أنه نَخْلَة مَعْرُولَة طولية، قد غالتها أيادي مُعْتَدِية، فجرَّتها من معالم الحياة والحضرَة، فبدأت سوداء، لاسيما أنه قالَ بَعْدَ ذلك:

في دروب البُؤسِ غالٰتها العوادي
فَغَدَتْ تَغْفُو بِئْوَبٍ مِنْ سوادِ
رَنَحٰتها فَشَكَتْ سَهْمَ التَّمَادي

نَظَرَتْ جَارٰتها مَطْرُوحَةً
جَرَدَّتها مِنْ بُرُودِ حَسْنَتْ
فَاعْتَرَّتها مِنْ أَسَاها هَرَّةً

(١) يُنظر: شرح المفصل، ابن يعيش ٣ / ٦٣ - ٦٤، والمقارب، ابن عصفور، ص ٢٤٢، والنحو الوفي، عباس حسن، ٣ / ٦٦٥، وقد أكمل بقوله: "ولأجل هذا لا يصح أن يتحدا لفظ البديل والمبدل منه إلا إذا أفاد الثاني زيادة بيان وإيضاح، فلا يصح في مثل: يا سعد سعد أنت زعيم مُوفق - إعراب كلمة "سعد" الثانية بـالـلـا، وينظر: بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة ص ١٨٧.

كَمْ عَلَى الْأَرْضِ نَخِيلٌ أَزْهَقْتُ
وَقُصُورٍ قَدْ أَقِيمَتْ بَعْدَهَا

بِيَدِ الطَّيْشِ وَمِنْصَاعِ الْفَسَادِ!
مُوْغَلَاتٍ فِي عُلُوٍّ وَامْتِدَادٍ!

هذا، ولعله من المفيد الإشارة إلى أن هذا التابع - بجانب أثره الملحوظ في المعنى - قد أَسْهَمَ في إطالة البناء، واستقامَةِ وزن الرَّمْلِ، وصِحَّةِ القافية، في البيتين، برويها المراد، عن طريق الفصل بين البَدْلِ والمُبَدَّلِ منه بِصِفَةِ المُبَدَّلِ منه، وكذلك الفصل بِصِفَاتِ البَدْلِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، وذلك في إطار المعنى النَّصِّيِّ المراد.

وإن كان من ملاحظة من خلال هذا التحليل، فإنَّه إذا كانت التَّوابعُ الأخرى مُكملاتٍ لِلمقصود بالحُكْمِ، فإنَّ البَدْلَ هو المَقْصُودُ بِالْحُكْمِ، ويكون المُبَدَّلُ مِنْهُ مَعْبِراً إِلَيْهِ... وليس معنى كَوْنِ البَدْلِ هو المَقْصُودُ بِالْحُكْمِ أَنَّ المُبَدَّلَ مِنْهُ غَيْرُ مقصودٍ؛ لأنَّ الغرض منه أن يُذَكَّر الاسم مقصوداً بالنَّسْبَةِ بَعْدَ التَّوْطِينَ لِذِكْرِهِ بالتصريح بِتِلْكَ النَّسْبَةِ إِلَى مَا قَبْلَهُ لِإِفَادَةِ توكيدِ الْحُكْمِ وتقريرِهِ^(١)، وهذا ما التمس فيما سبق مِنْ تحليلٍ.

وهكذا، على نحو ما تقدَّم نلاحظُ أَنَّ البَدْلَ شَائِئٌ بِقِيَةِ العناصرِ غير الإسناديَّة، فكما يقولُ أستاذِي الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف "غالباً مَا تدورُ في فَلَكِ أَحَدٌ عَنْصُرٌ إِلَيْهِ، وَلَابَدُ" - لذلك - أَنْ تترابطَ مَعَ مَا تدورُ فِي فَلَكِهِ، وَتَكُونُ عَلَاقَتُهَا بِأَجْزَاءِ الْجُمْلَةِ الْأُخْرَى مِنْ خَلَلِ عَلَاقَاتِهَا التَّحْوِيَّةِ بِمَا تَرَبَّطُ بِهِ، إِذْ إِنَّ الْعَنْصُرَ غَيْرَ الإسناديِّ قَيْدٌ لِمَا يَرْتَبِطُ بِهِ... وليس مِنَ الْلَّازِمِ أَنْ تترابطَ العناصرُ غير الإسناديَّة بعضاًها مع البعض الآخر. وليس مِنَ الْلَّازِمِ أَيْضًا في كثِيرٍ مِنَ الأحيانِ - في غَيْرِ الْحَالِ وَتَمْيِيزِ النَّسْبَةِ - أَنْ ترتبطَ ارتباطاً مباشراً بِعَنْصُرِيِّ الإسنادِ معاً،

(١) إِنَاءُ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. محمد حماسة ص ٦٧، ويتذكر: شرح التصريح، الأزهرى ٢ /

بـْ تـَرـِيـَطـُ بـِمـَا هـِي مـُتـَمـَّمـَة لـَهـُ أـَوـْ تـَابـِعـَة أـَوـْ مـُقـَيـَّدـَة، وـِفـِي كـَثـِيرـِ مـِنـِ الـِـمـَوـَاضـِعـِ قـَدـِ يـَكـُونـِ مـَا
شـَمـَّمـُهـُ أـَوـْ تـَبـَعـُهـُ أـَوـْ تـَقـَيـَّدـُهـُ مـِنـِ غـَيـِرـِ عـَنـْصـَرـِي الإـِسـَنـَادـِ"(١).

ثانياً - بـِدـَلـُ الـِـبـَعـُضـِ مـِنـِ الـِـكـُلـِـ:

هـَنـَا لـَنـَ أـَخـُوـْضـَ فـِي بـِيـَانـِ حـَقـِيقـَةـِ هـَذـَا الضـَّرـِبـِ مـِنـِ الـِـبـَدـَلـِ، وـِاـشـَـتـَـرـَاطـِ الرـَّـابـِـطـِ فـِيـهـِ،
وـِغـَيـِرـِ ذـَلـِكـِ مـِمـَّا تـَكـَفـَـلـَتـِ بـِهـِ الـِـمـَـصـَـادـَـرـِ وـِالـِـمـَـرـَـاجـَـعـِ، بـِـلـَ أـَشـَـيـَـرـِ إـِلـِيـِـأـَنـَّـيـِـاسـَـقـِـرـِـيـَـثـِـ الشـَّـعـَـرـِ
مـَوـَاضـِعـِ الدـَّـرـَـاسـَـةـِ، وـِوـَجـَـدـَتـِ أـَنـِـهـِـذـَاـ الـِـبـَـدـَـلـِـ لـَمـِـيـَـرـَـدـِـ لـَـدـِـيـِـأـَبـِـيـِـسـَـعـِـ، عـَـلـِـىـِـنـَـحـِـوـِـ قـَـوـِـلـِـنـَـاــ: قـَـرـَـأــ
الـِـكـَـتـَـابـِـ نـِـصـَـفـَـهـِـ، أـَـوـِـغـَـيـِـرـِـ ذـَـلـِـكـِـ، بـِـلـَـ وـَـجـَـدـَـ مـَوـَاضـِـعـِـ لـِـجـَـمـَـلـِـ مـُـبـَـدـَـلـِـ مـِـنـِـ أـَـخـَـرـِـ إـِـبـَـدـَـالـِـ بـَـعـِـضـِـ
مـِـنـِـ كـُـلـِـ، مـِـنـِـ مـُـنـَـطـَـقـِـ أـَـنـِـ الـِـجـَـمـَـلـِـ قـَـدـِـ تـَـبـَـدـَـلـِـ إـِـبـَـدـَـالـِـ كـُـلـِـ مـِـنـِـ كـُـلـِـ أـَـوـِـ إـِـبـَـدـَـالـِـ اـشـَـتـَـمـَـالـِـ أـَـوـِـ إـِـبـَـدـَـالـِـ
بعـِـضـِـ مـِـنـِـ كـُـلـِـ، نـَـحـِـوـِـ قـَـوـِـلـِـهـِـ تـَـعـَـالـِـ: (وـَـاتـَـقـُـواـ الـِـذـِـيـِـ أـَـمـَـدـَـكـُـمـِـ بـِـمـَاـ تـَـعـَـلـَـمـُـونـِـ *ـِـ أـَـمـَـدـَـكـُـمـِـ بـِـأـَـنـَـعـَـامـِـ
وـِـبـَـنـِـينـِـ)ـِـ(٢)، وـِـذـَـلـِـكـِـ قـَـوـِـلـِـهـِـ (٣): (مـِـنـِـ الرـَـمـَـلـِـ)

أـَـكـِـرـِـمـُـوـِـاـ الـِـنـَـخـَـلـِـ فـَـكـُـمـِـ فـِـيـِـ الـِـنـَـخـَـلـِـ مـِـنـِـ جـَـوـِـادـِـ!
أـَـكـِـرـِـمـُـوـِـاـ أـَـكـِـرـِـمـُـوـِـاـ عـَـمـَـاـتـِـكـُـمـِـ
فـِـهـَـذـِـانـِـ الـِـبـَـيـَـتـِـانـِـ أـَـيـَـضـَـاـ مـِـنـِـ قـَـصـِـيـَـدـِـةـِـ (مـِـنـِـ وـَـحـِـيـِـ أـَـسـَـبـَـوـِـعـِـ الشـَـجـَـرـِـ)ـِـ يـُـخـَـاطـِـبـِـ فـِـيهـِـاـ أـَـبـَـنـَـاءـِـ
الـِـأـَـخـَـسـَـاءـِـ بـِـأـَـنـِـ يـُـكـِـرـِـمـُـوـِـاـ الـِـنـَـخـَـلـِـ؛ـِـ فـِـقـِـيـَـهـِـ عـَـطـَـاـيـَـاـ عـَـظـِـيمـَـةـِـ،ـِـ أـَـوـِـ دـَـعـَـهـِـاـ الـِـمـَـوـَـلـِـ،ـِـ عـَـزـِـ،ـِـ وـَـجـَـلـِـ،ـِـ ثـَـمـِـ
يـَـكـَـرـُـ الـِـطـَـلـَـبـِـ فـِـيـِـ الـِـبـَـيـَـتـِـ الـِـثـَـانـِـ،ـِـ مـِـنـِـ خـَـلـَـلـِـ جـَـمـَـلـِـ (أـَـكـِـرـِـمـُـوـِـاـ عـَـمـَـاـتـِـكـُـمـِـ)ـِـ التـِـيـِـ يـَـتـَـضـَـخـُـ مـِـنـِـ خـَـلـَـلـِـ
سـِـيـَـاقـِـهاــ أـَـنـِـ الضـَـمـِـيرـِـ(الـِـهـَـاءـِـ)ـِـ عـَـائـَـدـِـ عـَـلـِـ (الـِـنـَـخـَـلـِـ).ـِـ

لـِـكـِـنـِـ الشـَـاعـَـرـِـ لـَـمـِـ شـَـعـَـرـِـ أـَـنـِـ هـَـذـِـهـِـ جـَـمـَـلـِـ لـَـنـِـ تـَـقـِـيـِـ بـِـمـَـرـَـادـِـ مـِـنـِـ النـَـصـِـ عـَـلـِـ اـرـَـتـَـاطـِـ
الـِـأـَـحسـَـاءـِـ بـِـالـِـنـَـخـَـلـِـ،ـِـ كـَـأـَـنـَـهـِـ (عـَـمـَـةـِـ)ـِـ كـُـلـِـ مـِـنـِـ قـَـطـَـنـِـ هـَـذـِـهـِـ الـِـأـَـرـَـضـِـ،ـِـ أـَـتـِـيـِـ بـِـالـِـجـَـمـَـلـِـ الـِـطـَـلـَـبـِـيةـِـ
(أـَـكـِـرـِـمـُـوـِـاـ عـَـمـَـاـتـِـكـُـمـِـ)ـِـ الـِـمـُـتـَـحـَـدـِـ نـَـمـَـطـِـ (فـِـعـَـلـِـ الـِـأـَـمـَـرـِـ +ـِـ الـِـفـَـاعـَـلـِـ(وـَـاـ الـِـجـَـمـَـاعـَـةـِـ)ـِـ +ـِـ الـِـمـَـفـَـعـَـولـِـ بـِـهـِـ)
الـِـمـَـضـَـافـِـ إـِـلـِـيـِـهـِـ)،ـِـ فـَـكـَـانـَـتـِـ أـَـوـَـفـَـيـِـ مـِـنـِـ الـِـأـَـلـَـوـِـيـِـ الـِـمـَـرـَـادـِـ،ـِـ وـَـأـَـخـَـصـَـ مـِـنـَـهـِـ؛ـِـ مـِـنـِـ مـُـنـَـطـَـقـِـ أـَـنـِـ

(١) السَّابِقِ صـ ١٣٥.

(٢) سورة الشـعـراءـ، الآيـاتـ ١٣٢، ١٣٣.

(٣) تقـسيـمـ على زوارـقـ الأـيـامـ، يـوسـفـ أبو سـعـدـ. ٢٥ / ٨.

الضمير في (أكرموها) يشمل العمارات والخالات وغيرهما (١)، فنصت الثانية على أن قدر النخلة بمثابة قدر (العمدة)؛ فتقديرها كتقدير (الأب).

هذا، ولما كانت الجملة المتبقعة (أكرموها) لا محل لها من الإعراب، فإنه تجدر الإشارة إلى أن إطلاق التبعية على جملة (أكرموا عمّاكم) مجاز، إذ التابع كل ثان، أعرب بإعراب سابقه الحاصل والمتجدد (٢).

وإن أنس لا أنسى الإشارة إلى أن جملة البدل قد قوّت حكم الكرم، وأكّدته، بتعيين المراد من الطلب، وإيصاله، ورفع الاحتمال عنه. أضف إلى ذلك أن استئمار كون الجملة بدلاً قد أسمّهم أيضاً في استقامة وزن (الرمل)، في اتجاه صحة القافية، والوفاء بالمعنى النصي المراد.

(١) ينظر: حاشية الصبان، الصبان ٣ / ١٩٤ - ١٩٥، وشرح التصرير على التوضيح، خالد الأزهري، ٢٠١ / ٢، والنحو الوفي ٣ / ٦٨٦.

(٢) ينظر: شرح التصرير على التوضيح، ٢ / ٢٠١ وهناك قال أيضاً: سكتوا عن اشتراط الضمير في بدل البعض والاشتمال في الأفعال والجمل؛ لتعذر عود الضمير عليها، وينظر: النحو الوفي ٣ / ٦٨٧.

الخاتمة

هكذا نأتي إلى خاتمة البحث في دور العناصر غير الإسنادية في بناء النص لدى الشاعر يوسف أبو سعد، والذي كانت غايتها الأساسية الكشف عن الطاقات التعبيرية لهذه العناصر، ممثلة في مقيّدات الفعل، وتبعّيّة هذه العناصر وتعدّدها بشعره، وكيفية استثماره إياها. وعلى الرغم من أنَّ البحث بصورته الكائنة – بما استلزم من جهد ملموس، يلحظه القارئ الكريم – يُعدُّ نتيجة في حد ذاته، وذلك في رأيي المتواضع، فيمكن التأكيد – بجانب ما ورد في شايا البحث – على النقاط التالية:

يمتلك الشاعر يوسف عبد اللطيف أبو سعد ناصية اللغة امتلاكاً، يرافقه طول النَّفَسِ الشَّعْريِّ في أغلب قصائده، مما يجعل المُتلقّي يُقرُّ بأنَّ الشاعر لم يحصر تعبيره عن مكنونه في إطار العناصر الإسنادية وحدها. بل كانت العناصر غير الإسنادية التي اقتصر عليها البحث بارزةً في قصائده، تكمّل عملية الإسناد، معريةً عما يريد الشاعر من معنى نصيٍّ ما. وهو ما ترتب عليه التوصل إلى أنَّ الإسناد أو ما يسمى بعلاقة الإسناد – سواءً أكان طرفاً الإسناد مكتملين في الجملة أم حُذف أحدهما – يُمثّل محوراً أساسياً في النسج الشعري لدى يوسف أبي سعد، لكنه ليس كافياً وحده لِلوفاء بالمعنى المراد؛ ومن ثمَّ كانت الحاجة إلى ما عرض له البحث من عناصر غير إسنادية؛ لِإسهامه في جلاء الكفاية التّخاطبية لدى الشاعر، آسرة المُتلقّي؛ كي يُحلل النص مُتوصلًا إلى الإغراب عن براعة استخدام الشاعر اللغة في سياقاتها الفعلية.

لقد بات واضحًا أنَّ لمقيّدات الفعل أثرًا في استطالة التراكيب لدى يوسف أبي سعد، وهو الأمر نفسه فيما يُصنّطَلُ عليه بطول التَّبعيّة، وطول التَّعدُّد؛ ومن ثمَّ فهي ليست استطالة عبئية، هدفها الوصول بالتركيب إلى استقامة الوزن وصحة القافية فقط، كما يعتقد لدى بعض المارين مروز الكرام على النص. بل كانت

استطاللةً مقصودةً، فكانت وسيلةً لغايةٍ، انحصرت في الإبداع والإمتاع في أن واحدٍ، من طريق الدلالة على معنى مَا، يرثو إليه الشاعر، أي بما يتواافقُ وقصده، فكان لهذه المقيدات، متعددةً أو غير متعددة، وكذلك التوابع، تأثيرٌ على المعنى، تبعاً للتوعي المقيّد أو التابع، بجانب الإسهام في استقاماتِ الوزن وصيحة القافية، باعتبارهما جزءاً من المعنى النصيّ؛ ومن ثم باتت قناعةً لدى بأنَّ البيت في شعره غير مخلوبٍ من أجلِ القافية، بل هي المخلوبة من أجلِه، لم تأتِ لتتمَّة البيت، بل إنَّ البيت مبنيٌّ عليها، ولا يمكن الاستغناء عنها فيه.

تبين أنَّ مقيداتِ الفعلِ لدى يوسف أبي سعيد، لا يستغني عنها الكلام، فليس ذكرها وحذفها سواءً، بل كانت مقيّدةً للفعلِ، أو مبيّنةً سبباً حذفه، أو مصاحبةً حذفه، أو مؤكدةً له، أو مبيّنةً نوعه، أو كانت بمثابةٍ وعاءً للحدثِ، وغير ذلك مما يقع في إطارِ اهتمامِ الحدثِ اللغويِّ - أو المجالِ الذي ينطلقُ منه النّظامُ النّحوِيُّ - ببعضِ الفضلاتِ، فكانت هي الغايةُ والقصدُ، وهو ما ينطبقُ على ما جاءَ تابعاً متعدداً أو غير متعدداً، وفي ذلك ما يؤكّدُ على دورِ النّحوِ في تحليلِ النّصّ، وما يرتبطُ بذلك من إمكاناتِ دلاليةً.

لما كان التقديمُ والتأخيرُ من عوارضِ التركيبِ، فقد أسهمتُ مقيداتِ الفعلِ، باعتبارها من العناصرِ غير الإنسانيةِ في جلاءِ أثرِ هذا العارضِ، فيما يتصلُ بهذه المقيداتِ، لدى يوسف أبي سعيد، فاستثمرتُ في التراكيبِ؛ من أجلِ الوصول إلى ما يسمى باللغةِ الإبداعيةِ لديه، غير مقتصرٍ من وراءِ ذلك على إيصالِ المعنى فقطِ المُتلقّيِ، بل رافقَ ذلك الإمتاعُ أيضاً، والوفاءُ بمطالبِ الحشوِ والعروضِ والضربِ. وكان تقديمُ الجازِ والمجرورِ وتأخيرهما هو الأكْثرُ شيئاً، يليه الظرفُ، ثم المفعولُ به. ولما كان ذلك كذلك، فإنه يمكن الإشارةُ إلى أنَّ لتقديمِ الجازِ والمجرورِ ضرورةً، تمثلتُ في تقديمِه متعلقاً بالفعلِ على الفعلِ، أو على الفاعلِ، أو على نائبِه، أو على المفعولِ به، أو على جملةِ مقولِ القولِ، أو على الحالِ، أو على المفعولِ المطلَقِ، أو على المفعولِ لأجلِه، أو على الصفةِ.

دلل استخدام مقيّدات الفعل لدى الشاعر، من جهة اجتماع بعضها على فعل واحد أو مقيّد واحد، على أن اجتماعها جائز، ثمّمه مطالب المعنى النصيّ، لأنّ يجتمع على الفعل الظرف والجائز والجرّ والجائز والجرّ والمفعول به، وغير ذلك من ضروب هذا الاجتماع، الذي إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أنّا أمّا شاعر يحسّن الإمساك بتلابيب الأمور، أو بأطراف المعنى في شعره.

تبين أنّ تعدد المفعول قد مكّن الشاعر من التعبير عن المراد، مؤمناً بأنّ أفعال التحويل والتصيير ذات أثر، يمكن بيانه من خلال النصوص المختلفة حيث وقوع الفعل على المفعول الأوّل متحوّلاً إلى شيء آخر، يكون مفعولاً ثانياً للفعل ذاته، فتتطوّل الجملة مسيرةً في التعبير عن المراد، وهو ما ينطبق على بقية الأفعال المتعدّية إلى مفعولين، كأفعال القلوب، والأفعال التي تتعدّى إلى مفعولين ليس أحدهما المبتدأ والخبر، مضيفاً إلى ذلك أنّ هذا التعبير عن المراد هو ما جعله يأتي بالمفعول الثاني في بداية البيت الثاني أحياناً، على سبيل التضمين - الذي لا يُعدّ عيباً؛ من مطلق أنّ باعثه اللّزومي في شعر أبي سعد ثوّكده مطالب النحو والدلالة. وهنا أشير إلى أنّ واجبنا في تعليم النحو الإشارة إلى أنّ المفعول الثاني ليس من الضروري أن يأتي بعد الأوّل، بل إنّ مقتضيات التعبير عن المراد قد ترجّه بعده بعده الفاظ، ربّما تصلّ إلى البيت الثاني أو غيره، وهو ما يبرهن على أنّ ثمة مرونة بين النظام التحوي والنّسج الشعريّ.

في إطار بيان علاقة تعدد العنصر غير الإسنادي للأفعال التي تتعدّى إلى مفعولين ليس أحدهما المبتدأ والخبر، أشير إلى أمر له علاقة بالمعنى النصيّ، في إطار تعليم النحو العربيّ من خلال النصّ . وهو أنّه لما كان العنصر الأوّل الواقع عليه الحد المستفاد من هذه الأفعال مفعولاً به، ولا شكّ في ذلك، فإنّ العنصر الثاني ينبغي أن يكون تميّزاً، وهو الأولى، والأصحّ؛ بناءً على أنّه يزيّل إبهام نسبة في هذه الأفعال.

من الملاحظ أن الحال قد تعدد في شعر يوسف أبي سعد، فأتى مفرداً مع مفرد، أو مع جملة، أو مع شبه جملة، مع تقليب هذه الصورة على أشكالها المختلفة لصاحب واحد، على الرغم من أن ابن عصفور منع تعدده لصاحب واحد، ما لم يكن العامل فيه أفعى التفضيل. وفي هذا إشارة ينبغي استثمارها في تعليم النحو، وهي أن الحال الواحدة قد لا تنهض بالمراد، ومن ثم يكون تعددها، وأن هذا التعدد أيضاً مبني على معيار القصد الذي من خلاله تتحقق الكفاءة النصية؛ ومن ثم كان الإسهام في استطالة البناء النحوي وتوافقه مع النسج الشعري.

تبين أن استخدام النعت لدى أبي سعد كان بغرض إتمام المنعوت دالاً على معنى فيه، بحسب ما يقتضيه النص، وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على أن النعت تقيد لمنعوته. ولما كان تعدد المنعوت جائزاً في الاستعمال اللغوي، فقد استثمره أبو سعد في عدة مواضع، منها بذلك في إطاله البناء؛ بسبب أن النعت يعتمد على الوصف المتعدد والأحكام الوصفية، كما أسلمه النعت متعدداً أو غير متعدداً في توافق البناء النحوي مع النسج الشعري، في إطار المعنى النصي المراد. اتضح أن استخدام أبي سعد التوكيد المعنوي كان من أجل تقدير المؤكِّد رافعاً احتمال إرادة غير الظاهر المؤكِّد، كما أنه أراد من وراء استثماره التوكيد اللفظي رفع احتمال التجوز أو توهُّم التجوز في المعنى المراد، مفصلاً عن كون التوكيد مكملاً المقصود بالحكم.

استخدم أبو سعد عطف النسق تابعاً بغرض التقيد؛ من منطلق كون المعطوف عليه غير مطلقاً في انفراده بالحكم الذي يكون له. ولمَّا كانت تبعية المعطوف غير ممنوعة، فقد بدا استخدام أبي سعد لهذا التعدد واضحاً لأغراض تتصل بالسياق، فطال البناء، واستقام الوزن، وصحت القافية، في إطار ما أريد من معنى.

لما كان كُلُّ من النَّعْتِ والتوكيد والعلف مُكملاً للمقصود بالحكم، فقد اتَّضحَ أَنَّ أبا سَعِدٍ استثمرَ كَوْنَ البدْلِ مقصوداً بالحُكْمِ في الدَّلَالَةِ عَلَى مَا يُرِيدُهُ مِنْ معنَى نَصِّيٍّ، مع مُرَاعَاةِ كَوْنِ المُبَدِّلِ مِنْهُ مقصوداً أَيْضًا، سَوَاءً أَكَانَ ذَلِكَ فِي بَدْلِ الْكُلِّ مِنْ الْكُلِّ أَمْ فِي بَدْلِ الْبَعْضِ مِنْ الْكُلِّ – وَهُمَا مَا وَرَدَا بِشِعْرِهِ – لِأَنَّ الغَرْضَ مِنْهُ أَنْ يُذَكِّرَ الْاسْمَ مقصوداً بِالنَّسْبَةِ بَعْدِ التَّوْطِئَةِ لِذِكْرِهِ بِتِلْكَ النَّسْبَةِ إِلَى مَا قَبْلَهُ لِإِفَادَةِ تَوْكِيدِ الْحُكْمِ وَتَقْرِيرِهِ.

لما كانت مُقيِّداتُ الْفِعْلِ يجُوزُ اجتماعُها عَلَى فِعْلٍ وَاحِدٍ، عَلَى تَحْوِي مَا سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ، فَإِنَّ اجْتِمَاعَ أَكْثَرِ مِنْ نَوْعٍ مِنَ التَّوَابِعِ غَيْرِ مَمْتُوعٍ، وَكَذَلِكَ اجتماعُها مُعَقِّداتُ الْفِعْلِ؛ وَمِنْ ثُمَّ اسْتَثْمَرَ أَبُو سَعِدٍ هَذَا الْجَوازُ، فَلُوْحِظَ اجْتِمَاعُ أَكْثَرِ مِنْ عَنْصِرٍ غَيْرِ إِسْنَادِيٍّ، فِي بَعْضِ الْمَوْاضِعِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لغْرِضٍ يَتَصلُّ بِمَرَادِهِ، مُسْهِمًا بِذَلِكَ فِي إِطَالَةِ الْبَنَاءِ وَإِحْكَامِ تَمَاسُكِهِ، عَلَى الْمُسْتَوَيَيْنِ الْأَفْقَيِّ وَالرَّأْسِيِّ.

اتَّضحَ أَنَّ العَنْصَرَ غَيْرَ الإِسْنَادِيِّ قَيْدٌ لِمَا يَرْتَبِطُ بِهِ، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ تَرَابَطَتِ العَنْصَرُ مَوْضِعُ الْبَحْثِ مَعَ مَا تَدْوِرُ فِي فَلَكِهِ، وَكَانَتْ عَلَاقَتُهَا بِأَجْزَاءِ الْجُمْلَةِ الْأُخْرَى مِنْ خَلَلِ عَلَاقَاتِهَا النَّحْوِيَّةِ بِمَا تَرْتَبِطُ بِهِ. وَلَمَّا كَانَ مِنْ غَيْرِ الْلَّازِمِ أَنْ تَرْتَبِطَ هَذِهِ الْعَنْصَرِ ارْتِبَاطًا مُبَاشِرًا بِعَنْصُرِيِّ الإِسْنَادِ مَعًا، فَإِنَّهَا قد ارْتَبَطَتِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِمَا هِيَ مُتَمَمَّةٌ لَهُ أَوْ تَابِعَةٌ أَوْ مُقَيَّدةٌ، وَهُوَ مَا أَفْضَى إِلَى مُلْاحِظَةِ أَنَّهُ قد يَكُونُ مَا تَتَمَمَّهُ هَذِهِ الْعَنْصَرُ أَوْ تَتَبَعُهُ أَوْ تَقْيَيَّدُهُ مِنْ غَيْرِ عَنْصُرِيِّ الإِسْنَادِ.

وَبَعْدُ، فَإِنَّ هَذَا الْبَحْثُ يُنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِمَثَابَةِ الْمُقدَّمةِ لِبَحْثٍ أُخْرَ، تُبَنِّى عَلَيْهِ، تَتَجَلَّ فِيهَا الْخَصائِصُ الْلُّغُوِيَّةُ لِشَعْرِ يُوسُفَ أَبْيَ سَعِدٍ، بِصُورَةِ أَشْمَلَ وَأَكْثَرَ عُمْقاً، باعتبارِهَا مدخلاً أساسياً فِي تَحْلِيلِ النَّصوصِ. وَهُنَا أُشِيرُ إِلَى أَنَّ بَحْثَهُ لَيْسَ مُبِراً مِنْ الْخَطَا أَوْ النَّسِيَانِ، فَكُلَاهُما جائزٌ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَمَا هُوَ إِلَّا اجْتِهَادٌ قَدَرَ الطَّاقَةِ، فَإِنْ كُنْتُ مُوفَقاً، فَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ، يَؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَإِنْ كَانَ الْأُخْرَى فَلَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا، وَمَا كُنَّا لِنِهَادِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، وَآخِرُ دُعَوانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
١. الاتجاه الرومانسي في شعر يوسف عبد الطيف أبي سعد، د. فوزية عبد الله الرويشد، دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الملك فيصل، الأحساء، السعودية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
 ٢. أثر متعلقات الفعل، محمود الحسن، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، المجلد (٨٤)، الجزء (٢)، ٢٠٠٩ م.
 ٣. الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي، د. كاظم إبراهيم كاظم، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
 ٤. استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، عبد الهادي الشهري، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، دارأويا، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٤ م.
 ٥. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق محمود شاكر، مطبعة المدنى، جدة، السعودية، ١٤١٢ هـ.
 ٦. الأشباه والنظائر، للسيوطى، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م.
 ٧. الأصول في النحو، ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل ت ٣١٦ هـ، تحقيق د. عبد الحسين القلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
 ٨. أقسام المفعول المطلق بين النحاة وكلام العرب، د. فاضل السامرائي ، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، العراق، العدد العاشر، ١٩٨٤ م.
 ٩. أمالى ابن الشجري، ابن الشجري، تحقيق د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
 ١٠. الإنصاف في مسائل الخلاف، لابن الأثيرى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م.
 ١١. أوضاع المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥ م.
 ١٢. الإيضاح العضدي، أبو علي الفارسي، تحقيق د. حسن فرهود، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

١٣. الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب، تحقيق وتقديم موسى بناني العليلي، وزارة الأوقاف، مطبعة العاني، بغداد، العراق، ١٩٧٧ م.
١٤. بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ت ٧٥١ هـ، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٥. بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣ م.
١٦. التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي ، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.
١٧. التداولية في كتاب دلائل الإعجاز ، تقبايل حامدة، رسالة ماجستير، بكلية الآداب، جامعة مولود معمرى، الجزائر، ٢٠١٢ م.
١٨. التدوير في الشعر دراسة في النحو والمعنى والإيقاع، د. أحمد كشك، مطبعة المدينة ، القاهرة ، مصر، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ م.
١٩. التراكيب التحوية نظامها وخصائصها في شعر سقط الزند دراسة في تحليل الخطاب وعلم النصّ، د. ممدوح عبد الرحمن الرمالي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ٢٠١١ م.
٢٠. تشكيل المكان وظلال العبرات، معجب العدواني، النادي الأدبي، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.
٢١. التضمين العروضي في الطويل وبناء شعر الأعشى دراسة نصية في ضوء العلاقات التحوية الأساسية والأفقية، د. فايز صبحي عبد السلام تركي، مجلة الثقافة والتنمية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، العدد السابع، يوليو، ٢٠٠٣ م.
٢٢. تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود بن محمد العمادي الحنفي ت ٩٨٢ هـ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، السعودية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
٢٣. تقسيم على زوارق الأيام، يوسف عبد اللطيف أبو سعد، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدمام، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

٢٤. التلخيص في علوم البلاغة، للقزويني "جبل الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني" ت ٥٧٣٩ هـ، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٣٢ م.
٢٥. التمييز دراسة تحليلية في البنية، د. حسين وقف وأخرين، مجلة جامعة تشرين، الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق، سوريا، المجلد (٢٩) العدد (١)، ٢٠٠٧ م.
٢٦. التمييز دراسة تحليلية في البنية، فراس أكرم عبد الحليم، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة تشرين، دمشق، سوريا، ٢٠٠٨ - ٢٠٠٧ م.
٢٧. جدليات النص، د. محمد فتوح أحمد، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧ م.
٢٨. الجملة العربية والمعنى، د. فاضل السامرائي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٩. الجملة في الشعر العربي ، د. محمد حماسة عبد الطيف، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ م.
٣٠. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الصبان "محمد بن علي" ت ١٢٠٦ هـ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د. ت.
٣١. الحرف الترکيبي وعلاقته بالنظم والدلالة، د. فايز صبحي تركي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م.
٣٢. خزانة الأدب، للبغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر ، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ م.
٣٣. الخصائص، ابن حِيّ "أبو الفتح عثمان ابن حِيّ" ، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر ، ١٩٨٨ م.
٣٤. التُّر المصنون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحبشي "أحمد بن يوسف" ت ٧٥٦ هـ، تحقيق د. أحمد الخراط دار القلم، دمشق، الطبعة، ٦ / ٤٩ ، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.
٣٥. دلالة الإعراب لدى الثّحاة القدماء، د. بتول قاسم ناصر، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.
٣٦. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى، القاهرة، مصر ، الطبعة الثالثة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
٣٧. ديوان الأعشى الكبير، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٦٨ م.

٣٨. ديوان طرفة بن العبد، اعنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٣٩. الرأي وآثره في التراكيب العربية، د. حمزة النشري، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بالمنوفية، مصر، العدد السابع، ١٩٨٧ م.
٤٠. رُنط الجملة الفرعية بالضمير أو باللاإ ودوره في تماسك النص دراسة في كافوريات المتبي، للدكتور فايز صبحي عبد السلام تركي، مجلة علوم اللغة، دار غريب، القاهرة، مصر، ج ١١، ع ١، ٢٠٠٨ م.
٤١. زهر الآداب وثمر الآباب، الحصري القيرولي "أبو إسحاق إبراهيم بن علي ت ٤٥٣ هـ"، شرح زكي مبارك، وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، د.ت.
٤٢. سيماء العنوان، بسام قطوس، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
٤٣. شبه الجملة في القرآن الكريم، أحمد حسن عواد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن، ١٩٩٧ م.
٤٤. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ت ٦٧٢ هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، مصر، الطبعة العشرون، ١٩٨٠ م.
٤٥. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الحلبي، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، د.ت.
٤٦. شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، والدكتور محمد بدوي المخton، دار هجر، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
٤٧. شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٤٨. شرح الكافية، الرضي، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٩٩٦ م.
٤٩. شرح المفصل، ابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، مصر د.ت.
٥٠. شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير، تأليف صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي ت ٦١٧ هـ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م.

٥١. شرح شافية ابن الحاجب، لأبي الفضائل الأسترياذى "ت ٧١٥ هـ"، تحقيق الدكتور عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.
٥٢. "الشكل والدلالة دراسة نحوية للفظ والمعنى"، د. عبد السلام السيد حامد، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٢ م.
٥٣. "الصحاح تاج اللغة وصحاح العَرَبِيَّةِ" للجوهري إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَادٍ، ت ٣٩٣ هـ، تحقيق أَحْمَد عَبْدِ الْغَفُورِ عَطَّارٍ، دارِ الْعِلْمِ لِلْمُلَّاَبِينِ، بِيَرُوْتِ، لِبَانَ، الطَّبَّعَةُ الرَّابِعَةُ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٥٤. "الصفة فائدتها وصورها" للدكتور صبحي رشاد عبد الكريم، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بالمنوفية، مصر، العدد التاسع ، ١٩٨٩ م.
٥٥. ظاهرة القلق في شعر يوسف بن عبد اللطيف أبو سعد، محمد البشير، نادي المنطقة الشرقية الأنبي، الدمام، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٥٦. "الظرف المشبه بالمفهول به" حقيقة وأحكامه وفوائده، د. مؤمن بن صبري غنام، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، مكة، السعودية، ج ١٨، ع ٣٧، جمادى الثاني ١٤٢٧ هـ.
٥٧. "العروض وإيقاع الشعر العربي" محاولة لإنتاج معرفة علمية، د. سيد البحراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٩٣ م.
٥٨. علم المعاني تأصيل وتقييم: د. حسن طبل، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٥٩. "فلسفة المنصوصيات في النحو العربي" عائد كريم علوان الحريري، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٧٥ م.
٦٠. "في البنية والدلالة، رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية" د. سعد أبو الرضا، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٦١. "الفiroز آبادي: القاموس المحيط" الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٠٣ هـ.
٦٢. "القافية تاج الإيقاع الشعري" د. أحمد كشك، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤ م.
٦٣. قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، إعداد دارة الملك عبد العزيز، الرياض، السعودية، ١٤٣٥ هـ.
٦٤. "قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر" د. خليل الموسى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠ م.
٦٥. "قضايا التغير النحوي بين القدماء والمحدثين" د. محمود ياقوت، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٨٥ م.

٦٦. قضايا المفعول به عند الححة، د. محمد أحمد خضرير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣ م.
٦٧. الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٦٨. كتاب العروض، ابن السراج، تحقيق د. عبد الحسين الفطلي، مجلة كلية الآداب، بغداد، العراق، العدد الخامس عشر، ١٩٧٢ م.
٦٩. كتاب العروض، ابن جنّي، تحقيق وتقدير د.أحمد فوزي الهيب، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
٧٠. لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن المكرم بن منظور، ت ٧١١ هـ، طبعة جديدة محققة ومنقحة، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. ت.
٧١. اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٩ م.
٧٢. اللغة بين المعيارية والوصفية، الدكتور تمام حسان، الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٥٨ م.
٧٣. المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثالث "الرمل والماء والحمأ المسنون"، مطبع الكفاح الحديثة، الأحساء، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٧٤. المجموعة الشعرية الكاملة، المجلد الثاني "الأغاريد والتقسيم"، يوسف أبو سعد، مطبع الكفاح، الأحساء، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٧٥. مختصر المعاني، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني "ت ٥٧٩٢ هـ"، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، ٢٠٠٤ م.
٧٦. المسائل البصريات، أبو علي الفارسي، تحقيق ودراسة د. محمد الشاطر، مطبعة المدنى، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٧٧. المسائل الحلييات، أبو علي الفارسي، تقديم وتحقيق د.حسن هنداوى، دار القلم، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٧٨. مستويات بناء صورة المعنى في العقل البلاغي "مراجعات منهجية"، محمود توفيق محمد سعد، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، شوال ١٤٣٣ هـ - سبتمبر ٢٠١٢ م.
٧٩. المصدر المؤول "بحث في التركيب والدلالة"، د.طه محمد الجندي ، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.

٨٠. معاني القرآن، للأخفش، تحقيق د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٨١. معاني القرآن، للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي وأخر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٨٠م.
٨٢. المعنى وظلال المعنى "أنظمة الدلالة في العربية"، د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
٨٣. مغني الليبب، ابن هشام، تحقيق د. مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.
٨٤. المقصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق د. كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة العراقية، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، ١٩٨٢م.
٨٥. المُفَضَّب، المبرد أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ، تحقيق محمد عبد الخالق عصيمية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، مصر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٨٦. المقرب، ابن عاصفون "علي بن مؤمن ت ٦٦٩هـ"، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجوري، مطبعة العاني، بغداد، العراق، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٨٧. التَّحْوِيْلُ الْعَرَبِيُّ نَفْدٌ وَتَوْجِيهٌ، لِدُكْتُورِ مُهَدِّيِ الْمَخْزُومِيِّ، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٨٨. التَّحْوِيْلُ الْوَافِيُّ، عَبَّاسِ حَسَنٍ، دارِ الْمَعْرِفَةِ، الْقَاهِرَةُ، مَصْرُ، ١٩٧٦م.
٨٩. التَّصُّصُ وَالْخُطَابُ وَالْإِجْرَاءُ، روبيت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٩٠. نظرية اللُّغَةِ وَالْجَمَالُ فِي النَّقْدِ الْأَدْبَرِيِّ، د. تامر سلوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
٩١. النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م.
٩٢. همع الهوامع السيوطي "جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ"، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٩٣. الواء بين المشاركة والمصاحبة، د. محمد مصباح أحمد نصر جودة، مجلة كلية اللغة العربية، القاهرة، مصر، العدد السادس والعشرون، ٢٠٠٩م.